شجرة الحوار لن تُزهر إلا إذا سقتها إضافات المفكرين!

بقلم :
د. رافع الطبيب

هل يُعقل أن تقتني الدولة الحبوب من الفلاح التونسي بنصف ما تدفع للفلاح الروسي؟

بقلم :
عز الدين سعيدان

ثالوث 25 جويلية: الاستئصاليون، الأنصار والمتهافتون

بقلم :
حمادي الرديسي

الديونية: السلاح الذي يمكن فرنسا من السطو على تونس

بقلم : جمال الدين العويديدي

الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 310 - من الث ماي 2022 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

استقالة رئيسة الحكومة بقوة الأمر الواقع

حشود شعبية بلا شعب...

تحقيق

سماسرة ومتنفّذون يُحكمون قبضتهم على تراخيص سيارات التاكسي

شجرة الحوار لن تُزهر إلا إذا سقتها إضافات المفكرين !

د. رافع الطبيب
استاذ العلوم الجيوسياسية والعلاقات الدولية جامعة منوبة

حين تعجز الآليات الديمقراطية المعتمدة في نظام سياسي عن حلحلة الأوضاع أو حل عقدة مستعصية، يختار الفاعلون في الشأن العام من أحزاب وجمعيات اللجوء الى تعليق المرجعية الانتخابية وموازينها التمثيلية والاحتكام الى حلول وتوافقات عبر رافعات مستحدثة أو من الموروث الوطني وأبرزها الحوار الجامع لأوسع الطيف المجتمعي. الا ان اللجوء الى الحوار لا يمثل قاعدة أو محطة عادية بل هو لحظة نادرة في المسار السياسي باعتباره خروجا عن مبدإ التسيير العادي للدولة وتعليقا لنواميس الحكم المؤسساتي. لذا، نادرا جدا ما تنظم الديمقراطيات العريقة حوارات وطنية توازي في مساراتها عمل المؤسسات المنتخبة او الممثلة للأجسام المجتمعية.

في المقابل تتعدد في الانظمة التي عجزت عن بناء مؤسسات تحظى بتمثيلية حقيقية للواقع المجتمعي وتترجم تنوعه وديناميكياته العميقة محطات التعطّل والعجز عن حل الاشكالات وتجميع الغالبية الفعلية حول رؤى وسبل للتجاوز. ازاء هذا الفشل الهيكلي للهندسة السياسية، تتعدد الدعوات الى عقد الحوارات الوطنية وتتحول الى طقس من طقوس الفعل السياسي العادي ويؤرخ بعضها لمراحل الانتقال عوضا عن الاختيار الشعبي الحر والواعي ضمن آليات بناء وتجديد دوري للشرعيات.

ولأن البناء المؤسساتي وآلياته في تونس ولدت بعد مخاض الدستور في 2014 مشوهة على ايدي أحزاب لا تحمل اي مشروع مستقبلي يحكمه اطار مرجعي متناسق يؤسس لدولة تشبه شعبنا وتعبّر عن تنوعه واستقلاليته وسيادة قراره وانحيازه لمبدأ التداول السلمي على المسؤولية وتحييد المرفق العام واعتبار جهاز الحكم تجسيدا لفضاء العيش المشترك، مثّلت الحوارات الوطنية بشكل مكثف وبتواتر غير طبيعي البديل العملي للتسيير المؤسساتي وتعويضا له. فمن قرطاج I الى قرطاج II الى دعوات المركزية النقابية تأسيسا على تجربة 2013، كان البحث عن مخارج للأزمات بعيدا عن الآليات التي ضمنها نظريا الدستور هو الأفق الوحيد امام طبقة سياسية لم يكن الخلق والابداع احدى مزاياها.

اما اليوم فبعد حل المجلس النيابي وتصفية التركة المؤسساتية للنهضة او بعضها من هيئات دستورية صورية وبناء على الحاح دول غربية فقدت مقومات هيمنتها في ساحات عالمية عدة ولم يبق لها سوى تونس وبعض شبيهاتها لممارسة "الدعوة والتبشير الديمقراطي" وتفاعلا مع رغبة المنظمات الوطنية التي صمدت امام الانجراف الشعبي، يبدو ان الرئيس قيس سعيد عقد العزم على تنظيم حوار وطني بهندسة لم تتوضّح معالمها بعد ولم تحدد حدود مجالها الحزبي ولم يبح بعد بمآلاته المرتقبة.

ان اي حدث سياسي لا يحلّل كفعل معزول بل يُقرأ ضمن سياقاته والحوار الوطني يندرج ضمن بنية المسارات التي انتهجت في تونس منذ 2019 وخاصة منذ ان نجح قيس سعيد في الارتقاء الى مصاف اللاعب الابرز في الساحة والمحرك الحصري للمبادرات داخلها على وقع انتفاضة 25 جويلية وما ترتّب عنها من اعادة رسم الخرائط السياسية. من المؤكد ان الرئيس سعيد لن يتنازل عن المساحة التي استحدثها عبر الاستشارة الالكترونية وسيتمسك بنتائجها متجاوزا كل الأراء التي حاولت تنسيب تمثيليتها. كما سيعمل على حصر النقاشات داخل المبحث القانوني والدستوري وبشكل عرضي المعيشي والاقتصادي دون غيره مع الضغط للوصول الى نتائج تدعم السير السريع نحو المحطات الانتخابية والتي يعتبرها سعيد فصل المقال شعبيا لمشروعه وختما لمرحلة قبل فيها الاحتكام لغير الشعب.

والسؤال الذي يتبادر للذهن اليوم هو "ما الذي سيجعل هذا الحوار ناجحا ويتخطى اخفاقات سابقيه؟." ان الخطوة المنهجية الأولى للإجابة عن هذا التساؤل لا يكون بإنكار التجارب الماضية وحجب مراكماتها بل بتحليل مكامن الضعف وتحديد الانحرافات من لحظة التأسيس الى اعلان النتائج. لن يقطع الحوار الذي دعا اليه الرئيس مع محطاته المماثلة في السابق الا باعتماد المنهج والتمشي والمبدأ والقيم التالية:

-1 لقد انحصرت كل الحوارات السابقة داخل اسوار الفعل الحزبي والنقابي والحقوقي وأهملت الفضاء الفكري واصحاب الرأي من النخب المثقفة والاكاديمية وحاملي المشاريع التي تهدف لبناء مجتمع التميز والابداع وانجاز حلم العبقرية التونسية في تصوّر نظام يعلي قيمة الذكاء والخلق. اذا استمر مسار الحوار باستثناء او استبعاد النخب الفاعلة في الحقل الفكري، فلا مجال للحديث عن قطع مع منظومة الخواء والفراغ وسيكون لقاء المتخاطبين اعادة رسكلة مفاهيم تجاوزتها الاحداث وأنساق الابداع محليا وعالميا.

-2 ان هدف السياسي في التمثّلات الشعبية هو خدمة الناس وتوفير الخدمات وفي وضعنا الحالي، تحسين الظروف المعيشية الصعبة لأوسع المكونات الشعبية. لذا، لن يحظى الحوار بمتابعة من الناس الذين تسحقهم الازمة الاقتصادية ولن تحفزهم مخرجاته الا اذا اقترنت، على ارض الواقع، في الاسواق والمدارس والمستشفيات ومكاتب البريد وغيرها من فضاءات الوجع الشعبي بتحسّن ملموس وطفرة نوعية للخدمات وانخفاض متواصل للأسعار.

-3 من المؤكد ان هذا الحوار لن يضمن مشاركة الجميع وانه سيضع جملة من الشروط الاقصائية لمجاميع حزبية اختارت القطيعة مع المسار السياسي الذي اطلقته انتفاضة 25 جويلية او التنظيمات التي لا ترى في الحوار بديلا عن حالة الانسداد المتعدد الابعاد الذي خلقته جملة من الظروف والمواقف. الا ان الحوار بطبيعته لا طائل من عقده اذا بني على تصور توافقي يلغي الجدل والتناقض والصراع. من المبدئي ان تكون قاعدة الحوار التمسك بالسيادة الوطنية والاستقلال والقطع مع فساد المنظومة السابقة ولكن لا بد من تقليص مساحات العزل والتهميش والاقصاء. يجب ان يسعى القائمون على هذه المبادرة لحشد كل ابناء تونس من حملة التصورات باختلافها وتناقضاتها دون احكام مسبقة.

-4 ان المطروح على مائدة المتحاورين يتجاوز مجرد التفكير في مخارج للمأزق الحالي والحيني ومن المأمول ان يكون لهم الوعي بأن مجمل الحياة السياسية وما يترتب عنها مجتمعيا سيكون مادة النقاش والتفاعل والتأليف. فلا مجال لحصر الحوار داخل دوائر التشابه والتماثل في الوظيفة والاختصاص ومجال الخبرة والرأي السياسي ومركز الاهتمام. لن تُزهر شجرة الحوار الا اذا سقتها افكار الفلاسفة والفنانين وعلماء الانسانيات والمؤرخين وتحاليل الاستراتيجيين وتوجيهات رجالات الدولة الحقيقيين من كل الأجيال والنخب العلمية والأطباء وممثلي القطاعات المهمّشة وكل من يحمل مشروعا يخدم البلاد.

لقد لامس الفعل السياسي خلال الاسابيع الاخيرة القاع بكل صوره وقدم لنا أسوأ المشاهد عما آلت اليه الأمور داخل ساحة مفكّكة تحكمها الاشاعة والإثارة والفلكلور الحزبي وغياب الوازع الأخلاقي والقيم. هذا السقوط أسهم في تفشي النفور الجماعي من السياسة وخطاباتها. فعديد الأحزاب تحوّلت الى اجهزة تؤثث مشهدية مقرفة لصراع عبثي لا يستأثر باهتمام الناس ولا يغيّر مسارات الأحداث لفراغ المضامين وضحالة المحتوى الفكري والبدائل.

هذا الوضع يمكن ان يمثل فرصة اختراق امام الحوار اذا نجح في القطع مع بؤس المشهد السياسي والصراعات العبثية للبرلمان المُحَل وأسس لجدلية الفكر والفعل وقدم منصة تحظى باحترام الشارع لانها تعلي قيمة الابداع والتجديد.

المشيشي في قطر

اكد مصدر قريب من رئيس الحكومة السابق هشام المشيشي لـ"الشارع المغاربي" انه مقيم منذ فترة في العاصمة القطرية الدوحة وانه انطلق في تجربة مُعَيّنة شدّد المصدر على انها في المجال البحث الاكاديمي وذات طبيعة استشارية .

ويلتحق المشيشي بذلك بقائمة مسؤولين سابقين غادروا البلاد. ويكاد يكون الوحيد معلوم النشاط حاليا فيما تطرح تساؤلات حول كيفية مواجهة البقية مصاريف العيش في الخارج المكلفة مقارنة بما كان البعض منهم يتقاضى في تونس على غرار المديرة السابقة للديوان الرئاسي نادية عكاشة التي غادرت البلاد منذ شهر جانفي المنقضي والتي كانت محطتها الاولى فرنسا قبل ان تنتقل الى الامارات العربية المتحدة اين تقيم حاليا.

والمعلوم ان جل الناشطين السياسيين ممن لهم جنسيات او اقامات بالخارج وتحديدا من معارضي مسار 25 جويلة غادروا تونس واستأنفوا حياتهم بشكل طبيعي.

وسيكون لـ "الشارع المغاربي" ملف خاص في عدد قادم حول ذلك .

الصلح الجزائي

علم "الشارع المغاربي" ان سليم الرياحي رجل الاعمال والمترشح السابق للانتخابات الرئاسية 2019 والرئيس السابق لحزب الاتحاد الوطني الحر قد يكون من بين رجال الاعمال الذين سيقدمون طلبا للانتفاع بالصلح الجزائي الذي صدر في الرائد الرسمي منذ شهرين تقريبا (يوم 20 مارس 2022).

وكان الرياحي قد اعلن نهاية الاسبوع المنقضي عن اعتزامه العودة الى تونس ووضع نفسه على ذمة القضاء معتبرا انه كان ضحية مؤامرة منعته من دخول البلاد وانها انطلقت منذ 2016 واتهم في تدوينة له رئيس الحكومة الاسبق يوسف الشاهد وعدد من معاونيه ومستشاريه بتدبيرها.

6 مشاريع في 6 سنوات

جبهة الخلاص الوطني التي يتزعمها السياسي المخضرم احمد نجيب الشابي والتي تقدم نفسها كبديل لـ" منظومة قيس سعيد" هي سادس مشروع سياسي للشابي منذ فشله في الانتخابات الرئاسية لسنة 2014 . البداية كانت مع "مسارات" ثم تأسيس حزب الحركة الديمقراطية ثم مبادرة " قادرون" ثم الاتحاد المدني الذي ضم مجموعة احزاب شاركت في الانتخابات البلدية لسنة 2018 ثم المشاركة في تاسيس حزب "امل" سنة 2020 برئاسة ثلاثية تضم الشابي بصفته رئيسا للهيئة السياسية وسلمى اللومي رئيسة للمجلس الوطني والممثلة القانونية للحزب ورضا بلحاج رئيس الهيئة التنفيذية او مدير تنفيذي. ويوم 26 افريل 2022 اعلن الشابي عن تأسيس" جبهة الخلاص الوطني" التي يتزعمها وتعتبر اول تحالف بينه وبين حركة النهضة بعد ان كان يصفها بخصمه الاول وكان احد ضحايا ما يسمى بذبابها الازرق.

وتضم هذه الجبهة احزاب النهضة وائتلاف الكرامة وقلب تونس وتونس الارادة وحزب الامل.

«الشارع القضائي»

نفتح بداية من هذا العدد ركنا جديدا مخصصا للشأن القضائي في بلادنا يشرف عليه الاعلامي والمحامي الأستاذ لطفي واجه. هذا الركن كبقية أركان الجريدة هو بمثابة فضاء تمتزج فيه الاخبار المثبّتة والدقيقة والتحاليل الموضوعية المحايدة والمواقف المتعددة من كلّ التيارات السياسية والفكرية في البلاد دون استثناء.

في هذا الغرض ندعو كل الفاعلين في عالم القضاء ببلادنا من قضاة ومحامين وأساتذة قانون للتفاعل على أعمدة الجريدة في كنف الحرية والمسؤولية حول أهم المسائل العالقة على درب إرساء العدل في مفهومه الفلسفي الشامل ببلادنا.

الرجاء بعث المراسلات على العنوان الالكتروني للزميل لطفي واجه :

ouajahlotfi@gmail.com

زووم

صورة وحقائق

هذه الصورة التقطت بمناسبة أول احتفال بجلاء القوات الفرنسية عن مدينة بنزرت سنة 1963. وقد حضر -مثلما تبرز ذلك الصورة الاحتفالات- كل من جمال عبد الناصر عن جمهورية مصر وأحمد بن بلة عن جمهورية الجزائر.

استظهر قيس سعيد بهذه الصورة عند لقائه بوزير الخارجية عثمان الجرندي قائلا: «ربما لا يتذكر الكثيرون أن هذه الصورة التاريخية التي تجمع بين الرؤساء بورقيبة وعبد الناصر وبن بلة اتخذت خلال حضورهم مؤتمر باندونغ (انعقد في أندونيسيا في 24 أفريل 1955)».

لا يُعرف ان كان الوزير «الطافي» عثمان الجرندي قد تجرأ على تصويب خطأ رئيسه ولعله طأطأ رأسه كالعادة مؤيدا ومستحسنا، ربما كان هو نفسه أيضا يجهل تاريخ الصورة والمناسبة التي التقطت فيها.

من جهة أخرى كتب القيادي بحركة الشعب سالم الأبيض تعليقا على الصورة جاء فيه: «إن كلا من بورقيبة وبن بلّة لم يحضرا ذلك المؤتمر، ففي ذلك الوقت كانت تونس والجزائر تحت الاستعمار الفرنسي. ومثّل الحركة الوطنية التونسية الزعيم صالح بن يوسف وحضر نيابة عن جبهة التحرير الوطني الجزائري الزعيمان حسين آيت أحمد ومحمد يزيد. أما الصورة التي عرضها الرئيس فقد أُخذت على هامش الاحتفالات بعيد الجلاء ببنزرت في ديسمبر 1963».

ما نسيه سالم الأبيض التذكير بأن بورقيبة كان عند انعقاد مؤتمر باندونغ معتقلا في غياهب المنافي والسجون من سنة 1952 الى سنة 1955.

ما ضرّه لو ذكّر بذلك؟.قديما قالوا إن الحقد اعمى..

استقالة رئيسة الحكومة بقوة الأمر الواقع

توفيق السالمي

بعد صدور المنشور 117 لم تعد رئاسة الحكومة القوة الاقوى إذ أصبح يحكم المشهد منطقان : المنطق الدستوري المؤسساتي باعتبار ان الدولة هي التعبير السياسي الأعلى بقوانينها ومؤسساتها، ومنطق الأمر الواقع المرتبط بإرادة رئيس الدولة. وهذان المنطقان يحاولان تحقيق انسجام بينهما يسهّل تسيير الدولة في انتظار إعادة صياغة الدستور والنظام السياسي والعلاقة بين مؤسسات الدولة: فلا يمكن لهذه الشبكة من التناقضات المختفية تحت "حركة التصحيح والإصلاح" ألا تتجلى في لحظة الممارسة العملية وهذا ما حصل فعلا حسب رأيي وحسب تحليل المعطيات المتوفرة. فرئيسة الحكومة، وانسجاما مع طبيعة الدولة المنخرطة كليا في اقتصاد السوق والمرتبطة بالاقتصاد الرأسمالي، وربما انسجاما أيضا مع مضامين الاتفاق السياسي مع رئيس الدولة لحظة تكليفها، تمارس إدارة الحكومة بما هي مثلا، ضرورة الترفيع في الأسعار بغاية المحافظة على التوازنات المالية والابتعاد عن شبح إفلاس الدولة، وهي إحدى الوظائف الرئيسية لكل حكومة. وفي المقابل يمارس رئيس الدولة السياسة انسجاما مع دولة متخيلة الى درجة يبدو معها وكأنه في حالة انفصال عن طبيعة الدولة. فهو كمن يريد من النحل إنتاج الحليب. يطلب عدم الترفيع في أسعار بعض المنتجات "انتصارا للشعب" مع الاحتفاظ بآليات السوق كمحرك للتنمية وتوفير حاجات المجتمع مما يجعل رئيسة الحكومة تعمل في إطار مفارقة تضطرها إلى الإنسجام مع متناقضين: مقتضيات الدولة الواقعية ومقتضيات الضرورة السياسية لرئيس الدولة.

في هذا الوضع المتشعب والمليء بالتعارضات يجد رئيس الدولة قيس سعيد نفسه أمام ضرورة عرقلة نشاط الحكومة مما يضع رئيستها أمام ضرورة معارضة رئيس الدولة أو التوقف عن اتخاذ ما ترى مناسبا من القرارات وهي وضعية تستدعي فعلا تقديم الاستقالة.

فهل كانت إشاعة خبر استقالة نجلاء بودن رئيسة الحكومة حقيقة أم مجرد دعاية سياسية مضادة لتمشي رئيس الدولة؟

الواضح أن الخبر كان بمثابة الدخان الذي يؤشر على وجود نار. صحيح أن نجلاء بودن لم تأت إلى القصبة إلا على بساط ثقة رئيس الدولة قيس سعيد وأنها تستمد شرعيتها وقوتها من شعبيته الانتخابية ومن "حركته التصحيحية ". غير أن هذا الانسجام لا يمكنه أن يصمد أمام اتجاهين مختلفين لإدارة الدولة من طرف رئيس يستحوذ "مشروعه" السياسي على تفكيره وعلى سلوكه السياسي العام في حين تركز رئيسة الحكومة على استحقاقات الدولة المتمثلة في التوازنات المالية وتسديد ديون الدولة الداخلية والخارجية فضلا عن تسيير المرفق العام وغيرها من المهام. يبدو أن الاتجاهين غير منسجمين انسجام المشرفين عليهما. فالرئيس منشغل بالمحافظة على شعبيته والرد على خصومه وتنفيذ برنامجه فيما تتصدى رئيسة الحكومة إلى ثقل التسيير اليومي للبلاد. ومسار التسيير يقتضي ضرورة اتخاذ إجراءات منها ما أعلن عنه وزير التجارة من ضرورة الترفيع في أسعار بعض المواد الاساسية، وهي بلا شك إجراءات ضرورية في المعادلة الحسابية للتوازنات المالية للدولة ولكنها إجراءات مهلكة في المعادلة الحسابية للتوازنات السياسية والاجتماعية التي يريدها قيس سعيد.

لا شك أن وزير التجارة لم ينطق من تلقاء نفسه ، بل بعد الاتفاق مع رئيسة الحكومة. بمعنى أن القرار هو في النهاية قرار رئيسة الحكومة. وهو قرار يتعارض مع المصلحة السياسية لرئيس الدولة. ذلك أن إعلان رئيس الدولة وإرسال تباشير عن عدم الزيادة في أثمان البيض والحليب وبالنتيجة في الأعلاف إلى الفلاحين سيزيد في شعبيته ويساعده على التقدم في تنفيذ أجندته السياسية المتمثلة في الاستفتاء والانتخابات ولكنه قرار محرج لرئيسة الحكومة لا من ناحية كونه تعطيلا لسير عمل الحكومة ولكن باعتباره أيضا ضربا لصورة رئيسة الحكومة وتأثيرا سلبيا عليها. ولعل هذا أحد تفسيرات خبر إقدام رئيسة الحكومة على تقديم استقالتها التي لم تتأكد بعد والتي تم ربما رفضها في مرحلة أولى من قبل رئيس الدولة ثم التكتم عليها وتكذيبها في مرحلة ثانية من قبل وزير الشؤون الاجتماعية وبعض المسؤولين الآخرين.

وقد دعا رئيس الدولة رئيسة الحكومة وخاطبها بأنهما سيواصلان معا مهمة الدفاع عن تونس بما يشير إلى أن هذه الـ"معا" قد مسّها منه ضر في لحظة سابقة. وربما تم إجبار رئيسة الحكومة على الاستمرار في تحمل المسؤولية مخافة من فكرة عدم قدرة الرئيس على اختيار معاونيه ومخافة فتح ملف ثقيل هو إعادة تشكيل حكومة في ظرف حساس يتميز بتنامي المعارضة للرئيس فضلا عن اقتراب مواعيد سياسية مهمة ربما يرى الرئيس أنها تحتاج منه إلى تركيز إضافي.

إن خبر تقديم رئيسة الحكومة استقالتها هو خبر عار عن الصحة واقعيا ولكن كل المؤشرات تدل على أنه تم الاقتراب منه هذا إن لم يكن قد حدث فعلا. ولعل خطاب رئيسة الحكومة الذي اعتبرت فيه أن إنجازات حكومتها تتمثل في تسديد الدين الداخلي والخارجي وتحويل مرتبات الموظفين في وقتها وأحيانا قبل وقتها هي إنجازات حري برئيسة حكومة أن تذكرها في خطاب يوحي بطريقة ضمنية بالحرج الذي وجدت فيه نفسها بعد تعطل قدرتها على معالجة الملفات الكبرى واتخاذ ما يصلح ، في نظرها طبعا ، من الإجراءات في تضارب مع حاجة الرئيس لاستقرار سياسي واجتماعي يساعده على المضي في تنفيذ "مشروعه".

وكل حرج وكل تعطّل في مجال السياسة يعبر عنه بأشكال مختلفة ولكن الجوهر واحد . فالانشقاق داخل الأحزاب أو الانسحاب هي العبارات السياسية الخصوصية للاستقالة في مجال تسيير الدولة والسبب هو الاختلاف غير القابل للتجاوز. وتطويق المسألة سياسيا وإعلاميا لا يعني أنها غير موجودة. فالمعلوم أن الفلاسفة تحدثوا منذ القديم عن الوجود بالقوة والوجود بالفعل ، واستقالة رئيسة الحكومة هي من صنف الموجود بالقوة.

بعد فشل مسيرتي 8 و 15 ماي:
حشود شعبية بلا شعب...

العربي الوسلاتي

كشفت حقيقة الشارع على امتداد الاسبوعين الماضيين أنّ الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد ألغت بداخل المواطن التونسي أيّ شعور بالغضب أو بالولاء والانتماء بعد أن تسلّل اليأس والاحباط الى قلوب الناس وحوّلهم الى مجرّد أصنام بلا مشاعر ولا إحساس ما عدى بعض «المرتزقة» أو الأتباع الذين يرون في هلاك البلاد صلاحا لها ولبعض العباد.

أنصار رئيس الجمهورية قيس سعيّد اختاروا انتهاج الأسلوب ذاته لتأكيد ثبات المسار التصحيحي للدولة ومعارضو «الانقلاب» ساروا على نفس الدرب بافتراش قارعة الشارع للحشد ضدّ المشروع الرئاسي. مع ذلك ورغم دعوات الحشد غير المسبوقة ورغم التجييش الكبير الذي مارسه الطرفان ورغم ما توفّر من دعم معنوي ولوجيستي فشل الجميع في تحريك الشارع وفشلت المسيرتان بكل مكوناتها في لفت أنظار الشعب المنهك والمنهمك في مسائل حياتية ووجودية باتت بالنسبة له أكبر بكثير من مجرّد الاصطفاف وراء شعارات وهمية لا تسمن ولا تغني من جوع.

الشعارات التي رفعها مواطنون من أنصار حراك 25 جويلية قادمون من مختلف الجهات أمام مقرّ المسرح البلدي بالعاصمة طالبت رئيس الجمهورية قيس سعيّد بـ»محاسبة الفاسدين قبل المرور الى الاستفتاء والانتخابات» وبـ»تطهير القضاء». بعدها بأسبوع واحد خرج علينا مواطنون ضد الانقلاب" و"جبهة الخلاص الوطني" بمشاركة أنصار حركة النهضة للمناداة بسقوط ما وصفوه بالانقلاب رافعين شعارات "اوفياء لدماء الشهداء» و"تونس تونس حرة والانقلاب على برة».

الشعارات على أهميتها لم تكن تعكس نبض الشارع الحقيقي والمسيرة الشعبية التي دعا لها أنصار الرئيس والتي كان من المنتظر أن تضمّ عددا من مختلف مكونات المجتمع المدني عرفت فشلا لعدّة اعتبارات أهمها الظرفية الزمنية التي جاءت فيها وثانيا الوضعية النفسية الهشّة لغالبية الشعب التونسي الذي لم يعد يكترث لمثل هذه التحركات والفرقعات الصوتية التي تفقد من يوم لآخر رمزيتها وأسباب نشأتها والدليل على ذلك تواضع عدد المحتجين الذين لم يبلغ سقف التوقعات بل يمكن القول إن الأمر أصبح مصدرا للتندّر في صفوف الخصوم السياسيين. بالنسبة للمعارضة فإن الأمر لا يختلف كثيرا عن مسيرة «الرئيس» فالاستنتاج الهام والبارز الذي خلص اليه الجميع هو أنّ الفشل كان العنوان الرئيسي لمسيرة الأحد الماضي. وفي فشل المسيرتين دروس وعبر وفي الخوض في أسباب هذا الفشل تدليل جديد على التغيير الجذري في الوعي المجتمعي وكذلك في السلوك السياسي للمواطن التونسي الذي لم يعد يقبل أن يكون مجرّد وقود معارك انتخابية أو ضحية تجاذبات سياسية غاياتها معلومة ومكشوفة.

على اختلاف المضامين والافكار والشعارات التي دعا لها الطرفان بين أحد 8 ماي والأحد الذي تلاه مسافة كبيرة من الزمن. مسافة تختصر سنوات طويلة من الزيف والخداع والطمع والجشع والتلاعب بمصير وبحياة التونسيين. سنوات نحتاج على ما يبدو لعقود من الزمن لنطوي صفحاتها ونخفي ندباتها. الاختلاف بين الطائفتين يفرّق ولكنه في المنظور التونسي وتحديدا بعد المسيرات الأخيرة بات يوّحد الصفوف على خطّ الفشل. وهذا الفشل له دلالاته وأسبابه وهذه الأسباب تبدو موضوعية جدّا ان لم نقل أنها الصواب بعينه فمن مازال يصدّق وعود الجماعة ونظرتهم الاستشرافية للإصلاح والصلاح فهو إمّا واهم أو أحمق أو أجير وعبد لأفكار أسياده.

من احتجاج «مواطنون ضد الانقلاب»

حتى تكتمل الصورة أكثر لا بدّ أوّلا من الخوض في مسبّبات هذا الفشل للتعرّف على مكامن الخلل. مسيرة الأحد الماضي فشلت لأن حشودها يذكرون بسنوات الدمار والخراب. تلك المسيرة هي امتداد لعشرية الخراب التي أنهكت البلاد وأعادتها سنوات كثيرة الى الخلف. كيف تبادر الى ذهن هؤلاء أنّ التونسيين مازالوا سيأمنون غدرهم وزيفهم وكذبهم ونفاقهم وخداعهم؟ كيف للتونسيين الذين ذاقوا الويلات من الخيبات والنكسات والأزمات أن ينسوا كلّ تلك السنوات العجاف ويأمنوا مجدّدا مكر هؤلاء ويصدقوا أنهم يريدون اليوم العودة فقط لانتشال تونس من براثن الديكتاتورية ونشر قيم التسامح والتعددية والحريّة؟ كيف تبادر لذهن هؤلاء أن الشعب التونسي الكريم والنقيّ من مساحيق العمالة والتخوين أن ينزل للشارع ويهبّ لنصرتهم بعد أن خذلوه وباعوا كرامته ووطنيته بأبخس الأثمان؟ هل حقّا دار بخلدهم أنهم سينجون في بضع ساعات في ترميم ما هدمته أياديهم على امتداد سنوات؟

وإذا كان فشل المعارضة الحالية في حشد الشارع وتحريكه متوقّعا ومرتقبا بالنظر لسوابق الجماعة في تصريف شؤون البلاد والعباد فإن فشل أنصار الرئيس في لفت الأنظار نحوهم هو الذي يعتبر حدثا مستجدا ومهما يحيلنا الى نفس الشرح والتفصيل. أنصار 25 جويلية كان فشلهم أشدّ وقعا لأنّ صاحب المشروع هو من يقف في واجهة الأحداث في الوقت الراهن. فرئيس الجمهورية قيس سعيّد لم يستثمر تلك اللحظة الفارقة ليلة 25 جويلية وانصرف الى شواغل ومسائل جانبية لا تهمّ الناس في شيء. الرئيس حاد بالمشروع التصحيحي عن مصاره الطبيعي والجماهيري واختار لنفسه منزلة يصعب فهمها أو استيعاب مضامينها. سعيّد خاض كلّ الحروب الممكنة لكنه لم يحارب يوما وجهّز منصّة صواريخه ولكنه لم يطلق واحد. كما أنّه تمسّك بالحديث بلغة غريبة وإشارات غير مفهومة حتى خسر قدرته على التأثير وانحصرت شعبيته. اليوم يكفي مجرّد التراجع برهة الى الوراء لالتقاط كمّ الهفوات والأغلاط التي ارتكبها قيس سعيد طيلة فترة حكمه وخاصة منذ تاريخ 25 جويلية. كان يمكن أن يكون الوضع أحسن ممّا هو عليه الآن وكان بالإمكان أن يكون ضجيج المعارضة مجرّد هلوسات يقظة فقط لو أوفى سعيّد بوعوده ونفّذ ما تعهّد به في خطاباته السابقة. كان ذلك باليسير على الجميع ولكن سعيّد اختار البقاء في برجه العاجي يرمي الجميع الذنوب والعيوب دون أن يشرع حقّا في التعديل والتغيير والاصلاح. لكلّ هذه الاعتبارات بدأ «الرجل» يفقد بريقه الذي أعمى البصيرة في البدايات وبعد ان تفتّحت الأعين تفطّن الشعب الكريم الى أنّ اللاحقين تماما كما السابقين لا يبحثون سوى عن البقاء في سدّة الفناء... البقاء في السلطة مهما كانت التنازلات ومهما كان الغطاء.

لم يتحرّك الشارع لأنّ الناس فقدوا ثقتهم في الأفكار قبل الأشخاص ولكن هذا الشارع قد يتحرّك قريبا ولكن طواعية ودون سابق إنذار. قد يكون الهدوء الذي يسبق الانفجار لأنّ الجوع كافر والغلاء هالك ونداء الموت لا يحتمل الانتظار.

موقف

ثالوث 25 جويلية:

الاستئصاليون، الأنصار والمتهافتون

حمادي الرديسي
أستاذ العلوم السياسية وكاتب

تحمّس لقرارات 25 جويلية كم هائل من الناس يمكن حشدهم في ثلاث مجموعات هم الاستئصاليون والأنصار والمتهافتون. هم مجموعات غير متجانسة تتفق وتختلف، تتلاقح، تلتقى الى حد التماثل بينها وتتباعد الى حد التنافر خاصة أن القرارات الأولى تلتها أخرى جعلت العديد يتراجع عن المساندة العفوية الأولى. وهي وجوه نموذجية بمفهوم ماكس فيبر (IDÉAL-TYPE)، أي أنها صورة ذهنية لا تعبر عن واقع بعينه كما يتطابق المفهوم على الشيء الذي يرمز اليه بل إن الوجوه تتقاطع مع الواقع دون اختزاله. فالواقع أثرى ولكن الصورة الذهنية أبلغ.

أولا. الاستئصاليون: يرى الاستئصالي في 25 جويلية فرصة جديدة للتخلص من الإسلاميين مهما كان الثمن حتى على حساب حريته وبأية وسيلة كانت شرعية أو غير شرعية، بما في ذلك اقصاء الإسلام السياسي من الحياة السياسية وسجن زعمائه وربما بالنسبة للبعض أكثر من ذلك. هم لا يبالون بالفصل 80 وليس لهم هوس احترام الاجراءات. والاستئصاليون أنواع. وغضبهم لا ينفد. منهم من يحمّل الخوانجية مسؤولية «عشرية الخراب» ومنهم من لا يؤمن بالثورة اطلاقا، وربما هناك منهم من لم يشارك في أية انتخابات. وفيهم الحداثي. وهم أنواع. منهم العلماني الليبرالي المدافع عن حق الجميع في الوجود وفيهم الاستئصالي التسلّطي الذي يريد قطع دابر الاسلاميين. وفيهم الذي يعتقد في ديمقراطية دون إسلاميين عملا بشعار «لا حرية لأعداء الحرية» ولم يتعظ بدرس 7 نوفمر 1987. وقد يكون الاستئصالي مواطنا عاديا، كما يعادي المتدين المحافظ والمتصوف وممثل إسلام الدولة الإسلام السياسي الذين يرون فيه هرطقة وتشددا. وهذه الأنماط تكفي. يساند الاستئصاليون 25 جويلية شريطة أن يخلّصهم سعيّد من الإسلاميين فقط. ويسحبون المساندة كلما اقترب منهم. لذلك تكون المعاداة للإسلاميين ورقة سياسية مربحة، تقاس بها الشعبية. تصعد أسهم سعيد في سبر الآراء بقدر ما يضيق (لا غير) على الإسلاميين لامتصاص نقمة الاستئصاليين.

ثانيا، الأنصار. خلافا للاستئصالي المهموس بإقصاء النهضة لا غير، ينحاز لقيس رأسا ولا لغيره. ما يميزه هو نصرة الرئيس لشخص الرئيس. وهو متقبل لكل قراراته ولا يشك في قدراته. خاصيته المميزة الولاء المطلق. لا يلتزم بمنظومة 25 الا لأنها من وحي الرئيس. وله أن يستبدلها لو شاء. لا يؤمن بنظام قائم ولا بدولة. لا يبالي بالقانون ولا يعبأ بسياسيين. يكره الأحزاب وينكل بكل من ينتقد الرئيس. هو كائن غريب ظهر على حين غرة خلال الحملة الانتخابية في ثوب شاب يتلهى بالشبكة العنكبوتية قبل أن يثبّت عوده ليقول لنا: أنا انتسب الى نواة «أنصار قيس سعيد» (ما يقارب 30 صفحة ومجموعة فايسبوكية، و120 أدمين وجمهورا بالملايين) «، تعمل منذ 2011 تحت جنح الظلام ، تترصد هذه اللحظة التاريخية للتخلص من النظام التمثيلي (أي الديمقراطي) لإرساء فوضى عارمة. هذه هي السردية السريالية التي تنبئ بالجمهورية الجديدة. وهي تشكل خطرا على العيش المشترك. هنالك درجات في النصرة. أهمها بعد الكائن الغريب يأتي مستشار الأمير. ويتجسد الدور في رجال القانون الذي دخلوا هكذا في سجال مع مراهقي فايسبوك حول البناء القاعدي. وكثيرا منهم يدلي بنصائحه عبر فايسبوك يأسا من مقابلة الرئيس. ولم نقرأ لهؤلاء ولو مقالة علمية جدية في الموضوع. وأيضا مثقفون تجرّأ بعضهم على مقارنته بديغول ونابوليون والدالاي لاما. وقال بعضهم ما قالت العامة من إمامة المفضول على الأفضل (ترجمتها «هو خير من غيره»). ويأتي في الدرجة الأخيرة خلف الخلف. أناس عاديون، يغفر لهم. ومنهم الصالح والطالح، وحسب سبر الآراء فيهم الشباب والكهول والمتعلمين، والنسوة وكل من لم يفقد الثقة في شخص الرئيس الصدوق ومن لم ير غيره لو جرت الانتخابات، ان جرت.

ثالثا، المتهافتون. خلافا للمناصر الموالي رأسا لسعيد، يناقض المتهافت نفسه باستمرار. لا يستقر على أمر. هو سياسي محترف. أو متحمّس مغرم، أو مثقف فضولي أو «نفس مومنة»، مواطن صالح غيور. كل منهم غيّر رأيه عندما خاب أمله في ما ترتب عن 25 جويلية من «هزّان ونفضان». أكبر متهافت هو السياسي الذي بايع 25 ظنا منه أن التخلص من النهضة بطريقة غير دستورية يتيح الفرصة لإعادة توزيع الأوراق بشكل قد يكون له فيها نصيب اما عبر انتخابات سابقة لأوانها أو عبر صيغة أخرى. اعتقد المتهافت أن سعيد مدير أعمال لصالح الغير أو «محلل» زواج المطلقة بثلاث. هذا ما اعتقد الجميع في قيس سعيد بمن فيهم النهضة في انتخابات 2019. أو أنه يرد الاحسان بالإحسان. فتسارع جلهم للقول إن 25 هو الحل قبل أن تتبخر آمالهم. يبارك المتهافت جويلية 25 ويرفض 22 سبتمر. يقبل بـ 22 ويرفض رزنامة 13 ديسمبر. يقبل بـ13 ويرفض حل البرلمان. يقبل بحل البرلمان ولا يريد الغاء الدستور. يقبل بالغائه ولا يريد تحوير القانون الانتخابي. وفيه أنواع أخرى. ممّن يقبل بالمنظومة قطعة لف الى من يطالب بالحوار. وفي الحوار أنواع. من لا يقبله مع جماعة ما قبل 25 والخونة وباعة ضمائرهم والمتمسّحين على أعتاب السفارات والمناوئين والطامعين و»الخمّاج». وفيه من يقصي الإسلاميين فقط. وفي الحوار من لا يقصي الا من أقصى نفسه. وفي محتوى الحوار أخذ ورد. فيه الذين يريدون تحديد محتواه ومخرجاته وفيه القابلون بالمشاركة بالطلوق أي بالحضور الصوري في أي حوار. وفيه من لم يكن شيئا ويعول على الحوار ليصبح شيئا ما ومن يرفض ان تكون الاستشارة الالكترونية قاعدة ويلوح بمقاطعة الانتخابات وقد يشارك فيها لو نجح الاستفتاء. وفي الجماعة من يعتبر مكالمة هاتفية حوارا. ومن لم ييأس ومن هو غاضب. كل هذا مدعاة للحزن.

الشارع المغاربي

تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي - رافع الطبيب - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - نادر الحمامي - نهلة عنان - أنس الشابي

مستشارو التحرير :
المنصف السليطي - مسعود رمضاني - أنس الشابي - أسعد جمعة - كريم الميساوي - السيدة السالمية - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلّاح - عواطف البلدي

رئيس قسم الرياضة :
العربي الوسلاتي

الشارع القضائي :
لطفي واجه

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
أنور الشعافي- منى المساكني - صلاح بوزيان - أماني الخديمي - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - نائلة الشقراوي - حازم الشيخاوي - يوسف مارس

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

الاستشارات التاريخية :
د.محمد لطفي الشايبي

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مدقق لغوي:
نور الدين حميدي

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA
i@beta.com.tn

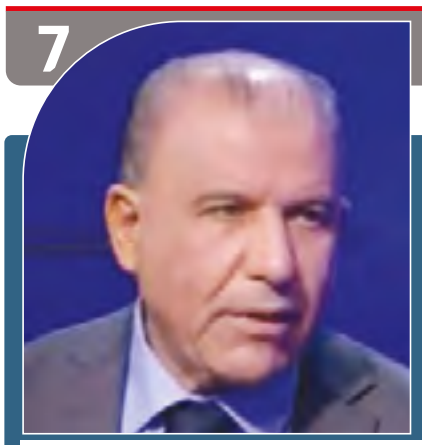

المديونية:

السلاح الذي يمكن فرنسا من السطو على تونس

بقلم : جمال الدين العويديدي

أعلن السفير الفرنسي إثر الندوة التي نظمتها جمعية التونسيين خريجي المعاهد العليا الفرنسية ATUGE عن استعداد تونس وفرنسا لتأسيس وكالة للتصرف في المديونية التونسية.

تصريح السفير الفرنسي يعود بنا مباشرة إلى زيارة «إيمانويل مولان» لتونس في شهر فيفري 2022 التي خلّفت جدلاً كبيرا لأن الرجل يشغل منصب المدير العام للخزينة الفرنسية ويترأس نادي باريس الذي يُمثّل مجموعة غير رسمية مُكوّنة من مسؤولين ماليين مُموّلين من 19 دولة تعد من أعتى الدول اقتصاديا في العالم. وتعنى هذه المجموعة بتقديم خدمات مالية للبلدان المُثقّلة بالدُيون خدمات ليست مجانية طبعا، مثل الموافقة لإعادة جدولة الديون بدلاً من إعلان إفلاسها، أو تخفيف عبء الديون بتخفيض الفائدة عليها، أو بإلغاء بعض الديون بعد التدخل بينها وبين دائنيها.

الملفت للانتباه في زيارة «إيمانويل مولان» إلى تونس والتي أثارت مخاوف مشروعة، تم تسريب الخبر عنها عبر إحدى وسائل الإعلام الفرنسية، المعروفة بقربها من دوائر السلطة والقرار في فرنسا. حيث كشف موقع «أفريكا إنتلجينس» أن رئيس «نادي باريس» إيمانويل مولان سيؤدي زيارة إلى تونس، بطلب من الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون،

(https://www.africaintelligence.fr/afrique-du-nord_diplomatie/2022/02/02/paris-envoie-son-patron-du-tresor-emmanuel-moulin-en-mission-speciale-a-tunis,109730938-art))

مشروع إنشاء وكالة التصرف في المديونية التونسية تحت إشراف فرنسي تم في مجلس نواب الشعب منذ سنة 2016 وتهدف إلى التفريط في المؤسسات العمومية

المدير العام للخزينة الفرنسية يُعتبر رمزا من رموز انتصاب الاستعمار الفرنسي في تونس حيث يُذكّر «باللجنة المالية» «La Commission financière». للتذكير فإن «الكومسيون المالي هو لجنة مالية دولية تشكلت بتونس عام 1869، تحت ضغط بعض الدول الأوربية، في ظرف اشتدت فيه الأزمة المالية التونسية واستحال على الدولة تسديد ديونها الخارجية التي بلغت آنذاك 125 مليون فرنك. وقد كانت تضم ممثلي أهم الدول الدائنة، وهي فرنسا وإيطاليا وإنكلترا. فكان الكومسيون المالي أحد مظاهر التدخل الأجنبي والفرنسي بالأخص في الشؤون الداخلية للبلاد التونسية من خلال إخضاع ماليتها للرقابة الدولية خاصة وأن المدير العام للخزينة الفرنسية كان يشرف على هذه اللجنة نيابة على الأطراف الأجنبية.

رغم هذا التاريخ المؤلم الذي يتشابه مع الوضع التي تعيشه البلاد اليوم، يتبين أن النص التطبيقي لمشروع إنشاء وكالة التصرف في المديونية تحت إشراف فرنسي تم في مجلس نواب الشعب منذ سنة 2016 حسب ما صرح به النائب فتحي العيادي عن كتلة حزب حركة النهضة الذي أكد دفاعه عن هذا المشروع مُعلنا «ضرورة إنشاء هذه الوكالة للتصرف في المديونية وفي المالية الخارجية للبلاد تحت مُسمّى فرنسيا «Tunisie Trésor» « «المالية التونسية». كما بين أثناء تدخله في جلسة عامة لمجلس نواب الشعب التأمت في بداية شهر ديسمبر 2020 للتداول في مشروع ميزانية وزارة الاقتصاد والمالية ودفع الاستثمار «أن الدولة في حاجة لهذه الوكالة التي تهدف إلى تمويل العجز في الميزانية العمومية وتمويل الدين العمومي حيث ستُوفّر موارد إضافية للدولة وتعمل على التحكم في المديونية...».

وقد أعلنت وزارة المالية أن «إنشاء وكالة «المالية التونسية» «Tunisie Trésor» التي كانت مُبرمجة لآخر سنة 2016 سوف تُعنى بالتصرف في المالية العمومية للدولة التونسية». كما أضافت الوزارة «أن هذه الوكالة سوف تكون لها «مُهّمة التصرف في المديونية العمومية المباشرة وغير المباشرة المتعلقة بالقروض التي تتحصل عليها المؤسسات العمومية بالعملة الأجنبية سواء كانت من الخارج أو من الداخل (من البنوك التجارية) وبضمان من الدولة التونسية» مع تحميل المؤسسات العمومية مخاطر انهيار صرف الدينار.

كما تم تكليف هذه الوكالة «بمهمة التواصل مع شبكات العلاقات الخاصة بالأسواق المالية الدولية من بينها المؤسسات والصناديق المالية والمستثمرين والوسطاء الماليين». وكذلك «تنظيم حملات إعلامية وجدولة لقاءات وزيارات مع الفاعلين في المجال الاقتصادي والمالي تهدف إلى التحكم في المديونية العمومية وإلى ضمان نجاح خروج تونس للاقتراض من السوق المالية الدولية...»

وقد عهد لهذه الوكالة «مهمة القيام بعمليات التدقيق الداخلي (التدقيق في المؤسسات العمومية المستهدفة) من أجل توفير الموارد المالية للدولة...»

مُهمّات عديدة وُكّلت لهذه الوكالة تبدو ذات بعد هام خاصة وأن هذه المُهمات صيغت بطريقة غير شفافة وفضفاضة. غير أنه في غاية الأمر يبدو أن خصخصة المؤسسات العمومية هي المستهدفة نذكر من بينها على سبيل الذكر لا الحصر: وكالة التبغ والشركة التونسية للكهرباء والغاز والشركة الوطنية لتوزيع البترول والشركة التونسية لتكرير النفط ومصنع الفولاذ والناقلة الوطنية تونس الجوية والبنوك العمومية الثلاثة المتبقية...

التدخل الفرنسي المباشر في الشأن الوطني تكرّس داخل البنك المركزي التونسي منذ سنة 2014 عبر « اللجنة التوجيهية للدراسة الإستراتيجية لإعادة إعمار وتنمية الاقتصاد التونسي:

البرنامج الخماسي 2015-2020 «

ما حدث في شهر جويلية 2014 داخل البنك المركزي التونسي يعتبر مخلا لكل المعايير السيادية في العالم. حيث تكونت لجنة رسمية سُمّيت «اللجنة التوجيهية للدراسة الاستراتيجية لإعادة إعمار وتنمية الاقتصاد التونسي: المخطط الخماسي 2015-2020»

«Comité de Pilotage de l'Etude Stratégique de Reconstruction et de Développement de l'Economie Tunisienne : Programme Quinquennal 2015-2020 »

https://www.bct.gov.tn/bct/siteprod/actualites.jsp?id=74

هذه اللجنة الرسمية التي يترأسها محافظ البنك المركزي تتكون من 16 عضو رسمي من بينهم وزير الاقتصاد والمالية التونسي والوزير المكلف بالشؤون الاقتصادية لدى رئاسة الحكومة ...وسفير فرنسا بتونس «فرنسوا قويات» والمدير العام للخزينة العمومية الفرنسي» ومعهد المتوسط - لتونس» وهو فرع تابع «لمعهد المتوسط -مرسيليا « وكليهما عضوين في «المنتدى الأورو-متوسطي لمعاهد العلوم الاقتصادية» بفرنسا « FEMISE « وهي لوبيات تفكير مُموّلة أساسا من الاتحاد الأوروبي. كما تتكون هذه اللجنة من تمثيلية الاتحاد الأوروبي بتونس.

هذه اللجنة تعتبر بمثابة لجنة صياغة مخطط خماسي وطني... يتكون بعضوية السفير الفرنسي والمدير العام للخزينة العمومية الفرنسي؟

أخطر ما تمخض عن هذه اللجنة هو أن الطرف الفرنسي أقنع أو بالأحرى اتفق مع الطرف التونسي على دفع المؤسسات الوطنية العمومية الاستراتيجية وفي مقدمتها الشركة التونسية للكهرباء والغاز بأن تقترض من الخارج بالعملة الأجنبية وبضمان الدولة التونسية بدعوى أن رصيد تونس من العملة الأجنبية ضعيف، مع تحميل المؤسسات العمومية مخاطر انهيار سعر الدينار.

إذا ما علمنا أن الدينار انهار بنسبة 43% منذ الانطلاق بتفعيل قرار اللجنة التوجيهية وأن المؤسسات العمومية انهارت توازناتها المالية بصفة كارثية نتيجة هذا القرار على غرار ما جرى للشركة التونسية للكهرباء والغاز حسب وثائق موازناتها المالية السنوية بين سنة 2015 و2018.

في سنة 2016 قروض الشركة التونسية للكهرباء والغاز أصبحت بنسبة 99% بالعملات الأجنبية بينها 73,5% باليورو ووضعها المالي تدهور كثيرا بين سنة 2015 وسنة 2018 نتيجة انهيار الدينار في نفس المدة. هذه النتائج لا يمكن الاعتقاد أنها عفوية.

إعلان السفير الفرنسي عن إنشاء وكالة التصرف في القروض عبر ندوة جمعية ATUGE ليس صدفة

إذا ما اضفنا على ذلك ما أفضت إليه دراسة في العلوم الاستراتيجية السياسية والاجتماعية قامت بها خبيرة ألمانية أصدرتها سنة 2008 حدّدت بمقتضاها الوسائل العملية المُعتمدة من طرف الاتحاد الأوروبي للضغط والتمكين من مفاصل القرارات السياسية والاقتصادية لبلدان شمال إفريقيا تتبين لنا مدى أهمية النشاط الدؤوب الرسمي والجمعياتي لبلدان الاتحاد الأوروبي في وطننا سعيا لتحقيق أهدافهم في منطقتنا.

حيث شملت هذه الدراسة مقارنة بين كلا من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر تبيّن من خلالها أن تونس والمغرب في صدارة البلدان التي تتعرض إلى أقصى الضغوط للتحكم في قراراتها السيادية بمقتضى تغلغل بلدان الاتحاد الأوروبي في مفاصل الاقتصاد والسياسة داخلها عبر آليات عديدة.

من أهم هذه الآليات الاستراتيجية ذكرت الخبيرة الألمانية احتكار المبادلات التجارية حيث تمثل أعلى نسبة توريدا وكذلك تصديرا باحتساب منتوجات الشركات الأوروبية المنتصبة في كل من تونس والمغرب في إطار المناولة. كما ذكرت تواجد المهاجرين من تونس ومن المغرب بكثافة في بلدان الاتحاد الأوروبي خاصة في فرنسا وألمانيا وإيطاليا حيث أصبحت تحويلاتهم تمثل مصدر هام لتعزيز رصيد البلدين من العملة الأجنبية. وهي تمثل نقطة قوة في الظاهر ولكنها يمكن أن تمثل نقطة ضعف خطيرة بتم استعمالها من الطرف الأوروبي للضغط على كل من تونس والمغرب في حال عدم الاستجابة لمصالحها مثل تحقيق صفقات تجارية لصالح شركات أوروبية (عبر التهديد بتعطيل أو التقليص إداريا بدعوى الضرورة لتحويلات المهاجرين إلى بلدانهم).

كما ذكرت هذه الدراسة سعي بلدان الاتحاد الأوروبي إلى تشجيع النخب المحلية التونسية والمغربية بالدرجة الأولى خاصة منها التي تخرجت من المعاهد العليا والجامعات الفرنسية للانحياز لقيم الاتحاد الأوروبي وسياساته. وهو ما يتجلّى من خلال توظيف عديد الجمعيات من بينها جمعية ATUGE لخريجي المعاهد العليا الفرنسية.

في خاتمة هذا الموضوع الهام لا يسعنا إلا أن نؤكد أن مشروع إنشاء وكالة التصرف في المديونية التونسية تمت صياغته منذ 2016 في مجلس نواب الشعب من طرف حزب نداء تونس وحزب حركة النهضة والرئيس قيس سعيد تبنى نفس المشروع الذي يهدف للتفريط في مؤسساتنا العمومية الاستراتيجية في غياب بديل وطني يضع حد للمديونية عبر ترشيد التوريد وتنشيط الاقتصاد المنتج في قطاع الفلاحة والصناعة والصناعات التقليدية والخدمات.

في أخطاء قيس سعيد التاريخية والمعرفية

أنس الشابي

دأب رئيس الجمهورية على الاستشهاد بالنصوص الدينيّة وبأصحابها لإضفاء شرعيّة إضافيّة على خطابه. وقد لفت نظري هذه الأيام أنه استشهد بنصّ للشيخ البشير النيفر وقبله أشاد بالخضر حسين لمّا استقبل حفظة القرآن حيث ذكر أنه أوّل من تحدّث عن الحرية والحال أن محاضرة الشيخ في جمعيّة قدماء الصادقيّة التي ألقاها سنة 1906 لم تكن سوى استنساخا لِما جاء في كتب الفقه القديمة بخصوص الشورى والأموال والأعراض وغيرها ولا علاقة لها بمفهوم الحرية الذي نتداوله اليوم ويقصد به ما للمواطن من حقوق وما عليه من واجبات في مجتمع تحكمه القوانين والانتخابات التي تضمن مشاركة الشعب في الحكم. هذا المعنى مغيّب تماما لدى القدامى واللّبس يحدث عند استعمال المصطلح. فالقدامى يستعملون الحرية مقابل الاستعباد، ولدى المعاصرين ينصرف المعنى إلى الحقوق السياسيّة والاجتماعيّة. والمتأمّل في حصيلة مدونة الشيخ الخضر يلحظ أنه سلفي متطرّف غاية التطرّف. تدلّ على ذلك معارضته أية محاولة للتجديد الديني أو الثقافي. فقد نشر ردّا على كتاب طه حسين عن الشعر الجاهلي كما نشر ردّا على كتاب علي عبد الرازق عن الإسلام وأصول الحكم صدّره بإهداء للملك فؤاد الأوّل ملك مصر الذي كان يطمح لأن يصبح خليفة بعد إلغاء الخلافة العثمانية جاء فيه: "فلم ألبث قليلا حتى شهدت من حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم غيرة على دين الحق... دعتني إلى أن أقدّم إلى خزانته الملكية مؤلفا قمت فيه ببعض حقوق إسلامية وعلمية وهو (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) ورجائي أن يتفضّل عليه بالقبول والله يحرس ملكه المجيد ويثبت دولته على دعائم العزّ والتأييد". أما تعيينه شيخا للأزهر من قبل ثورة 1952 فحصل لأن رجال الثورة لم يجدوا يومها شيخا مناصرا لهم اذ كان كلّهم من أتباع النظام الملكي فلجؤوا إلى أجنبي ورشّحوا سودانيا بجانب الخضر ليقع الاختيار على هذا الأخير لأن السودان أيامها كان تابعا لمصر والملك كان يسمى ملك مصر والسودان ولم يطل بقاء الخضر شيخا للأزهر سوى سنة وبضعة أشهر استقال بعدها لأنه رفض الإصلاحات التي كانت الثورة تنوي القيام بها فعُوّض بآخر مناصر للثورة، وفي المحصلة يحمل استشهاد رئيس الدولة بالخضر موقفا سلفيا يتم الترويج له بتؤدة وبطء.

الشخص الثاني الذي استشهد به رئيس الجمهورية وظهر في الشريط دون صوت هو الشيخ البشير النيفر الجدّ للأب احميدة النيفر رئيس جمعية رابطة تونس للثقافة و التعدّد التي ينشط ضمنها نوفل شقيق الرئيس، والمقال المتحدّث عنه عنوانه "فصل الدين عن الحكومة" نشر في العددين الخامس والسادس من المجلّد التاسع من المجلة الزيتونية لسنة 1955 مساهمة في حوار دار أيامها حول العلمانية واللائكيّة شارك فيه الزعيم بورقيبة وعلي البلهوان وخلاصة مقال الشيخ النيفر: "فتكون الغاية التي ينتهى إليها مطمئن القلب أن لا خطر يهدّد أحدا من الناس ولا مصلحة من المصالح العامّة والخاصة أن تبقى الحكومة الإسلامية على صبغتها الحقيقية آخذة بزمام السلطتين الدينيّة والمدنيّة بل الخير كل الخير أن تبقى على جمعها الحميد، وقياسها على بعض الحكومات المسيحية التي فرقت بين السلطتين قياس ليس له من الحق جامع بل الفارق كفلق الصبح". إن الاستشهاد بالشيخ ونصّه ونحن مقدمون على استفتاء ليس بريئا ويحتاج منا إلى شيء من التثبت ذلك أن الشيخ النيفر في كل كتاباته وأغلبها منشور في المجلة الزيتونيّة تابع ولم يحدث أن خرج على المتون أو جاء بفكرة مخالفة لِما استقرّ عليه السلف. فلا نذكر له اجتهادا واحدا أو رأيا أو مؤلفا تميّز به عن أبناء جيله. فقد نشر حفيده احميدة مقالا عنه في مجلة "ليدرز" أجمل ما فيه الصور. أما ما تبقى من سواد فلا إضافة فيه على عادة بعض الإسلاميين الذين يصفون أنفسهم بالحداثيّين. من ذلك أنه ذكر بأن الشيخ باشر الخطابة في جامع الزيتونة "إلى سنة 1960 عندما رفض اعتماد الحساب في تحديد دخول رمضان وشوال... جملة مواقف الشيخ النيفر تعبّر عن استقلاله إزاء السلطة السياسية أيا كانت... وعندما أحيل مفتي الديار التونسية الشيخ العزيز جعيّط على المعاش في أفريل 1960... بهذه المناسبة دعاه كاتب الدولة للرئاسة والدفاع الوطني الباهي الأدغم لقبول خطة الإفتاء برغبة من رئيس الجمهورية، امتنع الشيخ عن القبول لجملة أسباب من بينها...." هذا الكلام مجانب للحقيقة ولا دليل عليه ممّا هو بين أيدينا من وثائق مكتوبة وشفويّة ويحتاج إلى تصويب كالتالي:

1) لما قرّرت الدولة اعتماد الحساب اختلف الشيوخ حول المسألة. ففيما يخصّ الشيخ البشير صلّى صلاة العيد سنة 1960 اقتداء بالرؤية في مصر وهو ما أثار غضب بورقيبة الذي أقاله مباشرة.

2) لبورقيبة علاقة وطيدة بالشيخ البشير إذ يحفظ له معروفه لمّا كان لاجئا في مصر. روى لنا الأستاذ البشير البكوش حفظه الله في ما نقل عن المرحوم حمادي الساحلي أن الشيخ البشير كان كثير السفر لأداء فريضة الحج وانه كان في كلّ مرّة ينقل الأموال للزعيم في مصر الأمر الذي يعني أن الشيخ لم يكن مستقلا عن السلطة مثلما يشيع حفيده بل كان منخرطا فيها وحتى في فرعها الداعي إلى الاستقلال وإن بتخفّ واحتشام.

3) القول بأن بورقيبة رغب في أن يتولّى الشيخ البشير الإفتاء بعد تقاعد الشيخ العزيز جعيط في غير محلّه فلا يعقل أن يعزل بورقيبة الشيخ سنة 1960 ويقترح تعيينه في منصب أرفع في نفس السنة علما بأن منصب الإفتاء بقي شاغرا سنتين إلى أن عُيِّن فيه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور.

والذي تهمّنا الإشارة إليه هو أن الاستشهاد بالسلفيّين كلّما سنحت الفرصة يؤكد أن خطابهم المغرق في الرجعية والتكلّس مكوّن من مكوّنات برنامج رئيس الجمهورية الذي لم يصرّح به ولا نعلم حقيقته بالتفصيل إلى الآن.

الدّولة، النّظام والسّلطة

د.رضا مقني - باحث في التّاريخ المعاصر

أدخل دوما الجدل المتعلّق بتحديد موقف من الدّولة وطبيعة النّظام السّائد وشكل السّلطة السّياسيّة ارتباكا معرفيّا انعكس سلبا على برامج وخطط الأحزاب.

وعاشت «اليسارات» التّونسيّة واليسار العالمي عامة حالة الارتباك الفكري هذه في ضبط خططها المرحليّة والبعيدة حين بنت مقاربات خاطئة في تحديد طبيعة الدّولة والسّلطة. وقد اعتبر لينين محقّا «أنّ مسألة الدّولة من أكثر المسائل تعقيدا لأنّها تمسّ أكثر من أيّة مسائل أخرى مصالح الطبقات السّائدة.»

فحين يزاح التّحليل الطّبقي للقوى الفاعلة في المجتمع ويصبح الشكل الحقوقي والقانوني هو كل شيء وتهمّش العلاقات الاقتصاديّة ومراكز نفوذ الطّبقات المسيطرة على الدّولة وأجهزتها (قضاء – إدارة – جيش – بوليس) تتحوّل الدّولة إلى مجرّد «ذات معنويّة» وتبدو للمتابع والمشاهد وكأنّها «أوّل قوّة فكريّة فوق الإنسان». (أنغلس)

غير أنّ الواقع مخالف تماما لذلك. فطبيعة الدّولة تحدّدها إجمالا الحاجات المتغيّرة للمجتمع وسيطرة هذه الطبقة أو تلك وفي آخر الأمر تطوّر القوى المنتجة وعلاقات التّبادل (أنغلس). يصبح بمقتضى ذلك دور القوانين والتّشريعات المصادقة على العلاقات الاقتصاديّة التي تقوم بين الأفراد والفئات الاجتماعيّة لصالح الطبقات الحاكمة السّائدة والمتحكّمة في النّظام والسّلطة.

نعتقد في نظرنا أنّ هذه المنطلقات الأساسيّة في تحديد مفهوم الدّولة ضروريّة حتّى نتباين مع التّصوّرات المثاليّة التي تتهرّب من تحديد علمي للدّولة والنّظام لكي تبرّر تزلّفها وتملقها للسّلطة الحاكمة متجنّبة طرح واضح لبديل ثوريّ للدّولة القائمة يفسد ودّها مع الماسكين بمراكز النّفوذ.

فحين يتحدّث باكونين الفوضوي عن «الدولة التي تشابه مجزرة كبيرة أو مقبرة هائلة تذبح فيها كل الطّموحات الفعليّة وكل قوى البلاد الحيّة» ثمّ يصرخ عاليا متمرّدا «نحن لاسلطويّون» فإنّه لم يفعل سوى أن جرّد المعارضين للبورجوازيّة من سلاح نظري وصوّب سهاما نحو هدف مجهول وغير دقيق.

وحين ترتفع عقيرة البعض صياحا «أنّ الدّولة هي لخدمة المصلحة العامّة» مهدّدة ومتوعدّة بالتّصدّي لكل من يمسّ من «هيبة الدّولة» فإنّ هؤلاء ينسون أنّ التّجربة التّاريخيّة شهدت قيام وسقوط دول وتغيّر أنظمة وأشكال سلطة. فحتّى هيغل الذي قال «كل ما هو واقع معقول وكل ما هو معقول واقع» مبرّرا ظاهريّا الدّولة الألمانيّة المستبدّة والبوليسيّة الموجودة في الواقع والمناسبة للعقل بقدر ما هي ضروريّة واصل نهجه ولم يتوقّف عند هذا الحدّ مؤكّدا «أنّ ما كان واقعا في ما مضى يصبح في مجرى التّطوّر غير واقع ويفقد حقّه في الوجود وصفته المعقولة»(أنغلس).

لقد عاش اليسار التّونسي صراعات في تحديد طبيعة الدّولة التّونسيّة ونظام الحكم وشكل السّلطة منذ 1956 إلى يومنا هذا. واتّسع الجدل والنّقاش لاحقا ليشمل تجارب عربيّة لها خصوصياتها مقارنة بتونس ونعني بذلك تجارب الأنظمة ذات التوجهات القومية العربية (مصر والعراق وسوريا وليبيا أساسا).

فقد دافعت حركة «آفاق» عن مقاربة اعتبرت دولة 1956 دولة تحكمها الطبقة البورجوازية بسلطة مستبدة ودعت لـ»ثورة اشتراكية» ولـ»سلطة العمال».

لكنّ الطرح الوطني الديمقراطي، ممثلا في «منظمة الشعلة» أساسا في مرحلة أولى ثمّ مجموعات أخرى، تحدّث عن دولة كبار البورجوازيين(الكمبرادور) وكبار الفلاحين والمالكين العقاريين وصنّف النظام كنظام لاوطني ولاديمقراطي ولاشعبي يمارس دكتاتورية بوليسية ولم تنخدع هذه المقاربة بحدث 7 نوفمبر 1987 واعتبرته انقلابا عسكريا داخل السلطة في إطار صراع أجنحة داخل الدّولة على موازين القوى والنّفوذ وكان لحزب العمال نفس الموقف.

بوسعنا القول إن الوقائع التاريخية والاختيارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وخاصة منذ عشرية السبعينات أثبتت أن المقاربة الوطنية الديمقراطية أقرب إلى الواقع وأن حال تونس هو حال أغلب بلدان القارات الثلاث التي لم تحقّق استقلالها الاقتصادي ولم تنجز ثورتها الصناعية والفلاحية.

وكان برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية هو البديل لهذا الواقع فدافع عن النضال من أجل استقلال فعلي على جميع الأصعدة ودعا لإقامة سلطة ديمقراطية شعبية من الطراز الجديد تأثرا بتجربة الصين الشعبية وبثورات بلدان جنوب شرقي آسيا.

غير أنّ بعض المدافعين عن هذا الطرح ارتبكوا وارتكبوا خطأ فادحا حين لم يبصروا إمكانية حصول تغيرات في شكل السلطة بفعل النضالات الشعبية وتفاقم أزمة نظام الحكم والأجنحة المتصارعة في صلب الدولة وتمسّكوا بطرح استراتيجي بعيد المدى وأهملوا المعالجة المرحلية للواقع.

داهمت الأحداث المتسارعة منذ 2008 إلى 2011 هذا الطرح وكانت انتفاضة 14 جانفي التي أسقطت الجناح المستبد والدكتاتوري في السلطة وحققت مكاسب في مجال الحريات العامة والفردية رغم هشاشتها.

هذه المداهمة السريعة وغير المتوقعة بالنسبة للبعض جعلتهم يتناسون تماما القراءة الطبقية للدولة والنظام وللمبادئ الأساسية للخط الوطني الديمقراطي. وسقطوا في خلط غريب بين مفهوم النظام ككل وشكل السلطة فراحوا يتحدثون عن «ثورة 14 جانفي 2011 » وانخرطوا في المسار كليا منادين بجمهورية ديمقراطية اجتماعية مراهنين على الانتخابات وعلى الدستور والتشريعات لتغيير الواقع متناسين أنّ مراكز الطبقات الاجتماعية لم تتغير وأن ما حصل ليس سوى مجرد تبدل طفيف في منظومة السلطة وفي الشكل الذي اتخذته الطبقات الحاكمة في الدفاع عن نفوذها.

ولّما اتضحت تدريجيا فداحة خطأ التصورات والأوهام التي بنيت وعُلّقت على حدث 14 جانفي التفتوا لتبريرات سطحية كالحديث عن «الدولة العميقة» وغيرها من البراهين غير العلمية والمنافية للمرجعيات والمبادئ الجوهرية.

فلم يفهم بهذه الصورة الصراع بين اليمين الديني الممثل في حركة «النهضة» واليمين الليبرالي الذي كانت واجهته «نداء تونس» أنه مجرد صراع أجنحة داخل سلطة الدولة القائمة منذ 1956، وأنّ الجناحين لم يفعلا سوى المحافظة على النّظام واختياراته الاقتصادية والاجتماعية. وانخرطت قوى يسارية وأخرى انتمت للطرح الوطني الديمقراطي في لعبة الصراع هذه وانضمت لـ»جبهة الإنقاذ» ودعت للتصويت للباجي قائد السبسي الذي تصالح لاحقا مع الجناح الآخر في إطار ما سمي بسياسية «التّوافق».

لم يستوعب الذين انخرطوا في هذه المنظومة ما حصل. ولم يستخلصوا الدروس ولم ينخرطوا في مراجعة مواقفهم وتقييم خططهم وتكتيكهم خلال العشرية الماضية وسقطوا في لحظة 25 جويلية في نفس الخطأ ثمّ تدارك بعضهم واقتنع بأنه «لا مصلحة للشعب في دعم صراع جناح في السلطة مع آخر».

بقي أن نعود، مثلما أشرنا في مستهل المقال، لتجارب أخرى تعالج فيها إشكالية الدولة والنظام والسلطة بنوع من الخصوصيّة ردا على الهجمة التي تتعرض لها هذه التجارب. فقد بلغت قوى قومية عربيّة السلطة في عدة أقطار وسقطت أغلبها باستثناء واحدة. وكان الوصول للسلطة بأسلوب الانقلابات العسكرية ولم يكن بفعل ثورات شعبية. وأزاحت هذه القوى الجناح اللاوطني من السلطة واتخذت قرارات عديدة ذات طابع وطني اقتصاديا وشعبية على المستوى الاجتماعي وناصرت نهج المقاومة في فلسطين. لكنّ هذا الجناح الوطني في السلطة لم يغير طبيعة النظام الاقتصادي والاجتماعي جوهريا. ولم يدخل تحولات نوعية على مراكز الطبقات الاجتماعية. ولم يطلق طاقات الجماهير لتراقب وتقيم وتحكم بإقرار الحريات العامة والفردية والسماح للقوى الوطنية وللمنظمات الجماهيرية بممارسة أنشطتها دون وصاية مباشرة مع احترام استقلاليتها التنظيمية والسياسية.

لم يستوعب بعض القوى اليسارية والتقدمية خصوصية هذه التجارب. ولم يفهم أنّه مثلما يمكن أن يزاح جناح مستبدّ في السلطة ليستبدل بجناح «ليبرالي» فإنه من الممكن أن يوجد في السلطة في ظرف تاريخي معيّن وبأسلوب نضالي محدد جناح وطني يكون وجوده مهدد وهشّ إذا لم يتقدم في إنجاز فعلي للثورة ولتحول نوعي في النظام. ولذلك ساندت العديد من القوى اليسارية المؤامرات التي حيكت ضدّ النظامين الليبي والسوري ثمّ تداركت لمّا اتّضحت فداحة الخطأ المقترف.

إنّنا نحتاج، وهذا ليس إضاعة للوقت ودون فائدة مثلما ذكر ذلك نادر الحمامي (الشارع المغاربي عدد 309) إلى رفع الغشاوة عن مفاهيم جوهرية وأساسية مثل الدولة والنظام والسلطة وألا تحصر هذه المفاهيم في صيغ مجردة قانونية وحقوقية أو «فكرة أخلاقيّة» أو تركيز مبالغ فيه على تصور للسلطة خارج التناقضات الاجتماعية وخوف مضخّم من النضالات والهزات الاجتماعية طبقا لتصوّر حنا أرنت (Hannah Arendt) التي رأت في الأنموذج الأمريكي للسلطة الأنموذج الأصلح متناسية أنّ أمريكا توحّدت بعد حرب أهلية دامية دامت من 1861 إلى 1865.

المراجع

1) أنغلس، لودفينغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية.

2)نيكوس بولانتزاس، السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية.

3) ماو تسي تونغ، الديمقراطية الجديدة.

4) ميخائيل باكونين ، الإله والدّولة.

5)Bernard Quelquejeu ,La nature du pouvoir selon Hannah Arendt,Revue des sciences philosophiques et théologiques ,Mars 2021.

تونس تلج أسفل ترتيب مؤشرات الحوكمة الجيّدة

الصورة في منتهى القتامة، فما الحلّ؟

معز زيّود

حازت تونس الرتبة 72 عالميّا من ضمن 104 دولةً في "مؤشّر الحوكمة الجيّدة" الصادر مؤخرا عن معهد شندلر للحوكمة بسانغفورة، غير أنّها تردّت إلى حافّة القاع في مؤشر "جاذبيّة السوق المحليّة" وفق هذا التصنيف ذي المصداقيّة العالية في العالم. صورة قاتمة أخرى تُنبئ بقرب مواجهة البلاد لأيّام جدًّا عسيرة...

قبل الثورة لم نكن نأخذ كثيرًا بالتصنيفات والمؤشرات الدوليّة للحوكمة الجيّدة ومقاومة الفساد والقدرة على استقطاب الاستثمارات الخارجيّة، وذلك بالنظر إلى أنّ النظام السابق كان يعمل ليلا نهارا على تلميع صورته بهدف إخفاء طبيعته الاستبداديّة. أمّا اليوم فقد تبيّن أنّ البلاد قد تعرّت تمامًا أمام المؤسّسات الدوليّة فتهاوت كلّ مؤشّراتها، إلى درجة انتفاء ما يمكنها أن تُلمّع به صورتها أصلا جرّاء سياسات متذبذبة وقرارات غير صائبة تتحمّل مسؤوليّتها بدرجات متفاوتة كافّة الحكومات المتعاقبة على امتداد 11 عاما إلى حدّ اليوم.

وبدلا من الانكباب على تبصّر تلك التصنيفات والمؤشرات المتراجعة بشكل تصاعدي من أجل معالجة الأوضاع المتدهورة على كافّة الأصعدة، أوغلت السلطات التونسيّة في قبر رأسها في التراب عملا بسياسة النعامة. وبلغ الأمر في نهاية المطاف حدّ السخرية المعلنة من مؤسّسات التصنيف الدوليّة من قبيل وصف رئيس الجمهوريّة لها بـ"أمّك صنّافة". واليوم تجد تونس نفسها على شفا الهاوية، وربّما تتقدّم خطوة أخرى إلى الأمام، كما قال الرئيس الجزائري الراحل الشاذي بن جديد. ومثلما أجاب الأشقاء الجزائريّون رئيسهم يومها، نقول اليوم: شكرا سيادة الرئيس، فقد أوقعتنا خطوتك في هول تلك الحفرة!.

نسوق هذا المثال بمرارة لأنّه لا يمكن لمراقب رصين أن يُشكّك في مؤشّرات مؤسّسات دوليّة معروفة بمصداقيّتها وبصرامتها العلميّة في صياغة مؤشّراتها، على غرار معهد شندلر للحوكمة بسانغفورة المعروف باعتماد "مؤشّر شندلر للحوكمة الجيّدة"(Chandler Good Governance Index (CGGI) . وهو ما يُعدّ دوليّا المؤشّر الأكثر اكتمالا في مجال تقييم العمل الحكومي على أصعدة متعدّدة، باعتباره يضمّ سبعة مقاييس تُحيل بدورها إلى 34 مؤشرا فرعيّا. وتتوزّع أسس التقييم السبعة تلك على: -1 مؤسّسات قويّة، و-2 سياسات وقوانين متينة، -3 القيادة والقدرة على الاستشراف، -4 التصرّف في الماليّة العموميّة، -5 جاذبية السوق المحليّة، -6 السمعة والتأثير العالمي، -7 القدرة على تعزيز ارتقاء السكّان. ويُعدّ مؤشر الحوكمة الجيّدة عموما أداة عمليّة تُتيح للحكومات فهم قدراتها ومدى فعاليّتها ومقارنتها بالبلدان الأخرى.

ما وراء المؤشّرات العامّة!

على الرغم من أنّ تونس التي حازت الرتبة الـ72 جاءت وفق هذا المؤشر بعد كلّ من المغرب والأردن مثلا، فإنّ الإشكال الأخطر لا يكمن في هذا الترتيب العام وإنّما في بعض المؤشّرات الفرعيّة المرافقة. فلئن حصلت المغرب على ترقيم مشرّف بـ0.62 في مؤشر "جاذبية السوق المحليّة"، فإنّ تونس سجّلت ترقيما متردّيا جدّا لم يتجاوز 0.44 ممّا جعلها تتهاوى إلى كوكبة الدول العشر الأخيرة في هذا المؤشر، بالنظر إلى إدراجها في الرتبة الـ94 من ضمن 104 دولة. وحتّى نستوعب هذا الترقيم بشكل تقريبي أكثر وضوحا، فإنّ لبنان التي تشهد حالة إفلاس خلال الفترة الأخيرة قد حصلت على ترقيم أفضل من تونس يصل إلى 0.54 وهو ما يجسّد خطورة ما آلت إليه صورة تونس في الخارج، بدليل تصنيفها في ظلّ أوضاعها الحاليّة ضمن الدول الأقلّ قدرة على جذب الاستثمارات الأجنبيّة. أمّا المؤشر الرديء الثاني، فيتعلّق بمؤشر "التصرّف في الماليّة العموميّة"، إذ حازت تونس الرتبة الـ83، في حين أتت في الرتبة الـ77 بالنسبة إلى مؤشر "السمعة والتأثير العالمي". وهكذا فإنّ معظم المؤشرات المتعلّقة بصورة تونس في الخارج قد باتت متأبّطة بآخر ترتيب دول العالم في المجالات المتعلّقة بالحوكمة الرشيدة.

يؤكّد كمال العيّادي رئيس "المركز العالمي لمحاربة الفساد" والمستشار لدى المؤسّسة السنغافورية التي أصدرت هذا التقرير، في تصريح لـ"الشارع المغاربي"، إنّ "هذه المؤشرات السلبيّة الخاصّة بتونس لم تُفاجئ حقيقة، ولم تتجنّ علينا لأنّها تعكس واقع البلاد، في ظلّ ما تشهده من تردٍّ على مختلف الأصعدة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة". كما أكّد أنّ لتلك المؤشرات تأثيرا مباشرا على رؤية المستثمرين الأجانب وعلى فرص الشراكة الاقتصاديّة، مبيّنًا أنّ هناك اليوم شراكة بين القطاع الخاص ومثل هذه المؤسّسات البحثيّة في إنتاج المؤشرات لأنّها تشكّل مرآة حقيقيّة لأوضاع الدولة على مختلف الأصعدة. ولتبسيط الأمر، أوضح العيّادي أنّه مثلما تلتجئ الدول إلى سفاراتها للحصول على معلومات وتقارير لمعرفة أوضاع هذه الدولة أو تلك، فإنّ القطاع الخاص المتمثّل في الشركات الاستثماريّة العالميّة تُعوّل على مثل هذه المؤسّسات المستقلّة في معرفة الأوضاع الحقيقيّة لمناخ الأعمال في دولة ما بهدف استشراف مآل استثماراتها قبل المغامرة بالاستثمار فيها.

بوصلة للاستثمارات الأجنبيّة

كمال العيّادي الذي سبق له رئاسة الاتّحاد العالمي للمنظمات الهندسيّة (WFEO) شدّد أيضا على أنّ شركات القطاع الخاص لا تكتفي برصد المؤشّر العام وترتيب الدول، بل غالبًا ما تهتمّ بالتفاصيل وتُجري قراءة عميقة لتلك المؤشّرات الفرعيّة وتدرس كيفيّة احتسابها لأنّها تقدّم تشخيصا أكثر دقّة وتفصيلا عن حقيقة الأوضاع القائمة.

وفي المقابل، فإنّه من المؤسف ألّا يكون هناك اهتمام بمثل هذه المؤشّرات في تونس، على الرغم من أنّ هذه المؤسّسات على غرار "معهد شندلر للحوكمة" تُعطي للدول إمكانيّة للمراجعة لأنّها تحرص على توخّي أقصى ما يمكن من الدقّة العلميّة حتّى تعكس مؤشّراتها الوضعيّة الحقيقيّة التي يشهدها بلد معيّن، كما هو الحال بالنسبة إلى تونس التي سجّلت ككلّ مرّة حضورها بالغياب. والحال أنّه كان بإمكان الحكومة التونسيّة الوقوف على مسبّبات تلك المؤشّرات السلبيّة وتبصّر دلالاتها والاشتغال عليها من أجل تغييرها وتحسين ترتيب البلاد مستقبلا، لاسيما أنّه يعكس صورة الوجهة التونسيّة في الخارج ويُؤثّر في تحديد نصيبها من الاستثمارات الأجنبيّة. ويكفي للوعي بأهميّة هذا الطرح إجراء مقارنات بسيطة بين حجم الاستثمارات الأجنبيّة المباشرة المتدفّقة على المغرب والأردن مثلا وتلك التي تتعثّر في الوصول إلى تونس.

مقاربة دغمائيّة

هناك شبه إجماع في تونس اليوم على أنّ الخطاب الرئاسي المشحون بالتهديد والوعيد، دون تسجيل أيّ نتائج فعليّة ملموسة على مستوى الحوكمة الرشيدة ومحاربة الفساد، قد أدّى إلى نتائج عكسيّة بل وتسبّب في إيقاف حال البلاد وشلّ أوصالها. ولا أدلّ على ذلك من التراجع السلبي الرهيب لكافّة التصنيفات والمؤشرات الدوليّة الراصدة للاوضاع السياسيّة والاقتصاديّة في تونس.

في هذا المضمار، يذهب كمال العيّادي إلى أنّ المقاربة المعتمدة في مكافحة الفساد المستشري أضرّت بصورة تونس كثيرا. فقد بتنا نعتمد مقاربة دغمائيّة في مقاومة الفساد، بل وجعلنا منها عقيدة. وأصبحنا نتحدّث عن مكافحة الفساد أكثر ممّا يلزم. وهو ما يؤثّر في صورة البلاد دون فعل أو تغيير حقيقي. ومن ثمّة بات الخطاب السياسي حول مقاومة الفساد أكبر بكثير من مقاومة الفساد نفسه.

لا يتعلّق الأمر هنا بمجرّد تحاليل وقراءات شخصيّة للوضع السائد، بل يعكس مضامين دراسة مسحيّة تصدر قريبا أعدّها رئيس "المركز العالمي لمحاربة الفساد"، وتستفتي حوالي 300 إطار سامي للدولة ممّن أحيلوا إلى التقاعد، وهم شخصيات من وزراء قدامى ورؤساء مديرين عامين ممّن لديهم تجارب كبرى في التصرّف العمومي. هذه الدراسة أظهرت أنّ قرابة 90 بالمائة من هؤلاء المستجوبين يُقرّون بأنّ كلفة محاربة الفساد اليوم أصبحت أكبر من الفساد في حدّ ذاته. فمن المفارقات أن يصبح الفساد أكثر رفقا بالبلاد من مكافحة الفساد بالشكل الذي يجري به الآن. ويعود ذلك إلى عوامل عدّة في مقدّمتها تشديد ترسانة القوانين إلى درجة تعطيل التصرّف العمومي. كما أنّ طرق التعاطي مع قضايا الفساد باتت تؤثّر على معنويّات المسؤولين وجعلتهم يخشون من تبعات اتّخاذ القرار وأدّت إلى شلّ قدرتهم على المبادرة.

وتفيد أحد المصادر أنّ بعض المؤسّسات العموميّة تكبّدت خسائر بملايين الدينارات جرّاء عدم تنفيذ صفقات عموميّة في وقتها بسبب الزيادات في الأسعار المتعلّقة بالشراء العمومي. ويرجع ذلك إلى أنّ المتصرّف العمومي يمتنع عن القيام باجتهادات لاحترام الآجال، خشيةَ أن يجد نفسه مورّطا في قضيّة فساد إداري لا ناقة له فيها ولا جمل. وهو ما يعني أنّ المسؤول اليوم قد يُحاسب على مخالفة إجراء بسيط ولا يُحاسب في حال تسبّب في خسارة الدولة بمقدار 5 مليون دينار كما حدث فعلا.

ويُحيل التوجّه السائد في البلاد اليوم إلى تسبّب السلطات في تكريس عقليّة إداريّة لا تُشجّع على الاجتهاد لضمان مصالح الدولة، جرّاء تعقيد الإجراءات بحثا عن النزاهة والشفافيّة الشكلانيّة الظاهرة. يقول كمال العيّادي، في تصريحه لـ"الشارع المغاربي" أنّ الخطاب الرسمي أضحى مخيفا، إذ لا يستثني أحدا ولا يُميّز بين شخص ارتكب خطأ أو خالف إجراء بسيطا من باب الاجتهاد وشخص آخر ضالع في الفساد. فقد بات الهدف احترام الإجراءات وليس تحقيق الغاية المنشودة من السياسات العموميّة. وهو يستدعي إجراء وقفة تأمّل عميقة من أجل الخروج من هذا المأزق الحقيقي، وخاصّة من هذه المقاربة الدغمائية لمكافحة الفساد، وفق تسمية العيّادي. والحال أنّ مقاومة الفساد تحتاج قبل كلّ شيء إلى مقاربة اقتصاديّة ورصانة سياسيّة ورؤية إستراتيجيّة واضحة.

ومن ثمّة فإنّ تعقيد المناخ العام بخطاب مغرق في السلبيّة ومشحون دائما بالتهديد والوعيد، لم يؤدّ إلّا إلى مزيد تعكير أوضاع البلاد ورسم لها صورة قاتمة تُجسّدها مؤشرات المؤسّسات الدوليّة، لاسيما أنّها لم تُحقّق الحد الأدنى من نتائجها الفعليّة المشتهاة. كما أنّ فرض إجراءات إداريّة متشعّبة وخانقة من أجل الوصول إلى نسبة صفر فساد قد أدّى إلى تعقيد عمليّة التسيير والتصرّف العموميّين، فباتت نتائج الحرب على الفساد أسوأ بكثير من الفساد في حدّ ذاته!..

هل يُعقل أن تقتني الدولة الحبوب من الفلاح التونسي بنصف ما تدفع للفلاح الروسي؟

عز الدين سعيدان

تحقيق الأمن الغذائي أصبح الشغل الشاغل للعديد من الدول حول العالم. إيجاد استراتيجية لتحقيق الأمن الغذائي وليس الاكتفاء الذاتي فحسب هو في حقيقة الأمر أقرب للتفكير في الأمن القومي الدّاخلي منه للتفكير الاقتصادي البحت. الأمن الغذائي يقتضي استراتيجية كاملة تمكّن الدولة من انتاج وتوفير وخزن وتحويل المواد الغذائية الأساسية بكميات كافية على المدى الطويل حتى لو كان ذلك بكلفة تفوق سعر توريد نفس المواد من السوق العالمية.

أما في تونس فيبدو اننا حتى لو اكتفينا بالحديث عن الأمن الغذائي الخاص بقطاع الحبوب إمّا لا نحاول تحقيق أمننا الغذائي وإما نحاول تحقيق الأمن الغذائي ولكن... بالمقلوب.

منذ 2010 ارتفعت حاجات تونس في ميدان الحبوب بشكل ملحوظ وتضاءل في المقابل الإنتاج المحلي بشكل ملحوظ أيضا.

الحاجات ارتفعت ليس بسبب ارتفاع الاستهلاك ولكن بسبب ارتفاع مستوى التبذير والتهريب وتحويل الوجهة.

والإنتاج المحلي تضاءل بسبب سياسة التسعيرة الخاطئة وعدم توفر البذور والأسمدة في الوقت المناسب إلى جانب مشاكل لوجستية متعددة نذكر منها مشاكل تأمين الصابة ومشاكل النقل والخزن.

هل يعقل أن تقتني الدولة الحبوب من الفلاح التونسي بنصف ما تدفع للفلاح الروسي أو الأوكراني أو غيرهما؟ الدولة تحاول التخفيف من عجز ميزانية صندوق التعويض على حساب الفلاح التونسي أي المنتج المحلي الذي يساهم في تحقيق الأمن الغذائي.

هذا مثال للأمن الغذائي... بالمقلوب.

المثال الثاني هو أن تقرّر الدولة الترفيع في سعر شراء الحبوب من الفلاح التونسي عند موسم الحصاد. وهو ما حصل فعلا في تونس منذ أيام قليلة. هدف الترفيع في الأسعار يجب أن يكون تحفيز الفلاح التونسي على المزيد من الإنتاج بتوسيع المساحات المزروعة والمخصّصة للحبوب وعلى مزيد الانفاق قصد تحسين المردود بالنسبة للهكتار الواحد. وبالتالي كان من المفروض الإعلان عن الزيادات في أسعار شراء الحبوب من الفلاح التونسي قبل انطلاق الموسم أي في أشهر أوت وسبتمبر أو أكتوبر الماضية.

ولكن حتى الزيادة في الأسعار في ذلك الوقت تبقى غير كافية إذا تُرك الفلاح يعاني من مشاكل عدم توفر البذور والأسمدة في الوقت المناسب والدليل على ما نقول أن المساحات المخصصة للحبوب تقلّصت من 1,5 مليون هكتار سنة 2010 إلى أقل من مليون هكتار اليوم.

المثال الثالث للأمن الغذائي... بالمقلوب يخص ما حصل في الأيام الأخيرة من ارتباك في تحديد أسعار مواد أساسية أخرى مثل الحليب والدجاج والبيض. سمعنا الناطق الرسمي باسم الحكومة يقول منذ يومين إنه "لن يكون هناك ترفيع في أسعار الحليب والدجاج والبيض بالنسبة للمستهلك وذلك حفاظا على الأمن الغذائي". كيف ذلك يا سيدي الناطق الرسمي.؟ هل إن تحقيق الأمن الغذائي يتم على مستوى الإنتاج أم على مستوى الاستهلاك؟ كيف يمكن تحقيق الأمن الغذائي إذا رفّعت الدولة في سعر العلف ورفضت الترفيع في الأسعار عند الاستهلاك.؟ سعر العلف يدخل بنسبة 70 إلى 80 ٪ في كلفة الإنتاج. ثم أنت تعلم سيدي الناطق الرسمي أن جُل العلف مستورد فأين الأمن الغذائي الذي تتحدث عنه؟

الكل سمع السيد وزير الفلاحة يعلن في اطار شريط الأنباء للتلفزة الوطنية عن زيادات كبيرة في أسعار الحليب والدجاج والبيض عند الاستهلاك بداية من يوم 12 ماي (عيد الجلاء الزراعي!!!). ومن المؤكد أنه لم يعلن عن تلك الزيادات إلا بعد موافقة مجلس الوزراء أي رئيسة الحكومة ورئيس الدولة. ولكن تم التراجع عن تلك الزّيادات في الأسعار عند الاستهلاك بعد ردّ فعل قوي على مستوى المواطنين والخوف من دفع ثمن سياسي باهظ لتلك الزيادات.

ولكن في نفس الوقت يؤكد السيد الناطق الرسمي باسم الحكومة أنه لن تكون هناك زيادات في أسعار الحليب والدجاج والبيض عند الاستهلاك وذلك "حفاظا على الأمن الغذائي". عن أي أمن غذائي تتحدثون؟ أم هو الأمن الغذائي... ولكن بالمقلوب!

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التونسية للأوراق المالية :

«ريمونتادا» لـ MIT وتراجع لـ ELECTROSTAR

منحى السوق

واصل السوق بفضل توجه جيّد للقطاع البنكي تموقعه للأسبوع الثالث على التوالي بالمنطقة الخضراء. وأقفل المؤشر المرجعيّ الأسبوع الممتد من 9 إلى 13 ماي 2022 على ارتفاع بـ 0,6 ٪ بقيمة 7319,95 نقطة لتبلغ نسبة أدائه السنوي 3,9 ٪. حسب تحليل الوسيط ببورصة الأوراق المالية بتونس.

• تميّز الأسبوع المذكور بإنجاز مبادلة بالكتل شملت سهم الشبكة التونسية للسيارات والخدمات ARTES ومثل ذلك ثاني عملية مبادلة بالكتل منذ بداية العام. وتعلقت الصفقة بتدفقات مالية بلغ حجمها 7,2 ملايين دينار ارتفعت باعتبار المبادلات الأسبوعية الى 25,8 مليون دينار.

تحليل تطور الأسهم

• مثلما كان شأنه خلال أسبوع 6 ماي، احتلّ سهم شركة المغرب الدولي للاشهار MIT طليعة التسعير. وفي ظل حجم ضعيف لم يتجاوز 4000 دينار نما السهم بـ 11,1 ٪ بقيمة 0,200 دينار بما مكن الشركة من تدارك كل الخسائر التي عرفتها منذ بداية العام.

• كان أداء سهم شركة حنبعل للايجار المالي HANNIBAL LEASE جيّدا على امتداد الأسبوع. ووسط مبادلات بلغت 55 ألف دينار قفز سهم المؤجر المستقل بـ9,1 ٪ بقيمة 3,600. وقد شهدت الشركة بداية عام طيبة مسجلة في ختام الثلاثي الأوّل من عام 2022 نموّا صافيا بـ 21,4 ٪ بقيمة 7,3 ملايين دينار.

• كان سهم إلكتروستار ELECTROSTAR الأكثر تضرّرا اذ لم يجلب أية تدفقات مالية وشهد تراجعا بـ 11٪ بقيمة 0,730 دينار.

• أنهى سهم شركة اسمنت بنزرت بدوره الأسبوع في وضعية غير مريحة. ووسط مبادلات لم يتعد حجمها 13 ألف دينار شهد السهم تراجعا بـ 8,7 ٪ بقيمة 1,570 دينار.

• أما سهم شركة الشبكة التونسية للسيارات والخدمات ARTES فقد كان محلّ أكثر الطلبات وتمكن من جمع 7,3 ملايين دينار مسجلا بذلك ارتفاعا بـ 0,4 ٪ بقيمة 7,130 دينار.

مستجدّات السوق

• لاندور : افتتاح الاكتتاب في الترفيع في رأسمال الشركة :

تعتزم شركة "لاندور" LAND'OR في اطار مواصلة تمويل برنامج تطوّرها ودعم قاعدتها المالية الترفيع في رأسمالها بحوالي 30 مليون دينار عبر إصدار 3408007 أسهم جديدة بواقع 17 سهما جديدا عن كل سهم قديم (التمتع بالمرابيح بداية من 1 جانفي 2022).

وسيتم اطلاق الأسهم الجديدة خلال عملية الاكتتاب وسيرتفع رأسمال الشركة تبعا لذلك من 11,226376 دينارا الى 14634383 دينارا. وقد تم افتتاح عمليات الاكتتاب في رأسمال الشركة يوم 13 ماي 2022 وستتواصل الى يوم 27 منه.

• بلاغ من شركة صنع المشروبات بتونس SFBT :

بعد نشر موقع انترنات مقالا حول العلاقة بين شركة كوكا كولا ومجمع كاستال، تعلم شركة صنع المشروبات بتونس كافة المساهمين فيها أنها غير معنية بالقطيعة المذكورة باعتبار أن عقد ملء القوارير يربط مباشرة الشركة بشركة كوكا كولا.

مع العلم أن هذا الاتفاق متواصل منذ 70 سنة وسابق لمشاركة مجمع كاستال في رأسمال شركة صنع المشروبات بتونس وأن الأخيرة جدّدت مؤخرا عقد الامتياز. وتمثل العلاقة بين شركة كوكا كولا وشركة صنع المشروبات بتونس للطرفين "قصة نجاح".

أمّا المحادثات الجارية حاليا بين الطرفين فتتعلق بتطوير آفاق العمل بينهما لتوسيعه الى منتوجات جديدة.

خزعبلات سياسيّة تونسيّة

عبيد البريكي :

في التناقضات غرقا وفي البهلوانيات سبحا...

منير الفلاح

في الحقيقة، وعكس برشة أسماء لسياسيّين أخرين، ما حصلّيش شرف التّعرّف على سي عبيد البريكي وهذا باش يعطيني أكثر "حريّة" في الكتابة عليه وخلّاني ما تقلّقتش ياسر من حديث عشيري الرّوج كيف جاء شرب قهوة حذايا في الدّار...

وباش نكون نزيه معاكم، مخّي كان معدّل على الإطلالات المسائيّة للأستاذ-الرئيس قيس سعيّد الأوّل... حتّى لين جاء خبر الإغتيال للشّهيدة الصّحفيّة شرين أبو عاقلة رحمها اللّه وصدقا روحي ولاّت في خشمي، لذا كيف جاء الرّوج وقعدنا في الفيراندا وجبدلي حكاية أخرى كنت في وضع متاع قلق وقرف ونقص إستعدادي لمعارضة خطاب الرّوج...

...سي الرّوج قالي إلّي سي عبيد البريكي ولّى هالأيّامات نجم البلاتوات الإذاعيّة والتّلفزيّة وحسب قراءة "الرّوج" كاينّو بدأ يجبد في سفيرو في علاقة بـ25 /7 وما جاء بعدو!

سمعتو للّخر ومن بعد ما هو روّح، مشيت عملت دورة على البيانات (متاع حزب سي البريكي) والفيديوهات ...لقيت أنّو في قرابة الشّهر، سي عبيد دارها شليلة ومليلة وفمّة حتّى تكرّر زيارات لنفس الوسيلة الإعلاميّة ومخّي النبّار حبس غادي وقعد يطرح عليّ في نفس السّؤال: علاش؟ على خاطر سي البريكي وحزبو ماهمش التّنظيم الوحيد المساند لمسار قيس سعيّد وماهوش زادة حزب "جماهيري" كبير موش ممكن لوسائل الإعلام يتلفّتو لجهة أخرى!

ما لقيت كان تفسير، أو محاولة تفسير، وهو أنّو سي عبيد البريكي هو من نوع "BON PUBLIC" يعني وهذا صدقا إعتراف لسي عبيد البريكي بقدرتو على التّأقلم والتحرّك في هامش صغير وهنا طبعا هو مساندة قيس سعيّد وترك فتحة صغيرة إلّي ينجّم في أي لحظة يعمل فيها -MARCHE ARRIÈRE...

وهذي طبعا ميزة، من غير فدلكة، يتمتّعوا بيها النّقابيّين المتمرّسين على التّفاوض...

موش لازم نرجعو لبعيد،في المدّة الممتدّة بين أواسط أفريل الفارط والأسبوع إلّي فات، إنجّمو ناقفو على هالقدرة !

نهار 13 /4 مثلا، صرّح سي عبيد بعد إستقبال بعض المنظّمات (ساعات حتّى بعض أعضاء وإلّا عضو برك من مكتب تنفيذي) في قصر قرطاح وتصريح الرّئيس قيس سعيّد أنّ الحوار بدأ وردّ إتحاد الشّغل أنّ لقاء المكتب التنفيذي بالرّئيس ما عندو حتّى علاقة بالحوار، سي عبيد البريكي نهارتها صرّح أنّ "ما جرى لم يكن حوارا" (توصيف الإتّحاد) وباش ما يقطعش تماما مع القصر زاد "الحوار لم ينطلق بعد"!

وفي نفس الـFILON زاد: "الإستشارة مجرّد عيّنة ولا تمثّل كلّ التّونسيّين" وهذي زادة اِنجّمو نصنّفوها في خانة "اللّعب على الـFLOU" ومش بالضّرورة ARTISTIQUE وهكّة يكون في الشّريط الفاصل بين موقف الإتّحاد العام التّونسي للشّغل وتصريحات قيس سعيّد إلّي ليوم النّاس هذا مازال يعتبر الإستشارة ناجحة ومعبّرة على "ما يريده الشّعب"لحدّ أنّ "مخرجاتها" هي قاعدة بناء "الجمهوريّة الجديدة"...

ومع مرور الأسابيع وتواصل تجاهل قيس سعيّد للمشهد الحزبي المساند له ولإجراءاته، سي عبيد البريكي ولّى يتحدّث على أنّه "أخلاقيّا غير مقبول تماما إسقاط الأحزاب السّياسيّة وأوّل من قدّم الشّهداء في مسار الإنحراف إلّي عشناه"... ثبّتو معايا مليح: الإنحراف إلّي عشناه !

أيواه،هنا يلزمنا نفهمو بالضّبط هالإنحراف وقتاش بدأ؟ ويشمل الفترة إلّي كان فيها سي عبيد البريكي -SUPER MINISTRE وإلّا في الستّة أشهر وشويّة إلّي كان فيها وزير الأمور ستّة زيت؟ على خاطر التّناسق في التّقييمات والمواقف إستحقاق زادة!

يعني عشيري الرّوج ما كانش بعيد ياسر في توصيفه لمسيرة سي عبيد البريكي وقت قالّي: ملاّ "بهلوان"! وكيف تجي من عند الرّوج فيها نوع من الإعجاب... أمّا عندي أنا هذي جيمناستيك صعيبة شويّة على مخّي، اللّه غالب! كيف ندخل عند الشّيخ "غوغل" ونقرأ بعض محطّات مسيرة سي عبيد تلعب عليّا الدّوخة!

بداها أستاذ نقابي حامل لفكر يساري ملّي كان في الجامعة، تدرّج في المسؤوليّات النّقابيّة لين وصل عضو مكتب تنفيذي وبعد قوس قصير في منظّمة دوليّة، رجع وترأّس المؤتمر التّوحيدي لحزب الوطد الموحّد عام 2012... أربعة سنين بعد، نلقاو سي عبيد البريكي وزير في حكومة يوسف الشّاهد (أواخر شهر أوت 2016) ومع أواخر شهر فيفري 2017 سمعنا بإقالة وإستقالة.... خلينا نقولو "إستقالوه"!

وكان تتفكّرو وقتها باش الواحد يكون "INN" يلزم يحكي على الفساد والملفّات وكذا ويحصر "دجو" في التّركينة ويبيّن أنّ حربه على الفساد ما كانتش حرب بالمنجدّ وطبعا سي عبيد البريكي وبحكم أهميّة الوزارة إلّي كان على رأسها، خرج بعد مديدة قصيرة وقال أنّ إبعاده من الحكومة هو نتيجة لتفطّنه لوجود ملفّات فساد كبيرة وحسّاسة والفتى "دجو"طفّى عليها الضّوء...وهو باش يعريها...وهانا لتوّة نستناوا...

وبما أنّ سي عبيد البريكي قويّ في التّنقّل من PISTE لأخرى، قدّم ووخّر ونظّم نهار 14 /10 /2017 ندوة وطنيّة من أجل تجميع اليسار التّونسي وأكّد أنّ مبادرته هذي ماهياش ضدّ أحزاب يساريّة أخرى !

وبعد قرابة العامين (2019) لقيناه مرشّح للإنتخابات الرّئاسيّة بإعتباره الأمين العام لحركة تونس للأمام .

المهمّ، سي عبيد البريكي وفي كلّ الوضعيّات والحالات تلقاه موجود وطبعا كان من الأوائل إلّي ساندوا "الحركة التّصحيحيّة لقيس سعيّد"، وللأمانة ما كانش وحدو لا في المساندة لا في تعليق آمال عريضة على الرّئيس سعيّد وإستعداده للتفتّح على ما يسميوه "الأحزاب الوطنيّة المساندة لـ25جويلية".

وبما أنّو (سي عبيد البريكي) ماهوش من النّوع إلّي يحطّ البيض الكلّ فرد سلّة، هاهو في الأسبوع الفارط أكّد مرّة أخرى مساندتو وزاد أنّو ما عندو حتّى مشكل لو كان يصير الإستفتاء على نصّ حاضر مسبقا ويقينو أنّ الرّئيس باش يشرّك الأحزاب وزادناSCOOP كيف قال أنّو فمّة قنوات تواصل مع الرّئاسة...شنية هي برّا لوّج...

الحاصيلو ربّي يهنّي عبيد بسعيّد وإن شاء اللّه ما تتلخّصش الحكاية في خرافة العمّة وولد خوها: هي تقول ولد خويا سارحلي بالشّياه بلاش وهو يقول عمّتي باش تعطيني بنتها ونولّي الكلّ في الكلّ.

تحقيق

سماسرة ومتنفّذون يُحكمون قبضتهم على تراخيص سيارات التاكسي

محمد الجلالي

من قابس الى منوبة وأريانة مرورا ببن عروس وصفاقس وسيدي بوزيد وسوسة، كانت المحسوبية والمحاباة وتضارب المصالح احدى ابرز السياسات في إسناد تراخيص سيارات التاكسي على مدى سنوات.

وبقدر تعدد الأطراف المتدخلة في اسناد الرخص والمعروفة باللجان الجهوية الاستشارية للنقل تفاقم الفساد وتكالب الدخلاء على قطاع سيارات التاكسي الفردي أو الجماعي أو سيارات اللواج. في الاثناء علا صوت سماسرة التراخيص والباحثين عن تأجيرها مقابل معلوم شهري قار في خرق واضح للقانون وحرمان آلاف المسجلين بقائمات الانتظار أو ممن وافتهم المنية وهم يمنون النفس بإنصافهم من الحصول على تراخيص.

ولاءات ومحاباة

منذ ديسمبر 2017 توجه علي بن سعد رئيس الجمعية الوطنية لحماية قطاع التاكسي بأكثر من 50 مطلب نفاذ الى ادارات مختلفة منها رئاسة الحكومة والهيئة الوطنية لمكافحة الفساد والصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ومطار المنستير ووزارة النقل والوكالة الفنية للنقل البري وولايات تونس وسوسة والمنستير والقيروان وصفاقس ومدنين..

يقول علي بن سعد وهو يتصفح ملفا خاصا بعشرات الطعون التي أرسلها الى هيئة النفاذ الى المعلومة بعد ان اصرت إدارات عمومية على حجب معطيات خاصة برخص كان الرجل يشتبه في قانونية اسنادها: "لم يكن لي أي علم بما يحدث في قطاعنا الى ان تقدمت بطلب للحصول على رخصة من ولاية سوسة فوقفت على تجاوزات شتى".

ويتابع: "لقد كنت مجبرا على التسلّح بحقي في النفاذ الى المعلومة للتأكد من بعض الشبهات. وفعلا اكشتفت اسناد رخص الى شخصيات نافذة او موظفين عموميين أو أقارب بعض أعضاء اللجنة الاستشارية للنقل."

في هذا السياق راسل محدثنا ولاية صفاقس ففوجئ بحصول مواطن على قرار من والي الجهة يقضي بالترخيص له في تعاطي نشاط النقل العمومي للأشخاص بواسطة سيارة تاكسي في 1994 ثم على قرار ثان من والي سوسة إثر ثورة 2011 قبل ان يتقدم بطلب لإلغاء القرار الأول.

بن سعد توجه في 2018 بمطلب نفاذ الى بلدية سوسة فتأكد له حصول عامل بنفس البلدية على ترخيص لنقل الأشخاص بواسطة سيارة تاكسي ثم طلب معطيات من الوكالة الفنية للنقل البري فثبت له ان رئيس مركز امني يتمتع منذ 2007 بترخيص للنقل العمومي غير المنتظم المعروف ب"لواج" وان نقابيا نافذا بالغرفة الجهوية لأصحاب سيارات التاكسي الفردي تدخل لشقيقه للحصول على ترخيص منذ 1999.

مطالب اعتراض

علي بن سعد ليس سوى واحدا من عديد الأصوات الرافضة للتراخيص المسندة حسب الولاءات والمحاباة. فقد حصلت أسبوعية "الشارع المغاربي" على وثائق تثبت تقدم سواق سيارات التاكسي في نوفمبر 2012 لولاية سوسة بمطالب اعتراض مؤكدين ان لا علاقة ببعض الحاصلين على تراخيص تاكسي فردي بالقطاع.

من جانبه واصل علي بن سعد لسنوات تمسكه بحقه في الحصول على ترخيص من ولاية سوسة لمزاولة نشاطه في قطاع النقل العمومي غير المنتظم للأشخاص لكن الولاية رفضت في مراسلة أولى تعود الى 2012 وبررت ذلك بان "القانون المتعلق بعمل المتقاعدين يمنع الجمع بين جراية التقاعد والدخل القار المتأتي من اجر او راتب شهري". وفي 2015 كانت إجابة الممثل الجهوي للموفق الإداري بسوسة عن استفسار بن سعد ان سنوات الاقدمية التي يتمتع بها لا تخوّل له الحصول على الترخيص. ثم عادت ولاية سوسة في 2018 الى التأكيد على انه يتعذر عليها الاستجابة لطلب الرجل في الحصول على "رخصة تاكسي سياحي" بسبب تقاضيه جراية تقاعد من الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.

يقول علي بن سعد: "من غرائب الإدارة التونسية ان ولاية سوسة رفضت منحي رخصة تاكسي بدعوى اني اتمتع بجراية تقاعد ولكنها مكّنت متقاعدين اخرين من هذه الرخصة ومتعت موظفين عموميين ودخلاء من نفس الرخصة والاغرب من كل ذلك انني حصلت على هذه الرخصة حين توجهت الى ولاية المنستير.

ورغم حصوله على ترخيص للعمل في قطاع التاكسي السياحي واصل علي بن سعد تصديه لما يعتبره فسادا ممنهجا في ولاية سوسة فقدم شكايتين الى النيابة العمومية متهما عددا من أعضاء اللجنة الجهوية الاستشارية للنقل بإسناد تراخيص دون وجه حق والاعتماد على المحاباة والمحسوبية والارتشاء خلال أداء عملهم كموظفين عموميين.

وفي قابس أيضا..

في قابس تفطن سائقا سيارات تاكسي الى وجود تجاوزات في اسناد التراخيص فحاولا جاهدان كشف ما اسمياه تلاعبا مفضوحا. توجه أحدهما الى الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد للتبليغ عن حصول بعض السواق عن تراخيص دون امتلاكهم بطاقات مهنية.

وبعد اغلاق الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في سبتمبر 2021 لجأ نفس المبلّغ الى القضاء لتتبع من يعتبرهم ضالعين في "فوضى التراخيص" قبل ان يجد نفسه موقوفا بتهمتي الثلب والتشهير.

يقول المبلّغ الذي فضل عدم الكشف عن هويته: " لم يجد بعض المتنفذين بقطاع التاكسي الفردي في قابس الا ملاحقتي قضائيا في محاولة منهم لاسكاتي واثنائي عن كشف تجاوزاتهم فاستغلوا ممارسة حقي في التعبير لتلفيق التهم. وبعد ايقافي يوما كاملا تم اطلاق سراحي بعد الوقوف على مجانبتهم الصواب."

اما السائق الثاني فقد كلّفه وقوفه في وجه من اعتبرهم مهندسي التراخيص العشوائية والوثائق المدلسة غاليا.

ويؤكّد السائق انه اكتشف في 2011 إضافة عدد مهول من الأسماء لقائمة الحاصلين على تراخيص التاكسي الفردي وان بعضهم كان متمتعا بالعفو التشريعي العام بما يعني عدم استجابتهم لشرطي المهنية والتجربة.

ويتابع: "ارتفع عدد التراخيص الى أكثر من مائتين بعد ان كان في حدود العشرات فما كان من اللجنة الجهوية الاستشارية للنقل بقابس الا ان حجبت محضر جلستها حتى لا ينكشف امرها ثم تتالت محاضر الجلسات المضيقة. حينها بلغ الى علمنا تدخّل احد النقابيين بالغرفة الجهوية لأصحاب سيارات التاكسي الفردي بقابس لتمكين شقيقه من ترخيص واضافة عديد الأسماء للقائمة النهائية للحاصلين على التراخيص.

في هذا الاطار حاولت جريدة "الشارع المغاربي" الاتصال بمعز السلامي رئيس الغرفة النقابية الوطنية لأصحاب سيارات التاكسي الفردي بالاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية لمواجهته بالاتهامات المنسوبة الى بعض رؤساء النقابات الجهوية لكنه لم يتسن لها الحصول عليه هاتفيا.

لجأ السائق الى القضاء رافعا في الغرض قضيتين واحدة الى المحكمة الإدارية لالغاء قرار اللجنة الجهوية الاستشارية للنقل وأخرى الى وكالة الجمهورية لتتبع المشتبه فيهم.

يشدّد السائق على انه استظهر لدى القطب القضائي والمالي بتونس بما يفيد كل التجاوزات التي أشار اليها وانه فوجىء بعد ذلك بتعيين أحد المظنون فيهم معتمدا.

ويواصل: " لطالما كنت مقتنعا بان الثورة طوت صفحة الفساد والمحسوبية وتغول بعض المتنفذين لكنني اكتشفت مع الاسف ان ذلك لا يعدو ان يكون سوى سرابا وكنتيجة لليأس الذي الم بي أصبت بمرض خبيث لا يزال يرافقني".

من جهته يؤكد فوزي الخبوشي امين عام اتحاد التاكسي الفردي وقوف الاتحاد على وجود اخلالات في اسناد التراخيص مشيرا الى ان إقليم تونس الكبرى لا يخلو من جولان عدة سيارات تاكسي على ذمة امنيين او موظفين بأكثر من وزارة او مملوكة من مهاجرين بالخارج.

ويضيف: "رغم ان القانون يمنع كراء تراخيص "التاكسي" يحصل كثيرون على تراخيص بطرق ملتوية ثم يعمدون الى تأجيرها بينما ينتظر سواق اخرون دورهم في قائمات الانتظار لعشرات السنين".

في هذا السياق امدنا الخبوشي بقائمة تتضمن حاصلين على تراخيص رغم اقامتهم في بلدان مثل المانيا وإيطاليا لافتا الى ان بعض الأطراف باتت تستغل ضعف الرقابة على القطاع لتدليس الأرقام الخاصة بسيارات التاكسي والى ان هذا فسح المجال لبروز نشاط مواز في القطاع.

الخبوشي أشار ايضا الى ان اتحاد التاكسي الفردي دأب على مراسلة الولاة لاعلامهم بمختلف التجاوزات الحاصلة في القطاع مرجحا تواطؤ بعضهم مع المتجاوزين.

يذكر ان الفترة الأخيرة شهدت فتح تحقيقات قضائية تتعلق باسناد تراخيص سيارات تاكسي في اكثر من ولاية بشكل مخالف للقانون.

قضية منوبة الشهيرة

وكانت النيابة العمومية بالمحكمة الابتدائية في منوبة قد اذنت في أكتوبر المنقضي بفتح بحث تحقيقي ضد الوالي السابق احمد السماوي و100 شخص من المنتفعين برخص نقل وكل من سيكشف عنه البحث في شبهات فساد مالي وإداري في ما بين 2011 و2019.

وتعلقت بالموقوفين جملة من التهم هي ارتشاء موظف عمومي وقبول هدايا ومنافع لنفسه واستخلاص فائدة له أو لغيره ومخالفة التراتيب المنطبقة على العمليات لتحقيق فائدة والاضرار بالادارة ومسك واستعمال مدلس وافتعال وثائق ادارية.

وفي افريل الماضي أكد المحامي أحمد الزعفراني الإفراج عن الوالي المذكور.

كما سبق للنيابة العمومية بمحكمتي اريانة وسيدي بوزيد الاذن بتقديم اكثر من 10 اشخاص بشبهة فساد في التعاطي مع ملف إسناد رخص تاكسي فردي وجماعي. وكان من بين الموقوفين وال سابق وكاتب عام بولاية سيدي بوزيد ورئيس نقابة جهوية لسيارات التاكسي الفردي.

يذكر ان حسام الجبابلي الناطق الرسمي باسم الإدارة العامة للحرس الوطني كان قد اكد بتاريخ 17 جانفي الماضي ان النقيب محسن العديلي الذي عثر عليه مشنوقا بمنزله كان سيدلي امام القضاء بشهادته في قضية اسناد رخص تاكسي لإرهابيين من قبل وزير العدل سابقا نورالدين البحيري وحركة النهضة. أمر نفته الحركة داعية وزارة الداخلية الى كشف ملابسات الوفاة.

هكذا فتحت المحسوبية والمحاباة وحتى تضارب المصالح أبواب الفساد للحصول على تراخيص سيارات التاكسي والاجرة عموما لينضم القطاع الى عالم النقل العمومي المحكوم حيث يُحكم سماسرة ومتنفذون قبضتهم ويفضلون التعامل مع من يدفع اكثر او يمتلك نفوذا أكبر.

من ألطاف الله على تونس :

التحويلات المالية لأبنائها في الخارج...

كريمة السعداوي

تبرز ارقام البنك المركزي بشكل قاطع ان تحويلات الجالية التونسية في الخارج قد اصبحت اول مصدر لتمويل الاقتصاد التونسي بالعملة الخارجية بعد ان ضاع جهد القطاع الخارجي وذلك بالأساس بسبب تراجع استقطاب الاستثمار وتدهور ارصدة المبادلات الدولية والتداين الخارجي.

في ذات السياق، يتبين من خلال معطيات عدة تقارير ودراسات محلية ودولية ان هيكلة تحويلات التونسيين في الخارج قد شهدت تطورا معياريا واضحا باعتبار تحسن مداخيل مكونات الجالية التي اصبحت تشمل اطارات وكفاءات عالية لها قدرة كبيرة على الادخار، غير ان الثابت ان افراد الجالية لا يزالون عازفين عن تحويل الاموال لغايات استثمارية لأسباب تتعلق اساسا بتدهور مناخ الاستثمار والتضييقات البيروقراطية.

تطور التدفقات الوافدة إلى تونس

اكد البنك الدولي يوم الاربعاء الفارط 11 ماي 2022 إنه يتوقع أن تزيد تدفقات التحويلات المسجلة رسمياً إلى البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل بنسبة 4.2 بالمائة هذا العام لتصل إلى 630 مليار دولار في أعقاب تعافي قياسي تقريبا بلغ 8.6 بالمائة في عام 2021 وذلك وفقا لما جاء في أحدث موجز للمؤسسة المالية الدولية عن الهجرة والتنمية الصادر في نفس اليوم.

وعلى الصعيد العالمي، بلغ متوسط تكلفة إرسال 200 دولار 6 بالمائة في الربع الأخير من عام 2021، أي ضعف المستهدف في أهداف التنمية المستدامة البالغ 3 بالمائة، وذلك وفقاً لقاعدة بيانات البنك الدولي لتكلفة التحويلات في العالم. وتُعد تكاليف إرسال الأموال إلى بلدان جنوب آسيا (4.3 بالمائة) هي الأدنى، في حين كانت تكلفة الإرسال إلى بلدان أفريقيا جنوب الصحراء (7.8 بالمائة) هي الأعلى.

اما على صعيد الاتجاهات الإقليمية للتحويلات المالية، فقد زادت، حسب قاعدة بيانات البنك الدولي، التحويلات إلى البلدان النامية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بنسبة 7.6 بالمائة في عام 2021 لتصل إلى 61 مليار دولار، بفضل التحسن القوي الذي تحقق في المغرب (40 بالمائة)، ومصر (6.4 بالمائة). وتمثلت العوامل الداعمة لهذه التدفقات في ارتفاع النمو الاقتصادي في البلدان المضيفة في الاتحاد الأوروبي، وكذلك الهجرة العابرة التي عززت التدفقات الوافدة إلى البلدان المضيفة المؤقتة مثل مصر والمغرب وتونس.

وفي عام 2022، من المرجح أن تنخفض تدفقات التحويلات قليلاً وستكون في حدود 6 بالمائة. وقد شكلت التحويلات منذ وقت طويل أكبر مصدر لتدفقات الموارد الخارجية للبلدان النامية في المنطقة – من بين تدفقات المساعدات الإنمائية الرسمية والاستثمار الأجنبي المباشر وتدفقات أسهم رأس المال والديون – حيث شكلت 61 بالمائة من إجمالي التدفقات الوافدة في عام 2021. وتراجع متوسط تكلفة إرسال 200 دولار إلى المنطقة إلى 6.4 بالمائة في الربع الأخير من 2021 نزولاً من 6.6 بالمائة قبل عام.

تحويلات الجالية اول مصدر لتكوين احتياطي النقد في تونس

شكل طيلة عقود طوال التونسيون بالخارج أحد الاهتمامات ذات الأولوية في السياسات الاجتماعية الوطنية باعتبارهم مكونا أساسيا في الخارطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع. وقامت أبرز ثوابت السياسة الاجتماعية في مجال الاحاطة بالتونسيين بالخارج على حماية حقوق ومكتسبات التونسيين ببلدان الإقامة والدفاع عن مصالحهم وصيانة كرامتهم مع تيسير اندماجهم الفاعل والإيجابي في مجتمعات الإقامة والحفاظ على مقومات هويّتهم وتعزيز انتمائهم لوطنهم الى جانب الوقاية من مخاطر التهميش والعزلة والانصهار السلبي وتفعيل مساهمة التونسيين بالخارج في المسيرة التنموية.

غير ان اهم ثوابت هذه السياسة قد عرفت منذ بداية الفينات القرن الماضي تفككا واضحا برزت معالمه، بشكل لافت، خلال العقد الاخير بحكم ما تعانيه هياكل اسناد الجالية في الخارج من ضعف مؤسساتي اضافة الى التضييقات المتواصلة التي يعانيها افراد الجالية خصوصا فيما يتصل بعمليات تحويل الاموال واستثمار مدخراتهم في تونس.

وحسب اخر المعطيات الاحصائية المحينة للبنك المركزي التونسي الصادرة نهاية الاسبوع الفارط، فقد ناهزت تحويلات التونسيين بالخارج منذ بداية العام والى غاية 10 ماي الجاري نحو 2437.9 مليون دينار مقابل 2151.7 مليون دينار خلال نفس الفترة من العام السابق مما يمثل زيادة قيمتها 286.2 مليون دينار ونسبتها 13.3 بالمائة وهو ما يشكل تطورا ملحوظا اذ انه كان من المتوقع ان تنخفض هذه التحويلات بعد جائحة كورونا. كما مكنت التحويلات، وفقا لمعطيات مؤسسة الاصدار، من تغطية خدمة الدين الخارجي المتراكمة منذ بداية السنة بنسبة 74.6 بالمائة واحتلت المرتبة الاولى في مكونات زيادة المدخرات من العملة الاجنبية بنسبة 80.9 بالمائة.

وتكشف بيانات البنك المركزي كذلك، ارتفاع تحويلات التونسيين العاملين بالخارج بنسبة 28 بالمائة في 2021 مقارنة بـ 2020 حيث بلغت هذه التحويلات مستوى قياسي قيمته 7.254 مليار دينار وهو ما يعادل 2.62 مليار دولار. ويأتي ذلك في سياق شح حاد في الموارد المالية الخارجية 2020.

ورغم بلوغ تحويلات التونسيين بالخارج مستوى قياسيا ومهمّا تبلغه تونس فإن الوضعية لا تزال بعيدة عن بعض البلدان الأخرى على غرار مصر التي بلغت فيها تحويلات المقيمين بالخارج سنة 2021 حوالي 33 مليار دولار والمغرب 9.3 مليارات دولار خصوصا أن المصادر الأساسية للعملة الاجنبية تراجعت خلال السنة السابقة على غرار صادرات النفط والفسفاط والسياحة. وتؤكد عدة جمعيات كبرى للجالية التونسية في الخارج على أنه يجب العمل على تسهيل عمليات تحويلات التونسيين بالخارج عبر تمكينهم من فتح حسابات بالنقد الاجنبي وتقديم خدمات جديدة تخص ادخار العملة والحصول على تمويلات بشروط تفاضلية.

وبدا بشكل عام تأثير مساهمة التونسيين المقيمين في المهجر السنة الفارطة واضحاً أكثر من أي وقت مضى في اقتصاد البلاد اذ ترمّم تحويلاتهم منذ مدة ما يتسبب فيه الوضع السياسي والاقتصادي الصعب من ثغرات في التوازنات المالية العمومية بعد توجس جل المؤسسات المالية الدولية من قدرة تونس على الايفاء بالتزاماتها.

وشكلت التحويلات المالية للجالية التونسية المقدرة بنحو 7.5 مليارات دينار إلى حدود 31 ديسمبر 2021 المصدر الرئيسي للعملة الاجنبية في تونس ما ساعد على مواصلة تسيير واردات المواد الأساسية وسداد أكثر من 3 مليارات دولار من القروض الخارجية. وتبين المعطيات ان تحويلات التونسيين المقيمين بالخارج منعت هبوطاً حراً لرصيد العملة الخارجية بما كان يمكن أن يزيد من حدة أزمة واردات المواد الأساسية المتفاقمة منذ أشهر، بسبب نقص العائدات بالنقد الاجنبي، ولا سيما المتأتية من السياحة والاستثمار الخارجي. وأصبح بذلك للمهاجرين التونسيين دور محوري في إسناد الاقتصاد التونسي ومساعدة عائلاتهم.

تغير تركيبة المهاجرين

وفقا للمسح الوطني للهجرة الذي اعده المرصد الوطني للهجرة في ديسمبر 2021، يمثل التونسيون في دول المهجر أكثر من 1.3 مليون، يقيم أغلبهم في دول الاتحاد الأوروبي وبدرجة أقل في دول الخليج العربي وأمريكا الشمالية. وشهدت السنوات التي تلت الثورة تغيراً في نوعية العاملين التونسيين بالمهجر، بدخول جيل جديد من المهاجرين في الدورة الاقتصادية، وهو بالأساس من أصحاب الشهائد العلمية العالية والكفاءات ممن نجحوا في الاستقرار والاندماج سريعاً في دول الإقامة. ويقدَّر جيل المهاجرين في العشرية الأخيرة بأكثر من 250 ألف تونسي، واظهر هؤلاء المهاجرون الجدد قدرة على دعم الاقتصاد عن طريق تحويلات منتظمة لفائدة أسرهم التي تحولت إلى دخل أساسي للبعض منهم.

وحسب دراسة أنجزت من قبل منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي، فإن عدد الكفاءات العالية التونسية في أوروبا يفوق 90 ألف شخص. وتكشف بيانات وزارة السياحة أن عودة التونسيين المقيمين بالخارج إلى البلاد تساهم في تنشيط القطاع السياحي وأن عدد الليالي التي قضّوها في الفنادق زاد على 1.5 مليون ليلة في اوت الفارط . لكن تحويلات المهاجرين لا تزال توجه إلى نفقات التعليم والصحة والاستهلاك العادي ولاقتناء العقارات، ولم ترتق بعد إلى مستوى الاستثمارات ذات القيمة المضافة العالية رغم المحاولات العديدة للمهاجرين لإحداث مشاريع وشركات ناشئة تسوّق للعلامة التونسية في القطاعات المتجددة.

تضييقات على تحويلات المهاجرين

يزيد التضييق الذي يفرض على تحويلات العاملين في الخارج من تذمر المهاجرين الذين رفعوا شكواهم في مناسبات مختلفة طيلة الاعوام الماضية للمسؤولين مطالبين بالتدخل لفائدتهم من أجل حرية أكثر في حركة أموالهم بين دول المهجر وتونس.

ووجهت، في هذا الإطار، انتقادات للحواجز التي تفرضها بعض الجهات أمام تدفق تحويلات المهاجرين مع مطالبة البنك المركزي بالتدخل سيما لدى لجنة التحاليل المالية لتخفيف شروط صعوبة التحويل أو البحث عن حلول بديلة خصوصا في ذروة مواسم عودة المهاجرين لقضاء عطلهم السنوية. ورفع ممثلون للجالية التونسية في الخارج عدة مرّات إلى السلطات المالية شكاوى التونسيين المقيمين بالخارج من معاملات بعض الهياكل الرسمية مع تقدير أن تمنع الصعوبات تدفقات مهمة من النقد الأجنبي إلى البلاد أو ذهاب جزء كبير منها إلى سوق الصرف السوداء.

وتعتبر الجمعيات والهيئات الممثلة للمهاجرين أن تواصل صعوبات التحويل والتصرف في المدخرات التي يواجهها التونسيون المقيمون خارج بلدهم امر ينم عن تقصير من السلطات تجاه هذه الفئة من التونسيين وهي تؤكد انها تسعى لحلحلة هذه الوضعية، اذ سبق ان تم رفع شكاوى لمحافظ البنك المركزي ومساعديه ووزارة المالية بشأن هذا الملف، غير أن تعقد الوضع يتواصل منذ أعوام طويلة.

وتتم الاشارة في ذات السياق إلى أن الأزمة المتواصلة منذ سنوات، زادت تعقيدا منذ سنتين على وجه التحديد مع تشديد لجنة التحاليل المالية صلب المركزي التونسي الرقابة على التحويلات الأجنبية في إطار تتبع الأموال المشبوهة سيما أن البنوك لا تسمح لمهاجرين عند عودتهم إلى تونس بسحب أكثر من 5 ألاف دينار. كما تطلب منهم إمهالا للتثبت في التحويلات رغم أن جلها يتم عبر مكاتب صرف وشركات معتمدة، علما أن هذا الصنف من الصعوبات يواجه بشكل خاص المهاجرين المقيمين بدول مجلس التعاون الخليجي.

المراجع :
موجز البنك الدولي عن الهجرة والتنمية – ماي 2022.
المؤشرات المالية والنقدية للبنك المركزي التونسي المحينة بتاريخ 13 ماي 2022.
المسح الوطني للهجرة الدولية بتونس – المرصد الوطني للهجرة – وزارة الشؤون الاجتماعية – ديسمبر 2021.

الشارع القضائي

إعداد الأستاذ
لطفي واجه
ouajahlotfi@gmail.com

قضية «بلقاسم»
تساؤلات وترددات

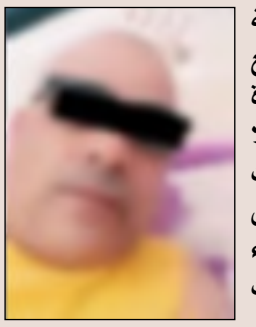

افاقت تونس مع بداية الأسبوع الفارط علي وقع جريمة بشعة غير مألوفة بالمرة ومن نوع خاص لم يشهد مثيلا له الشارع التونسي الا في مرات نادرة جدا. امر ليس بالهين ان يتمكن شخص من الاعتداء جنسيا على مئات النساء تحت غطاء معالجتهم من السحر ومداواة العقم وتحفيز الانجاب.

هذا ما صُعقنا به من خبر مؤخرا ليغرق جميعنا بين ثنايا الحيرة والذهول. قضية اصطلح علي تسميتها بقضية بلقاسم والتي يمكن وصفها وفق ما تضمنت من وقائع ومضامين بقضية اللامنطقي واللامعقول.

كيف لا وقد جاءت كل وقائعها بما يندى له الجبين. شعوذة وايهام بغير الحقيقة وتلاعب بالمشاعر واغتصاب وخلوات جنسية؟

انهت مؤخرا الفرق الأمنية هذه المأساة بعد ان فضحها برنامج "الحقائق الاربع" وتمت احالة المشعوذ علي القضاء في اطار ثلاث قضايا اثنان منها يمثل فيها بحالة إيقاف وواحدة بحالة سراح. هو الان في السجن وضحاياه اللاتي يعدون بالمئات حسب زعمه ايضا. لكن في سجن خاص، سجن النفس المغدورة والامل المقبور.

اعترف المشعوذ بما قام به وصرح حسب ما توارد من اخبار بان محل العقد الذي بينه وبين ضحاياه يتمثل في طرد النحس عنهن لتقريب البعيد والحبيب وبان الوسيلة المعتمدة تكمن في سلب عفتهن حتى – يا للهول- يسقيهن من منيه، ذلك" المرهم "العجيب السحري مثلما يحاول الايهام به القادر على "تغيير الحال نحو الافضل". انها بعض وصفات ما يسمى بالسحر السفلي... طريقة جهنمية يوهم عبرها ضحاياه بانه قادر بفعل مضاجعتهن على اخراج الجن العاشق من اجسادهن عن طريق " المعالجة السفلية والاغتصاب الطاهر "نعم هي شعوذة مقنعة في ابشع تجلياتها. لا يكتفي بلقاسم مثلما يقال بهذه الوصفة التي اختلق مناسبات لتنفيذها "حسب الحالة" من بعض مواعيد الى ما يفوق 14 "جلسة".. وفق الحالة... والضحية حسب قوله.

يشترط هذا الشخص أشياء اخرى حتي تشبع البطن والنفس رغباتهما. هو عادة ما يطالب بتوفير مكان "الجلسات" العلاجية والمؤونة اللازمة من الغذاء والمقويات من مكسرات وغلال إضافة الى اللحوم الحمراء.

هل هذا كل شيء؟ بالطبع لا، لأن المهم ضرورة حصوله على المال الذي كان في كل مرة يشترطه قبل كل جلسة.

يقول المشعوذ في تحقيق "الحقائق الاربع" انه نفذ هذه العمليات معتمدا هذا الأسلوب مع قرابة 900 امرأة.

وإذا كان هول ما اتى به الرجل يجعل من الصعب التعليق فان المهم انه حاليا في السجن وان نصوص احالته ما زالت مفتوحة على كل الفرضيات. يحال مبدئيا بتهمة اغتصاب أنثى تحت طائلة الاستضعاف وممن له سلطة علي الضحية تحت مفعول العنف الجنسي والتحرش الجنسي المصحوب بحالة الاستضعاف والتعذيب والتطبيب.

في انتظار ما ستكشف عنه الأبحاث يبقي السؤال المطروح أساسا حول النساء اللاتي وافقن على اقتراح هذا الكائن الشيطاني. هل كن فعلا ضحايا ام مشاركات في جريمته بفعل سذاجتهن وانسياقهن وراء ما لا تحمد عقباه؟

قضية الكيلاني
التأجيل للتصريح بالحكم

قررت الدائرة الجنائية بالمحكمة الابتدائية العسكرية الدائمة بتونس عشية الخميس الماضي تأجيل القضية التي يحاكم فيها العميد عبد الرزاق الكيلاني بتهمة هضم جانب موظف الى جلسة التاسع عشر من الشهر الجاري وذلك للتصريح بالحكم. وقد شهدت الجلسة المنعقدة حضور العديد من الحقوقيين والمحامين يتقدمهم عمداء سابقون نذكر منهم عبد الوهاب الباهي والبشير الصيد وعبد الستار بن موسي وشوقي الطبيب والفاضل محفوظ وعامر المحرزي بالإضافة الى نائب رئيس الاتحاد وعمداء من هيئات المحامين بفرنسا. واستمرت مرافعات لجنة الدفاع الى حدود الخامسة مساء وانتهت باتخاذ قرار حجز القضية وتأجيل التصريح بالحكم مع إبقاء العميد الكيلاني بحالة سراح.

إحالة غازي الشواشي على التحقيق

اعلن الأمين العام لحزب التيار الديمقراطي ووزير أملاك الدولة السابق غازي الشواشي ان الفرع الجهوي للمحامين بتونس اعلمه بانه تم فتح تحقيق بالمحكمة الابتدائية ببن عروس علي خلفية تصريح ادلى به مؤخرا وتطرق فيه الى وضعية حكومة بودن وتحديدا حول كلامه عن استقالة رئيسة الحكومة وبعض وزرائها.

وكان الشواشي قد اعتبر في تصريحه ان هذه الاستقالات ادت الى تعطيل العمل الحكومي إضافة الى رفض عدد من الوزراء التوقيع على الوثائق اليومية. وحسب الشواشي وجهت له تهمة تعكير صفو النظام العام بواسطة وسائل الاتصال السمعية والبصرية وارباك عمل الحكومة.

وتولت في هذا الإطار وزيرة العدل ليلي جفال الاذن للوكيل العام لدى محكمة الاستئناف بتونس بفتح التحقيق المذكور. واثارت هذه الإحالة استنكار العديد من الاطراف السياسية على غرار حزب التيار الديمقراطي وحركة النهضة وعدد من الحقوقيين والناشطين السياسيين.

حفظ كل التهم في حق الياس الفخفاخ

قررت الاسبوع الماضي دائرة الاتهام المختصة في قضايا الفساد حفظ التهم الموجهة لرئيس الحكومة السابق الياس الفخفاخ في قضية تضارب المصالح المثارة ضده وذلك إثر تفحص أوراق الملف وتقرير قاضي التحقيق بالقطب القضائي والمالي بخصوص ما اصطلح علي تكييفه بتضارب المصالح وتقديم تصريح مغلوط حول مكاسبه ومكاسب قرينه.

يذكر ان الفخفاخ كان موضوع تتبع من طرف النيابة العمومية باعتباره مالك حصص بشركة تختص في إعادة رسكلة النفايات تزامنا مع توليه رئاسة الحكومة قبل ان يستقيل من منصبه في شهر جويلية 2020.

وقد انطلقت القضية بشكاية كان قد رفعها النائب ياسين العياري وتولت الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد عرض تقارير في الموضوع على انظار القطب القضائي الاقتصادي والمالي. وبعد الأبحاث صدر قرار ختم الأبحاث تم حفظ كل التهم في حق الفخفاخ.

سامي الفهري
خطية وسجن مع تأجيل التنفيذ

اصدرت الدائرة الجنائية لقضايا الفساد المالي لدى محكمة الاستئناف بتونس حكمها في قضية سامي الفهري المنشورة امامها والمتعلقة بعقود الإشهار بين شركة كاكتوس ومؤسسة التلفزة الوطنية وقضت بسجنه عامين مع تأجيل التنفيذ وحفظ بقية التهم في حقه.

كما قضت المحكمة بتخطئة الفهري بـ 16 مليون و600 الف دينار. وكان الحكم الابتدائي يقضي بالسجن مع النفاذ العاجل لكنه تم خلال الطور الاستئنافي الافراج عن الفهري مقابل ضمان مالي.

6 سنوات سجنا لسليم شيبوب

اصدت الدائرة الجنائية لقضايا الفساد المالي حكما بسجن سليم شيبوب 6 سنوات في قضية «مارينا قمرت ».

يذكر ان وقائع ملف مارينا قمرت تفيد انه بعد صدور امر سنة 2007 بإدماج قطعة ارض تمسح 10 هكتارات بقمرت من اجل التفويت فيها بالمليم الرمزي عبر الوكالة العقارية للسياحة لفائدة شركة « مارينا قمرت» قصد إقامة ميناء ترفيهي بالمكان تغيرت الامور وتحول المشروع الى الحصول على رخصة مجمع سكني سياحي وترفيهي. ونتيجة الخسائر التي لحقت الدولة جراء ذلك تم رفع الملف للقضاء وتوجيه أصابع الاتهام لكل من زين العابدين بن علي ورجل الاعمال سليم شيبوب. يذكر انه تم في الغرض وخلال شهر جويلية 2020 اصدار بطاقة إيداع ضد هذا الأخير.

حمادي الجبالي
فرقة الأبحاث الاقتصادية بالعوينة تتعهد

تولت مؤخرا فرقة الشرطة العدلية بشط مريم استنطاق شخصين من أصول افريقية حول وضعيتهما القانونيتين بتونس وعم ان كان لديهما التراخيص المستوجبة للعمل بها. وقد أفادا بانهما يعملان في ورشة تختص في مجال أجهزة التبريد على ملك سيدة تونسية اتضح انها زوجة حمادي الجبالي رئيس الحكومة الاسبق. وقد تحولت الفرقة الى الورشة المذكورة الكائنة بجهة أكودة. و بعد الاستفسار عن وضعية العملة الافارقة تولت حجز 3 قوارير من مادة الاستيلان ACETYLEN إضافة الي بعض المواد الأخرى باعتبارها مواد سريعة الالتهاب. وذكرت الأبحاث المجراة ان حمادي الجبالي حل بالمكان وطالب بمرافقة زوجته الي مقر الأبحاث.

هذه الواقعة اثارت ردود فعل متفاوتة وتكونت في الغرض لجنة دفاع عن حمادي الجبالي. قضية للمتابعة خصوصا بعدما تمت إحالة الملف الى فرقة الأبحاث الاقتصادية بالعوينة.

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

المهندسة أروى الغربي

أروى مع والديها

سطع مؤخرا نجم الباحثة التونسية أروى الغربي في سماء التكنولوجيا العالمية بحصولها يوم 10 ماي الجاري على الدكتورا في علوم الحاسوب وهندسة الطيران من جامعة جورجيا للتكنولوجيات بالولايات المتحدة الأمريكية. وبهذا تكون مروى أول عربية تنال عن جدارة أعلى الشهائد العلمية في تكنولوجيا المستقبل.

أروى ابنة المدرسة العمومية التونسية زاولت تعليمها بطبربة من ولاية منوبة ثم التحقت بمعهد بورقيبة النموذجي بالعاصمة واتمت دراساتها الجامعية بالمعهد التّحضيري للدّراسات الهندسيّة بنابل فالمدرسة العليا للطيران والتكنولوجيا قبل ان تطير إلى أمريكا أين برز نبوغها العلمي والبحثي.

مهندسة تونس الأولى فضلت الاحتفتال بنيل الدكتورا في تكنولوجيا الحاسوب وهي تتبختر ماسكة بيد ابيها الذي اختار ارتداء الجبة التونسية باعثة برسالة مضمونة الوصول مفادها أنها عالمية النجاح تونسية المنشأ. هو اذن نجاح دولي لاحدى "حرايز" تونس لا يمكن لنا الا ان نثمّنه ونشد على ايدي سفراء تونس وسفيراتها في مختلف المحافل العلمية والتكنولوجية عساها تكون مثالا للأجيال الجديدة في التمسك بالعلم سبيلا لرسم مستقبل بلد اثقلته الازمات.

رديء

غازي الشواشي

منذ توليه رئاسة حزب "التيار" انزلق غازي الشواشي في مسار سياسي تنازلي من سقطة إلى أخرى ومواقف تتسابق غرابة شوّشت أيما تشويش على هوية الحزب وأربكت صورته لدى الرأي العام السياسي وحتى لدى أنصاره وأخرجته من دائرة السباق السياسي في عمليات سبر الآراء.

تصريحات ومواقف صدّعت صورة رجل الدولة التي اكتسبها بعد مروره بوزارة أملاك الدولة وأنزلته منزلة السياسي المتذبذب الباحث عن التموقع بدلا عن تعزيز الثوابت الفكرية والمبدئية التي عُرف بها حزب التيار وجسّمها قبله بنجاح الأستاذ محمد عبو.

ولقد مثلت غرابة تحالفه المدهش مع أحزاب حسم في أمرها انتخابيا الرأي العام التونسي النقطة الفاصلة بين غازي الشواشي المتألق والمرشّح للعب الأدوار الأولى في مستقبل البلاد والسياسوي الذي فقد بوصلته وضلّ سبيله، ولو طلبنا اليوم من أي ملاحظ تحديد هوية حزب التيار السياسية لعجزعن ذلك واستسلم.

ولعل خروجه الإعلامي الأخير حول استقالة نجلاء بودنّ بالجزم لا بالتشكيك أحسن دليل على بحثه عن ذات سياسية تعيد له نوعا من البريق إذا حققتها الاحداث، إلا أن الاحداث كذّبته وأضاعت عليه فرصة جديدة لمحو ما فات من أخطاء وزلات ونحت صورة أقل شطحات وأكثر معقولية ومسؤولية.

صورة تتحدث

من هم أكثر نظافة هؤلاء العمال الشرفاء أم بعض السياسيين؟

قالوا

قيس سعيد

سيتم توفير كل ما يلزم للهيئة العليا المستقلة للانتخابات حتى تقوم بعملها في نطاق الحياد... قالوا ان هناك خبراء جاؤوا من الخارج...قادرون بامكاناتنا الذاتية ... تقولولنا نبعثولكم مراقبين ...ما ناش دولة محتلة..كنتم ترسلون ملاحظين ومراقبين في ما مضى وترسلون برقيات التهاني وتعرفون انها انتخابات مزيفة وحين نحاول اجراء انتخابات تعبر بالفعل عن ارادة الشعب يتحدثون عن دكتاتورية....

نور الدين الطبوبي

المنظمة الشغيلة ستكون سّدا منيعا ضّد الخيارات النيوليبرالية المتوحشة وضد الخطاب التكفيري وضد الخطاب الشعبوي والشعب التونسي محصن من دعوات العنف والتقسيم ويؤمن بالرأي والرأي الاخر وينبذ الوعود الجوفاء والزائفة ولن يسكت عنها.... لحظة حسم المعركة الوطنية آتية لا ريب فيها والاتحاد سيناضل بالتوازي بين الاستحقاقات الوطنية والاجتماعية فالمنظمة الشغيلة منظمة وطنية وسياسية بامتياز ولا مجال لاية سلطة للمراهنة على تقسيم الاتحاد ذي الصف الموحد والبوصلة الواضحة.

عبير موسي

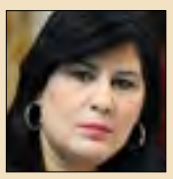

نسمح للبحيري والغنوشي والمكي واللطيف وبن مبارك والعريض بأن يصولوا ويجولوا في شارع الحبيب بورقيبة ...في بالهم (النهضة ومواطنون ضد الانقلاب وجبهة الخلاص) برمجو مع اسيادهم لانهاء فترة قيس سعيد وبانهم سيعودون على شاكلة ما حدث سنة 2013... حوار وطني وتوافق ويقدم الامر وكأنها تنازلات وتضحيات والامر في الحقيقة رسكلة النفايات.. سنسمع مع تفاقم الازمة حديثا عن ضرورة تنظيم الحوار الوطني بحضور كل الاطراف دون اقصاء الا من اقصى نفسه.. انا نقول "نجوم السماء اقرب لكم من العودة للحكم .. الدساترة موش باش يخليوكم ترجعو ... لن نسمح بربيع خراب جديد .. اقول لامريكا والمانيا نحن هنا الارض ارضنا.. قلنالكم نرفضوهم ..لن يحكمونا مجددا.. قلنهالكم ما حبيتوش تنسقو الدولة التونسية الحرة المستقلة ".

راشد الغنوشي

هذه المؤسسات (المؤسستان العسكرية والامنية) بطبيعتها مؤسسات نظامية تأتمر بأوامر الرئيس بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة وبالتالي فإنها تخضع الان للأوامر ولكن دون شك ليس بلا حدود او ضوابط باعتبار ان هذه المؤسسات تعمل في اطار الدستور ومضطرة للعمل في اطاره وحين ينتهج الشعب اتجاها كليا لا يمكن للمؤسستين الامنية والعسكرية ان تظلا على السمع والطاعة.

الشارع العالمي والعربي

هل انهزمت روسيا في حرب أوكرانيا؟

جنرال متقاعد يرد على قائد أركان الجيوش الفرنسية

الحبيب القيزاني

تزامنا مع العمليات العسكرية الدائرة بأوكرانيا منذ 3 أشهر اثر اعلان الرئيس الروسي عن قراره بغزو هذا البلد تدور رُحى حرب دعائية - اعلامية - نفسية يروّج عبرها الطرفان المتقابلان - روسيا من جهة وأوكرانيا ومن ورائها دول الناتو من جهة اخرى - معلومات عن مسار المواجهات بمختلف جبهات القتال، برّا وبحرا وجوّا.

معلومات تطرح أكثر من سؤال حول حقيقة الوضع العسكري يمكن حصرها في ما يلي : هل أُجبرت القوات الروسية على الانسحاب من ضواحي العاصمة الاوكرانية "كييف" مثلما تقول روايات عواصم دول الحلف الأطلسي ومن ورائها الاعلام الغربي؟ هل انقلب السحر على الساحر ولاح شبح الهزيمة أمام روسيا وهل وجدت قيادتها العسكرية نفسها مرغمة على الحطّ من طموحاتها والتكيّف مع حقائق الميدان في ظل حديث عن مقاومة أوكرانية فاجأت الروس بشراستها حسب تقارير اعلامية غربية؟ هل الحرب الحالية هي حقا أولى الحروب التي تدور على حدود اوروبا الغربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية؟ هل سبق لبوتين أن أعلن أن هدف العملية العسكرية التي أطلقها في أوكرانيا هو "اسقاط النظام القائم بها"؟ هل تلويح بعض القادة الغربيين بدخول الحرب الى جانب أوكرانيا جدي؟ وفي هذه الصورة لماذا اكتفوا بسلسلة من العقوبات المالية والنقدية والاقتصادية؟ هل تعاني خطوط القوات الروسية من نقص في الدعم اللوجستي ومن أخطاء في التكتيك وهل يكذب القادة الميدانيون الروس على بعضهم البعض حول انجازات وحداتهم ووضعياتها على الميدان؟

دومينيك ديلاوارد، DOMINIQUE DELAWARDE الجنرال الفرنسي المتقاعد، المقيم بالولايات المتحدة الامريكية والذي كان قائد الفيلق الاجنبي التابع للجيوش الفرنسي نشر في موقع "الشبكة العالمية" تعليقا على الأمر اليومي عدد 13 الموجه يوم 22 أفريل الماضي (بعد حوالي مرور شهر على بدء غزو أوكرانيا) من THIERRY BURKHARD قائد اركان الجيوش الفرنسية لجنوده اعترض فيه على ما جاء من أوامر ووصايا الأخير واضعا النقاط على الحروف مؤكدا أن لا غاية له من مداخلته سوى "قول الحقيقة عارية تماما بعيدا عن الخوف أو الاطراء أو الكسل الفكري".

وكتب ديلاوارد في هذا الشأن : "توجه BURKHARD للضباط والجنود قائلا : "مرّ اليوم نحو شهران على انطلاق الهجوم الروسي على أوكرانيا يوم 24 فيفري الماضي. وبعد أن وجد نفسه مُرغما على الانسحاب من ضواحي كييف يركّز الجيش الروسي على منطقة الدونباس.

وقد تمّ الحطّ من الأهداف السياسية المعلن عنها لدى انطلاق العملية العسكرية الخاصة فيما تتواصل المقاومة من طرف القوات الأوكرانية".

وجاء في تعليق ديلاوارد : "في القول إن القوات الروسية وجدت نفسها مرغمة على الانسحاب مغالطة اذ لم يتم اجبار هذه القوات على الاندحار وإنما هي فعلت ذلك بعدما لعبت بشكل جيّد دورها كقوة استدراج لتثبيت جانب من القوات الأوكرانية حول كييف وتمكين بقية القوات الروسية من احتلال مناطق جنوب شرقي أوكرانيا والسيطرة عليها بلا أية صعوبة.

ومهمة هذه القوات كانت في ما بعد محاصرة القوات الاوكرانية المنتشرة في منطقة الدونباس والقضاء عليها. وربّما ما لم ينتبه اليه الكثيرون هو أن ما بدا انه تهديد روسي بالزحف على كييف في بداية الحرب لم يكن سوى تمويها لإجبار العدو على حشد اغلب قواته حول العاصمة للدفاع عنها من ناحية ومنع الهجوم الذي كانت القوات الأوكرانية تعدّه على الدونباس من ناحية اخرى والقاعدة العسكرية التي تمكن بفضلها الروس من خداع عدوّم هي تلك التي تنص على "عدم الانطلاق في عمل عسكري عندما يكون قلب النظام مهددا (في اشارة الى العاصمة كييف.)

أما في يتعلق بـ "حطّ الروس من أهدافهم العسكرية" فإن ما حصل هو نقيض ذلك تماما. ذلك أن الأهداف الاقليمية التي أعلن عنها الروس في بداية الغزو انحصرت في اعتراف نظام كييف بضمّ روسيا منطقة القرم وباستقلال جمهورتي الدونباس ضمن حدودهما السابقة لعام 2014. أمّا اليوم فقد توسعت الأهداف الروسية المعلنة لتشمل كل ساحل البحر الأسود اضافة الى مدينة أوديسا والمنطقة المحاذية لترانسنتريا ومن هنا يتضح أن الروس رفّعوا في أهدافهم ولم يحطّوا منها. أما في ما يتعلق بصمود القوات الأوكرانية فلا مفرّ من الاعتراف بأنّها تضعف مع مرور الأيام طالما أنها تتراجع على طول جبهات القتال

رغم المساعدات الهائلة التي تمدّها بها 30 دولة تابعة للحلف الأطلسي سواء على مستوى الذخيرة والمعدات العسكرية أو على صعيد المعلومات بل وحتى على مستوى المستشارين والمرتزقة".

تعرّض بعد ذلك الجنرال المتقاعد ديلاوارد لقول قائد أركان الجيوش الفرنسية إن الروس "بحثوا عن توجيه ضربة قاضية هدفها تغيير النظام الاوكراني" وأن "حرب العمليات المكثفة والواسعة النطاق في طريق العودة لأوروبا". وكتب ديلاوارد في تعليقه : "ينسب قائد أركان الجيوش الفرنسية للروس نية تغيير النظام الأوكراني. ولا شك أنه يقول ذلك ليبرّر قوله إن الروس لم يتمكنوا من بلوغ هذا الهدف" متسائلا: "من أين لقائد الأركان بهذه المعلومة؟" مضيفا أنه "يتجاهل أن "المقاومة الشرسة التي يتحدث عنها" لا تعود للأوكرانيين وحدهم وإنّما الى 30 دولة تابعة للناتو تدعم بشكل ملموس الجيش الاوكراني واذكر هنا بالخصوص دور الولايات المتحدة في ذلك والذي كان وراء نجاحات نادرة على غرار تدمير الطراد الروسي "موسكو". والأكيد أنه لولا الاسناد الذي تلقاه من دول الناتو لكانت القوات الأوكرانية قد انهزمت شرّ هزيمة رغم إعلانها التعبئة العامة".

وتطرق بعد ذلك ديلاوارد الى قول قائد أركان الجيوش الفرنسية : "بعد مرور 77 سنة على نهاية الحرب العالمية الثانية يتواجه جيشان بكل ما يملكان من قوة وطاقات تشمل الطائرات والدبابات والسفن والصواريخ والمدفعية والحرب السيبرنية والجديد في هذه الحرب هو القرب الجغرافي باعتبار أن الصواريخ الروسية باتت تطال بشكل منظم غرب أوكرانيا الذي لا يبعد عن باريس أكثر من 1500 كلم وهذا يعني أن الحرب قريبة من حدود فرنسا وأنّها أقرب اليها ممّا عرفنا سابقا".

وفي ردّ على ذلك كتب ديلاوارد : "ان الحرب التي شنّها عام 1999 تحالف ضمّ 13 دولة تابعة للحلف الأطلسي على صربيا لفرض تقسيم خططت له الولايات المتحدة الامريكية كانت هي أيضا حربا مكثفة شن خلالها طيران التحالف 38000 طلعة على خطوط الصرب طيلة 78 يوما. وهذه الحرب لم تدر بعيدا عن حدود بلادنا ومثلت سابقة في القرب الجغرافي وهذا يعني أن قنابل الناتو وليس قنابل روسيا هي التي كانت سباقة في ضرب أراض أوروبية زارعة بذلك بذور ثمار ما نجني اليوم في أوكرانيا".

وردّا على قول قائد أركان الجيوش الفرنسية : "بالنسبة لنا كعسكريين فرنسيين فإن ذلك يوجب علينا الاستعداد للحرب باعتبار أن احتمال حصول اشتباك واسع النطاق أصبح واردا جدّا وعلينا أخذ ذلك بعين الاعتبار... وأن استعدادنا والمصداقية الناتجة عنه يفرضان علينا الانتصار في الحرب قبل بدئها وعلينا اذا تطلبت الظروف ذلك أن نكون جاهزين للدخول في مواجهة عالية الحدّة" كتب ديلاوارد : "أن قائد أركان الجيوش الفرنسية محق في كلامه عن نموّ احتمال قيام حرب عالية الحدّة خاصة في ظل سعي حلف أطلسي أصبح عدوانيا منذ عام 1990 واصراره على فرض هيمنته أو الاحتفاظ بها الى زرع الفوضى بأغلب مناطق العالم تحت ذرائع كاذبة" قبل أن يضيف : "المشكل أن إعداد الجيوش لهذه النوعية من الحروب يتطلب أعواما بل وحتى عقودا وهذا ما قام به بوتين منذ 20 سنة. كما يتطلب ذلك ميزانيات وصيانة متواصلة وتمارين مناسبة وجنودا احتياطيين والدول الغربية تفتقد اليوم كل هذه الأشياء نتيجة الاستثمار في عائدات السلم. ولا فائدة من الانخداع أو محاولة الكذب على أنفسنا. ذلك أنه اذا لم تدخل دول الناتو الحرب الى جانب أوكرانيا سوى عبر العقوبات الاقتصادية فلأنّ الامريكان ودول الناتو يدركون جيّدا انهم ليسوا في وضع يسمح لهم بكسبها عبر الوسائل العسكرية دون تكبّد خسائر لا يحتملونها وأنه سيكون لتلك الخسائر تأثير على جاهزية ومردود دول الناتو في مواجهة مع الصين قادمة لا محالة".

ثم عرّج ديلاوارد على كلام قائد أركان الجيوش الفرنسية عما أسماه "اكتشاف" قال إنه يتعلق بالمعنويات العالية التي ابدتها القوات الأوكرانية.

وردّ ديلاوارد على ذلك بالقول : "كفانا دجلا... إن مردّ الصمود الباسل الذي أظهرته المقاومة الأوكرانية هو الدعم المقدم لها من 30 دولة تابعة للناتو وبفضل تولي الامريكان قيادة عمليات الجيش الاوكراني الذي يزوّدونه بالمعلومات عن تحركات القوات الروسية إضافة الى الدعاية على نطاق واسع لنجاحات بعض ضربات المقاومة طالما أنها فشلت في التصدّي للغزو الروسي".

وحول تعبير قائد أركان الجيوش الفرنسية عن انشغاله بمدى لحمة وقدرة الشعب الأوكراني على الصمود ووجوب العمل على ضمانهما

كتب ديلاوارد : "يبدو أن قائد الأركان نسي أن أوكرانيا في حالة حرب أهلية منذ 8 سنوات وأن هناك بالبلاد شعبين وأوكرانيتين : أوكرانيا الغربية الموالية للغرب وأوكرانيا الشرقية الموالية لروسيا والحديث بالتالي عن وحدة شعب أوكراني واصطفافه وراء قادته خطأ كبير، وكل ما يمكن الاقرار به فعلا هو انه كانت هناك حقا لحمة في صفوف سكان أوكرانيا الشرقية الذين رفضوا التخلي عن ثقافتهم ولغتهم (الروسية) طالما سعت أنظمة موالية الغرب لمحوها بمراسيم رئاسية... هؤلاء السكان أظهروا فعلا طيلة 8 سنوات شجاعة وإرادة نادرتين بالصمود في وجه قنابل حكومتهم ودفعوا ثمن ذلك آلاف الأرواح... وشخصيا أشك في أن يقبل جنود من الدول الغربية عن طواعية التحوّل على بعد 2000 كلم للقتال ضدّ خصم لم يعتد عليهم ولم يهدّدهم. أما الروس فهم عكس ذلك متحدون وراء رئيسهم بنسبة تفوق 80 ٪ وهم بذلك يظهرون للعالم مرة اخرى عبر التاريخ انهم أقدر على الصمود امام غرب عدواني في طريق الانهيار".

قائد أركان الجيوش الفرنسية تحدث بعد ذلك عن أهمية تحلّي الجنود والضباط والقادة الميدانيين بالصراحة والولاء مؤكدا أنه على قناعة بأن القادة العسكريين الروس زيّنوا لبوتين أن غزو أوكرانيا سيكون نزهة وأن جيشهم سيتمكن من تحقيق انتصار سريع خالصا الى مجريات العمليات العسكرية اثبتت فشلهم في تحقيق ذلك بدليل ان العمليات العسكرية طالت وأنه اتضح ان القوات الروسية تعاني من عدة صعوبات نتيجة أخطاء تكتيكية وضعف في إحكام التنسيق اللوجستي بما أغرق الجيش الروسي في مستنقع يصعب عليه معه الظفر بانتصار.

كتب ديلاوارد في ردّه على ذلك : "إن سماع أحد جنرالات الناتو يتحدث عن الكذب أمر مذهل بل هو مدعاة للضحك لأنه ينسى أو يتناسى أن الكذب هو ماركة اطلسية مسجّلة يشهد بها كل العالم. فهل وجب تذكير Burkhard بسفاهة زميله الجنرال الأمريكي كولن بأول قائد اركان الجيوش الامريكية السابق والكذبة التي اطلقها أمام أعضاء مجلس الامن الدولي للدفع نحو غزو العراق وما نتج عنه من أرواح أزهقت باطلا؟ وهل وجب تذكيره بكذبة مجزرة Racak التي برّر بها الحلف الأطلسي غاراته على صربيا طيلة 78 يوما؟ وهل وجب أيضا تذكيره بالكذبة التي فبركتها أمريكا ومن ورائها دول الحلف الأطلسي باعتداء قوات عراقية على محضنة رضّع بالكويت (خلال اجتياحه) لاختلاق ذريعة للعدوان على العراق عام 1990؟

هل وجب تذكيره باعتراف وزير خارجية أمريكا الأسبق مايك بومبيو وقوله : "لقد كذبنا ومارسنا الخداع وسرقنا تماما كما لو أننا تلقينا تكوينا كاملا في ذلك"؟ ان جنرالات وقادة الناتو أبعد من ان يكونوا مؤهلين لإعطاء دروس لبقية دول العام عامة وخصوصا لروسيا ولذلك فقدوا أية مصداقية وعليهم ادراك ذلك ويكفيهم السفر الى دول افريقية أو آسياوية أو جنوب أمريكية أو مطالعة صحف هذه الدول ليقفوا على مدى الاحتقار والكراهية اللذين تثيرهما تدخلات وحروب بلدانهم بمختلف بقاع العالم... ألاحظ أيضا أن الجنرلات الروس يعرفون كيف يضحون بحياتهم لإعطاء المثل لجنودهم وضباطهم تماما مثلما فعل جنرالات فرنسا في عهد نابليون أو أيضا خلال الحرب العالمية الأولى... ومن غير اللائق ان يتهم جنرال مسترخ في مكتبه الفاخر بباريس الجنرالات الروس بالكذب وهم الذين ساعدنا اسلافهم على الانتصار في الحرب العالمية الأولى ثم في نجاح عملية الانزال الكبرى سنة 1945 عبر مساهمتهم الفاعلة على الجبهة الشرقية وهذا لا يجب ان ننساه... اما عن ضعف مستوى القيادة العسكرية الروسية فوحدها نتائج الحرب جديرة بالحكم عليه وحاليا لا بدّ من الاعتراف بأن أوكرانيا وحلفاءها بالناتو في وضع سيء وبأن لا العقوبات الاقتصادية أو نتائج العمليات العسكرية تسمح الى حدّ اللحظة بأن يميل ميزان القوى لفائدتهم".

الجنرال ديلاوارد وجّه في الختام لقائد أركان الجيوش الفرنسية نصيحتين وكتب : "أولا على فرنسا النأي بنفسها عن ناتو يريد أن يكون شرطيّ العالم بينما كان من المفروض أن يختفي بعد حلّ حلف فرصوفيا.. ناتو أصبح عدوانيا منذ عام 1990 (ألقت قواته مليون قنبلة وخلفت ملايين القتلى بسبب تدخلاته المباشرة وغير المباشرة في مختلف أنحاء العالم)... ناتو ترتبط كل عملياته العسكرية بمصالح الولايات المتحدة الامريكية وللمحافظة على هيمنتها. وهنا نصح ديلاوارد قائد أركان الجيوش الفرنسية بالاطلاع على مقال للجنرال الفرنسي Jean René Bachelet بعنوان "La guerre en Ukraine et le crépuscule de l'Occident". ثانيا على الجيش الفرنسي النأي بنفسه تماما مثلما طالب بذلك بعض جنرالات الجيش الإيطالي عن حرب ليست حربه ولا هي حرب الناتو باعتبار عدم انتماء أيّ من الطرفين اللذين يخوضانها الى الحلف الأطلسي. كما يجب تفادي الاصطفاف في حرب انفصال بين شقين في أوكرانيا هما غربها وشرقها يبدو أن سكانهما باتا يرفضان التعايش مع بعضهما. أمّا محاولة حث جنودنا وضباطنا وجنرالاتنا على وجوب الاستعداد للتضحية بأرواحهم في اطار عملية يريدها الناتو من أجل مصالح أمريكا ودميتها زيلنسكي فذلك أمر أرى أنه يستدعي الكثير من الجهد والحجج المقنعة ستواجهون مصاعب جمّة للاقناع بها".

وبخصوص قول رئيس اركان الجيوش الفرنسية في أمره اليومي ان الحرب بأوكرانيا تثبت بروز عهد جديد وسُلّم اولويات جديد ورهانات جديدة رد ديلاوارد : "انتظر وسترى وأملي الاّ يتم مستقبلا اسناد اوسمة لارواح جنود وضباط وجنرالات سقطوا في أوكرانيا".

ومع ذلك يبقى السؤال مطروحا : هل انهزمت روسيا؟.

وحدها الأيام كفيلة بالاجابة عليه.

أطلقت شركة "سيتي كارز" الوكيل الرسمي لماركة "كيا" الجنوب كورية بتونس، شاحنتها الخفيفة الجديدة K2500

في إطار وفاء ماركة "كيا" لقيمها ووعودها، تتمتّع الشاحنة K2500 بشهرة الدار الممتازة ونجاحها الغنيّ عن التعريف والذي أثبت جدواه وصلابة شاحناتها.

ويأتي إطلاق شاحنة K2500 التي طالما انتظرها مستعملو الشاحنات الخفيفة استجابة لانتظارات وحاجات الحريف التونسي.

وتمثل الشاحنة الجديدة وسيلة عمل موثوق بها ومتعدّدة الاستعمالات وتتكيّف مع هامش واسع من الاستخدامات سواء بالنسبة للقطاع الصناعي أو الأنشطة التجارية أو ما يتعلق بميدان اللوجستيك ومهن النقل وإيصال السلع بصفة عامة.

وتتميّز الشاحنة K2500 بخصائص تقنية وبامتيازات لا مثيل لها وهي مطروحة في نموذج بغرفة قيادة ذات 3 مقاعد وصفيحة معدنية جانبية متدلية.

أمّا طاقة حمولة الشاحنة فهي كبيرة بما فيه الكفاية اذ تبلغ 1,5 طن مع وزن شامل بـ 3,2 أطنان.

وتساعد قوة دفع العجلتين الخلفيتين (أربع عجلات خلفية) المزدوجتين على الوثوق في الشاحنة وعلى ضمان استقرارها حتى في حالة الحمولة الزائدة.

ويبلغ طول الشاحنة K2500ـ 5,125 أمتار وعرضها 1,740 متر في حين يبلغ علوّها 1,995 متر وقاعدتها2,615 متر. أمّا قياسات فضاء الحمولة فتبلغ 3,110 أمتار طولا و1,630 متر عرضا.

ويرتكز الجانب الخلفي من الشاحنة على خمسة نوابض من الصفائح المعدنية التي توفّر مرونة أفضل وتمتصّ جانبا من رجّات الطريق خلال الاستعمالات الأكثر كثافة.

وعلى صعيد التجهيزات، تحتوي الشاحنة K2500 على معدّات ذات مستوى عملي وتوفر رفاهة مثالية، منها:

وسادة هوائية خاصّة بالسائق ومكيف هواء وبلور نوافذ كهربائي العمل وراديو ومفتاح تخزين USB...

المحرّك

شاحنة K2500 مجهزة بمحرك سعة 2,5 لتر (2497cc) مازوط تبلغ قوته 130 CVDIN.

أمّا كتلة المحرك فهي مقترنة بمحوّل سرعة يدوي الاستعمال وذي 6 نواقل للحركة فيما تبلغ سرعة الشاحنة القصوى 150 كلم في الساعة مع معدل استهلاك للمازوط بـ 9,5 لترات في المائة كلم.

السعر والعرض

شاحنات K2500 متوفرة في قاعة العرض التابعة لـ "سيتي كارز" الكائنة بالمنطقة الصناعية بالكرم وبقاعات عرض الوكالات المعتمدة من طرف شركة "كيا".

وتُعرض الشاحنة K2500 المجهّزة بصفيحة معدنية جانبية متدلية بسعر 61.990 دينارا (TTC) وهي متوفرة في لونين: الأبيض (Clear White) والأزرق (Marine Blue).

لمزيد المعلومات اتصلوا بنا على موقع الواب: www.kia.tn – contact@kia.tn أو على أرقام الهواتف التالية: 36406200 و36010701 و36010710

مؤلف كتاب «ماكينة النهب» :

لولا افريقيا لكانت فرنسا دولة فقيرة والمساعدات تحيّل

TOM Burgis

في مقال حمل عنوان : "لولا افريقيا لكانت فرنسا بلدا فقيرا" وبعد أن تساءل عن مدى صواب الفكرة الرائجة التي تصنّف بلدان القارة الافريقية بلدانا فقيرة بل وحتى محتضرة وتدّعي أن شعوب القارة لن تقدر على البقاء على قيد الحياة إلاّ بالمساعدات أكد موقع "الشبكة العالمية" أن الأرقام تفنّد ذلك مشيرا الى أن الحقيقة عكس ما تبثّ الدعاية الغربية بدليل أن قائمة أكثر البلدان ازدهارا في العالم تضمّ 6 دول افريقية تتميّز نواتجها الوطنية الخامة بنموّ متواصل.

الموقع أكد أن فرنسا تستولي بفضل "الضريبة الاستعمارية" وبطرق نعتها بالملتوية والمتحيّلة على ما لا يقل عن نصف "المساعدات المالية المقدمة للدول الافريقية في شكل قروض مع اجبارها على تسديد الفوائض عن أصول الديون" معتبرا أن ذلك يعني في النهاية أن افريقيا هي التي تساعد فرنسا وليس العكس.

وكتب الموقع في هذا الشأن : "تُلزم فرنسا 14 بلدا افريقيا عبر معاهدة استعمارية بإيداع 85 ٪ من احتياطياتها المالية بالبنك المركزي الفرنسي تحت رقابة وزارة المالية الفرنسية. وكل القادة الأفارقة الذين يرفضون ذلك يتعرضون سواء للقتل أو لانقلابات عسكرية. أمّا الذين يرضخون فتكافؤهم فرنسا بحياة رغيدة بينما تعاني شعوبهم من الفقر واليأس. وتدير هذه السياسة النقدية الخزينة الفرنسية بعيدا عن أنظار مصالح الضرائب المركزية".

وحسب الاتفاق الذي رعاه البنك المركزي للفرنك الافريقي - الفرنسي فإن كل بنك مركزي افريقي ملزم بالاحتفاظ بما لا يقل عن 65 ٪ من احتياطياته النقدية في "حساب عمليات" تديره الخزينة الفرنسية الى جانب 20 ٪ منها لتغطية الخصومات المالية وهذا يجعل الصفة الافريقية التي تحملها البنوك مجرد اسم لا غير ويؤكد أنها لا تملك أية سياسة نقدية خاصة بها. والبلدان الافريقية في حدّ ذاتها تجهل حتى مبالغ احتياطياتها من العملة الأجنبية".

وأضاف الموقع : "من المفروض أن تتم اضافة أرباح استثمارات صندوق الخزينة الفرنسية لاحتياطات الدول الافريقية لكن البنوك الافريقية لا تتلقى من الخزينة الفرنسية أية معلومات عن الحسابات ولا أية تفاصيل عن جديدها".

وتابع : "وحده فريق مضيّق من الموظفين السامين العاملين بالخزينة الفرنسية على اطلاع على المبالغ المضمنة بحساب العمليات الذي يتضمن ودائع الدول الافريقية" مقرّا بوجود أرباح على الودائع وبأنه ممنوع على الموظفين السامين المشار اليهم كشف أية معلومات عن ذلك لبنوك الفرنك الفرنسي - الافريقي أو للبنوك المركزية الافريقية.

ونقل الموقع عن الدكتور غاري.ك.بوش Gary K. Busch تقديره أن الخزينة الفرنسية تتصرف سنويا في حوالي 500 مليار أورو من الاموال الافريقية وترفض تسليط الضوء على هذا الجانب المظلم من الامبراطورية الفرنسية حسب تعبيره.

ووفق "الشبكة العالمية" : "اذا قارنا المبلغ المذكور بالـ10 مليارات أورو التي تسندها فرنسا كـ "مساعدات" مالية للدول الافريقية اتضح أن باريس شحيحة وأنها تمارس سياسة "الاعانات قطرة قطرة" مقابل سطوها على ثروات طائلة لا تتمثل في الأموال التي تحوّل وجهتها بلا أية ذريعة مقبولة فحسب وإنما خاصة في ثروات الدول الافريقية الباطنية التي تحصل عليها بأسعار بخسة بحكم "معاهدات استعمارية".

وبعد أن أكد أن دول الاتحاد الاوروبي تتعامل مع البلدان الافريقية تماما مثل فرنسا، اعتبر الموقع أن افريقيا "سجينة في وضعية استعباد نقدي باعتبار أنها تصبح أغنى قارة في العالم إذا تحررت عملاتها من الاستعمار النقدي وباتت تتصرّف بكل حرية في ثرواتها".

وأضاف الموقع : "ان الدول الافريقية مكبّلة ايضا بمعاهدات تمنع عليها القيام بأية مبادلات اقتصادية دون ضوء أخضر من الدول الغربية وأبرز دليل على ذلك معاهدة Tipp-Tafta". أما عن الوضعية القانونية فقد قال الموقع ان الدول الافريقية تجد نفسها كما لو كانت تحت وصاية.

وبخصوص ثروات البلدان اشار الموقع الى أن الدول الغربية "تغرف منها بلا ضوابط وبكل حرية".

ثم نقل الموقع عن الصحفي الاستقصائي TOM Burgis الذي عمل طويلا مراسلا لصحيفة "فايننشيال تايمز" بافريقيا وصاحب كتاب "ماكينة النهب" The Looting Machine ان نهب ثروات افريقيا الطبيعية يتم بشكل ممنهج الى درجة ان الباحثين في شؤون النمو باتوا يتحدثون عن "لعنة المواد الأولية" نتيجة الفقر المنتشر بالبلدان الأكثر ثراء بها ملاحظا أنه حتى اذا تعلق الأمر بسوء حوكمة وصراعات فإنه لا يتعلق بحادث عارض ولا بإحدى غرائب عالم الاقتصاد وإنما بمنظومة نهب ممنهج.

ووفق Burgis يتعلق المشكل بوجود موظفين داخل ماكينة النهب لا يتورعون عن ارتكاب تجاوزات لتحقيق مآرب شخصية ذاكرا على سبيل المثال شراء شركتي Royal Dutch Shell و KBRالتابعة لمجمع هاليبورن النفطي الامريكي ذمم موظفين سامين لتقويض قوانين الدولة التي تنص على وجوب عمل الموظفين العموميين من أجل المصلحة العامة للبلاد ورفض الاندماج في وفاق غايته الأولى السعي لتمكين حفنة من الرأسماليين من تكديس الثروات على حساب رفاهية الشعوب.

وأوضح Burgis أن الامر يتجاوز دوائر الحكام الافارقة وأن الداء يكمن في وجود شبكات لا يدين أصحابها بالولاء لأوطانهم ويرتبطون بالشركات العالمية التي تضع مصالحها فوق كل اعتبار وأن الأخيرة تتمكن بذلك من الفوز بعقود صفقات النفط أو غيره من المعادن عبر شركات واجهة تمكن في المقابل أصحابها من تهريب الاموال الى الخارج.

وفي ختام حديثه قال المؤلف : "ليست الرأسمالية على المستوى العالمي سوى بلطجة وقد اثبتت العديد من الابحاث والتقارير والشهادات أنه يتم نهب افريقيا بالرغم من كل القوانين الدولية وقد ثبت ان كندا مثلا أقامت منظومة متواطئة سمحت بتسجيل 70 ٪ من شركات استخراج المعادن العالمية لديها وتمتيعها بامتيازات قانونية وتشريعية مقابل فرض قوانين تضرّ بمصالح البلدان الافريقية المتأتية منها مختلف المعادن مثل الذهب والماس والحديد والكوبالت والنحاس وغيرها".

وخلص Burgis الى القول : "ان الوقائع تثبت أن افريقيا هي أغنى القارات وأنها لذلك تتعرض الى هذا الكمّ الهائل من النهب وإلاّ لِمَ كل هذه الاطماع فيها اذا كانت حقا قارة فقيرة؟

ان الدول الفقيرة حقا - على مستوى الثروات الباطنية هي الدول الغربية، فكيف لمن لا يملك أن يقدم مساعدات لغيره؟... ان في الأمر تحيّلا صارخا".

فاينانشيال تايمز:

شبه جزيرة القرم "قد تكون نقطة بوتين الحاسمة في لعبة الدجاجة النووية"

رجّحت صحيفة فاينانشيال تايمز تحت هذا العنوان حصول تصعيد بين القوتين العظميين في العالم يضعهما على حافة حرب نووية شاملة قبل التوصل إلى تهدئة تحفظ ماء وجه الطرفين.

وحسب الصحيفة يشير مصطلح "لعبة الدجاجة النووية" الى ما يعرف أيضا بـ"سياسة حافة الهاوية" واستشهدت بتصريحات لمديرة وكالة الاستخبارات الوطنية الأمريكية، أفريل هينز، الأسبوع الماضي قلّلت فيها من احتمال نشوب صراع نووي بين روسيا من جانب والولايات المتحدة وحلفائها في الغرب من جانب آخر، وقالت فيها إن بوتين لن يلجأ لذلك إلا إذا شعر بتهديد وجودي للدولة الروسية.

ورأت الصحيفة أن ما يمكن اعتباره تهديدا وجوديا للدولة الروسية هو أحد احتمالين: أولهما هو القتال المباشر بين القوات المسلحة الروسية ونظيرتها الأمريكية، حيث إنه بمجرد أن يندلع الصراع العسكري المباشر سيكون من الصعب تجنب التصعيد.

وأشارت إلى أن ذلك لم يحدث طيلة العقود السبعة الماضية، بسبب ضبط النفس المتبادل من الجانبين على الرغم من حدوث تدخلات عسكرية دعم فيها كل طرف خصم الطرف الآخر بأسلحة على نطاق واسع، بداية من الحرب الكورية وحتى الحرب الدائرة حاليا في أوكرانيا.

أما الاحتمال الثاني لاندلاع صراع نووي حسب الصحيفة فهو حصول تقدم عسكري أوكراني في ساحة المعركة بما يهدّد الأراضي الروسية.

وكتبت "إذا كان هناك خطر تصعيد، فمن المرجح أن يأتي من الأراضي التي خسرتها أوكرانيا في عام 2014، والتي تلتزم كييف الآن بتحريرها. من المهم هنا التمييز بشكل واضح بين الدونباس وشبه جزيرة القرم". في الدونباس، اعترفت موسكو بالجمهوريتين الانفصاليتين على أنهما ينتميان اسميًا إلى أوكرانيا. القرم في وضع مختلف وحتى انتقالها إلى جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية في عام 1954، كانت جزءًا من الإمبراطورية الروسية لما يقرب من قرنين من الزمان وباعتبارها موطن أسطول بوتين في البحر الأسود، فإن احتمال خسارة شبه الجزيرة في المعركة سوف يُنظر إليه على أنه تحدٍ أساسي لوحدة أراضي روسيا ومع ذلك، في حالة عدم وجود وقف لإطلاق النار ستكون القوات الأوكرانية حريصة على منع شبه جزيرة القرم من أن تصبح ملاذًا، يمكن للكرملين من خلاله إعادة إمداد قواته في بقية أوكرانيا».

واضافت الصحيفة "تفتح إمدادات أنظمة الأسلحة بعيدة المدى من الدول الغربية إمكانيات استهداف جديدة (من جانب الجيش الأوكراني). قد يكون جسر كيرتش جائزة مغرية، مثلها مثل القاعدة البحرية الروسية في سيفاستوبول وإذا تم اعتبار الهجمات على هذه الأهداف بمثابة مقدمة لغزو شامل لشبه جزيرة القرم، فقد يزيد ذلك من خطر التصعيد النووي. هذا هو أحد أكثر السيناريوهات إثارة للقلق".

دير شبيغل:

الحظر المفروض على النفط الروسي يهدّد شرق ألمانيا بعواقب اقتصادية

اعتبرت مجلة "دير شبيغل" الألمانية أنّ الحظر المفروض على النفط الروسي يمثل تهديدا اقتصاديا لشرق ألمانيا مشيرة الى أنّ مصفاة "PCK" يمكن أن تصبح الضحية الألمانية الأولى للأزمة الأوكرانية.

وكتبت المجلة «إنّ مستقبل الشرق (الألماني) على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي يتقرر في شوديت، حيث توجد مصفاة هناك تتلقى النفط الخام حصرياً من روسيا عبر خط أنابيب دروجبا المعرض للخطر بسبب خطط فرض حظر على واردات النفط».

واضافت: "كان الأمر قبل ذلك يدور حول كيفية مساعدة الحكومة الألمانية أوكرانيا، في حين أنّه يمكن التحكم نسبيا في تأثير الأزمة على الحياة اليومية للألمان".

وتابعت المجلة: "في شويدت، الوضع مختلف الآن، حيث يمكن أن تكون للأزمة الأوكرانية عواقب وجودية على المدينة التي يبلغ عدد سكانها 30000 نسمة، وهنا تبدأ نقطة تحول أخرى في الشرق مرة أخرى".

ولفتت إلى أنّ "9 سيارات من بين كل 10 في برلين وبراندنبورغ تعمل بالبنزين ووقود الديزل من مصنع شويدت، الذي يوفّر الوقود أيضا للمطار المحلي"، مبرزة أنه "كان من المحتمل أن يتخذ زعماء المناطق الشرقية من ألمانيا قراراً مختلفاً حيال فرض الحظر المحتمل على النفط الروسي لو كان الأمر بأيديهم".

وأوضحت أن "هناك عدم تأييد لخطوات الحكومة تجاه أوكرانيا في الشرق، على عكس الجزء الغربي من البلاد تماماً، مؤكدة ان استطلاعات الرأي تشير إلى أنّ غالبية الألمان الشرقيين لا يؤيدون تصدير الأسلحة إلى كييف".

وأكدت المجلة أنّ "السكان الشرقيين تأثروا بارتفاع الأسعار الناجم عن الأزمة الأوكرانية، لأنّهم يكسبون أقل في المتوسط ولديهم مدخرات أقل من السكان الغربيين".

يُشار إلى أنّ وزير الاقتصاد الألماني كان قد قال في وقتٍ سابق إنّ بلاده "تأمل في إيجاد وسيلة في غضون أيام لإبدال النفط الروسي بإمدادات من مصادر أخرى"، مضيفاً أنّه بامكان ألمانيا أن تشارك في حظر أوروبي على واردات النفط الروسي".

وتحت ضغط أمريكي وأوروبي لتقليل اعتمادها على الطاقة الروسية عقب العملية العسكرية الجارية في أوكرانيا، قالت برلين سابقاً إنّها "قد تضع حدا لوارداتها من النفط الروسي بحلول نهاية العام"، رافضة فكرة فرض حظر فوري على الواردات الروسية.

ايران

الغلاء يشعل الاحتجاجات وهتافات بـ"الموت لرئيسي"

تجددت يوم الأربعاء 11 ماي الجاري المظاهرات في مقاطعة "خوزستان" بايران احتجاجا على الترفيع في أسعار الدقيق والخبز والدجاج والبيض والزيت والحليب ومشتقاته.

وحسب موقع "إيران انترناشيونال" ردّد المحتجون في مدينة دزفول شعارات معادية للرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي ولرموز السلطة منها بالخصوص "الموت لرئيسي".

ورغم قطع السلطات الإيرانية الانترنات، تمكن رواد التواصل الاجتماعي من تسريب فيديوهات توثق مداهمة مواطنين إيرانيين عدّة فضاءات تجارية وسطوهم على العديد من السلع والمواد الأساسية.

كما تضمنت مواقع التواصل الاجتماعي فيديوهات وصورا عن مواجهات بين المتظاهرين والمحتجين وقوات الأمن الإيرانية خصوصا في مناطق دزفول والخفاجية وإيذة والأهواز والحميدية وشادكان.

قبل عملية «z»

الناطق باسم البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية)، الأميرال جون كيربي اعترف خلال حوار أجرته معه يوم 10 ماي الجاري قناة «فوكس نيوز» الأمريكية بأن «إدارة بايدن زوّدت أوكرانيا بمختلف أنواع الاسلحة قبل اعلان الرئيس الروسي بوتين عن اطلاق عملية عسكرية خاصة بأراضيها».

كيربي أوضح أن المبالغ الأولى من مليارات الدولارات التي أقرها بايدن لأوكرانيا خصصت لامدادها بأسلحة حديثة بمشاركة بريطانيا وكندا وأستراليا وبلدان حليفة على حدّ تعبيره.

تجهيزات الكترونية

موقع STRAGEGIKA51 كشف أن الجيش الروسي حجز في مدينة مايوبول تجهيزات الكترونية عسكرية أمريكية يتطلب تصديرها ترخيصا مكتوبا من حكومة الولايات المتحدة.

الموقع أشار الى أن الأمر يتعلق بتجهيزات اتصالات محمولة وصفها بعالية التطوّر مبرزا أن الوثائق التي تم العثور عليها مع التجهيزات تثبت أنه تم ارسالها سرّا الى كييف سنة 2010 أي قبل حرب الدونباس عام 2014.

لاء تركية

موقع «الشبكة العالمية» اعتبر أن تركيا «تحيط علاقتها بروسيا بكل العناية المطلوبة مراهنة بذلك على انتصار موسكو في الحرب الدائرة بأوكرانيا».

الموقع أشار في هذا الصدد الى التحفظات التي عبّر عنها الرئيس التركي رجب طيب اردوغان إزاء احتمال انضمام وشيك لفنلندا والسويد للحلف الأطلسي الذي بات أشبه بالتحصيل الحاصل.

«الشبكة العالمية» لاحظ ان انتصارا روسيّا على أوكرانيا وحلفائها يعني بالنسبة لأنقرة سيطرة موسكو على كل البحر الأسود وأن تركيا ستجد نفسها اذا أخذنا بعين الاعتبار النفوذ

الروسي بسوريا محاصرة لافتا الى أن ذلك يفرض عليها التزام الحياد إزاء واشنطن وموسكو.

الموقع كشف من جهة أخرى أن أنقرة تجري مفاوضات سرية مع دمشق لسحب قواتها من الشمال السوري مقابل التوصل الى حلّ لمعضلة «الإرهاب الكردي» معتبرا أن اردوغان بات مجبرا على التخلي عن حلم «انضمام بلاده الى الاتحاد الأوروبي وعن مطامحه لاستعادة امجاد الخلافة العثمانية مستدلاً على ذلك بطلب السلطات التركية من ممثلي منظمة «حماس» مغادرة البلاد.

13 دولة ضد ماكرون

موقع «الشبكة العالمية» أكد أن 13 دولة تابعة للاتحاد الأوروبي أصدرت بيانا مشتركا تعارض فيه اقتراح الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون الغاء حق الدول في «الفيتو».

وحسب الموقع تضم القائمة : بلغاريا وكرواتيا والدانمارك وإستونيا وفنلندا وليتونيا وليتوانيا ومالطا وبولونيا وجمهورية التشيك ورومانيا وسلوفينيا والسويد.

الموقع اعتبر أن في موقف الدول الثلاث عشر إهانة لماكرون.

في 30 دقيقة

موقع «الشبكة العالمية» نقل عن ديمتري روغوزين نائب رئيس الحكومة الروسية والمدير السابق لوكالة الفضاء روسكسموس والذي كان أيضا سفير موسكو سابقا لدى منظمة الحلف الأطلسي قوله يوم 8 ماي الجاري أنه «في حالة نشوب حرب نووية، يمكن لروسيا تدمير دول «الناتو» في نصف ساعة» واضافته مستدركا : «لكن يجب الحرص على تفادي ذلك لأن انعكاسات حرب مماثلة ستطال كل الكرة الأرضية».

روغوزين ختم تدخله بالقول – حسب الموقع - : «نتيجة لذلك يجب علينا الانتصار على هذا العدوّ اقتصاديا وعسكريا عبر وسائل عسكرية تقليدية».

عرض شروط

على ذمة موقع «الشبكة العالمية» أدّى الجنرال سيفن تاونساند قائد «أفريكوم» (القيادة المركزية للجيش الأمريكي بافريقيا) على هامش جولة قادته الى جيبوتي والصومال وكينيا، زيارة سرية الى صوماليلاند.

الموقع ذكر ان تاونساند قد يكون عرض على سلطات البلاد الموافقة على استقبل مركز قيادة «أفريكوم» مقابل عمل واشنطن على فرض الاعتراف بصوماليلاند كدولة مستقلة وعضوة بالأمم المتحدة.

«الشبكة العالمية» ذكّر بأن مقر قيادة «أفريكوم» مازال في المانيا بسبب اعتراض الدول الافريقية على قبوله بأراضيها.

مصائب قوم..

رئيس بوتسوانا، موكويتسي ماسيسي، أكد في حوار أجرته معه وكالة «رويترز» أن بلاده تتلقى من عدّة حرفاء أوروبيين بين دول وشركات خاصة طلبات ملحّة ومستعجلة لامدادها بنحو 50 الف طن من الفحم شهريا إضافة الى تأمين عقود طويلة الأمد تبلغ مليون طن سنويا.

الطلبات الأوروبية التي تأتي نتيجة مقاطعة الغاز والنفط الروسيين تمثل تراجعا عن الضغوط التي مارستها طويلا على بوتسوانا عدة عواصم أوروبية لاجبارها على التخلّي عن استغلال مناجم الفحم التي تملكها احتراما للاتفاقية العالمية حول الحدّ من انتشار غاز أوكسيد الكربون.

يشار الى ان سعر طن الفحم ارتفع من 186 دولارا منذ يوم 23 فيفري الماضي الى 462 دولارا يوم 10 مارس.

مصائب قوم عند قوم فوائد.

الشارع الثقافي

العدد 310 - من الثلاثاء 17 إلى الاثنين 23 ماي 2022 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الصغيّر أولاد احمد

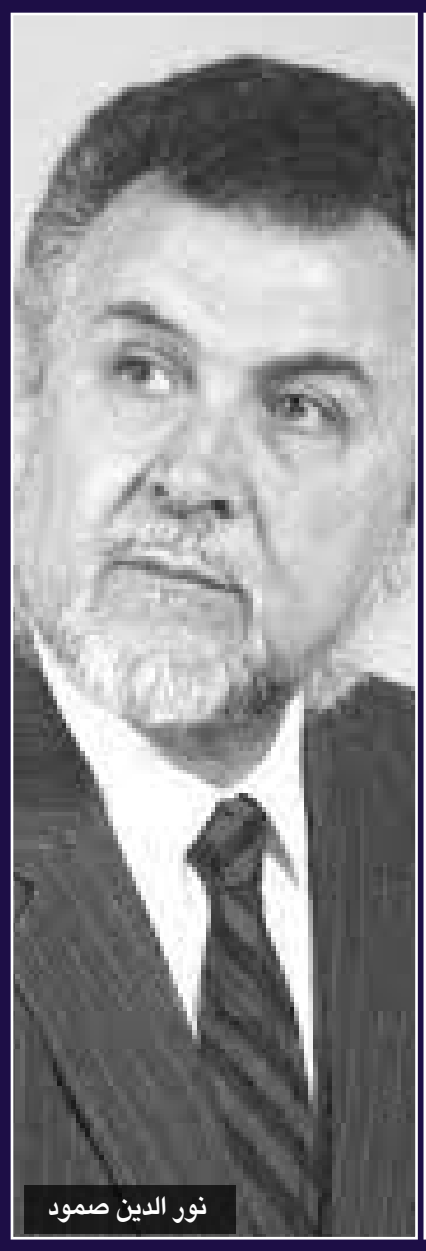
نور الدين صمود

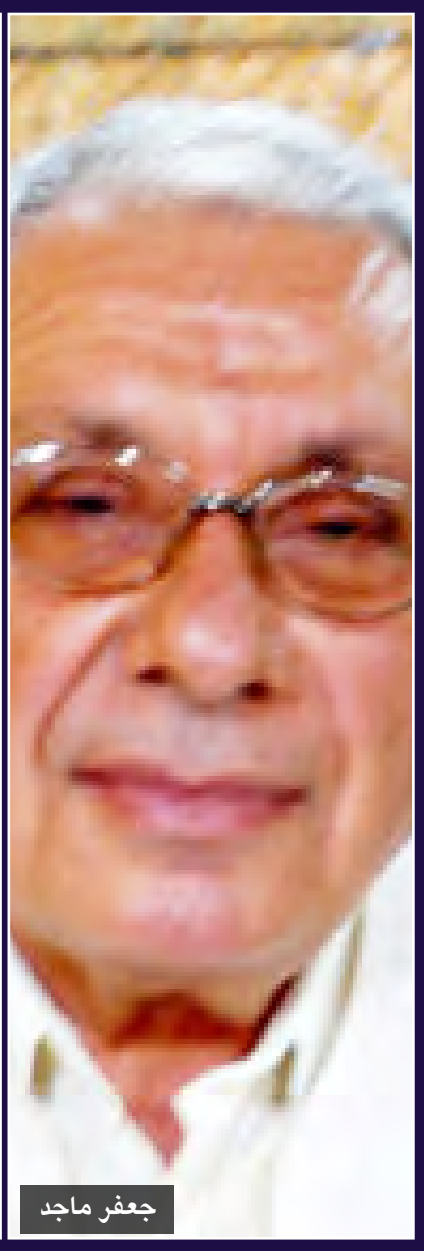
جعفر ماجد

منوّر صمادح

أبو القاسم الشابي

لماذا يتجنّب النقّاد نقد الشّعر التّونسيّ في السّاحة الثّقافيّة وفي الجامعة؟

دراما

هل إستطاعت الدراما السورية التحرر من القيد والرقابة

بقلم : محمد ملص

رأي

قلق الجنّة والنّار وإطلاقيّة الحقائق الإيمانيّة : شيرين أبو عاقلة بين دهس الاحتلال وجدل الاستغفار

بقلم : د. منية العلمي

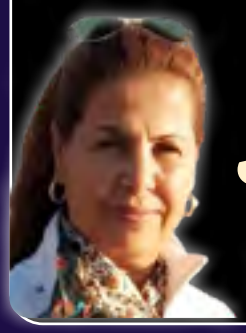

فن تشكيلي

غادة بوزقندة الكشو المدينة العتيقة بصفاقس خزانة جمال تدمع لها العين

مسرح

من «غزوة السلفيّين» إلى « غزوة المِزوديّين»

بقلم : أنور الشعافي

وقفة

الكائن المعذّب وكتابة المحو

بقلم : ليلى حاج عمر

لا ريب أنّنا في عمقنا الأنطولوجي الكائن المعذّب، فالعذاب هو قدرنا على الأرض، لذلك كان الأدب رديف الألم، مقاومة وتجاوزا. ولأن لا شيء يخيف الإنسان في وجوده قدر العذاب والألم، فإنّ الأنظمة الشّموليّة في سعيها الأبديّ إلى الهيمنة على الإنسان، وفي التجائها إلى العنف السّادي لتحويله إلى كتلة لحم عفنة ، حتّى تستطيع البقاء والتمدّد، اتّخذت التّعذيب بما هو التكثيف المرعب للألم ، أداة للتحكّم فيه وتجريده من إنسانيّته ومن وعيه العميق. وقد تفنّنت هذه الأنظمة على امتداد التّاريخ في ابتكار آليات التّعذيب، والبحث عن الأكثر ألما دون موت من أجل تكثيف العذاب وتجديده. فالتّعذيب هو ملامسة الموت والعودة إلى الحياة من أجل ملامسة أخرى. إنّه البقاء على حدود الموت، حيث الرّعب الأبديّ، وهو فعل لا يأتيه سوى الإنسان / الجلّاد. إنّه الكائن الوحيد على الأرض الذي يتفنّن في القتل ويتلذّذ ذلك، فرادة تدفعنا إلى أشدّ الأسئلة ضراوة حول ماهيّة الإنسان وسؤال الشرّ فيه. هندسة الشرّ كانت دوما مرتبطة بالإنسان ومن صنعه، وكان التّعذيب من أجلى التعبيرات على قدرته على نفي ذاته ونفي الآخر، من أجل السّقوط الكليّ في التوحّش.

وبما أنّ « الحياة المبتلاة بالعناء هي حياة تروى « كما يرى بول ريكور في حديثه عن السّرد بما هو إدراك لحقيقة العذاب، فإنّ التعذيب باعتباره تجربة معاناة كان مادّة خصبة للأدب. لقد وجد الأدباء في التعذيب تيمة جديدة ارتبطت بنشأة أنظمة شموليّة حديثة، وأداة لإنتاج المعرفة بالإنسان مُعَذِّبًا ومُعَذَبًا. فتجربة العذاب لا تتعلّق فحسب بالضحيّة بل بالجلّاد أيضا.

فكيف هو الإنسان الذي يعذِّب؟ هل هو « شرّير» بطبعه، أم أنّ الشرّ يبدأ صغيرا خجولا متردّدا ثمّ يكبر تدريجيّا مع ممارسة التّعذيب ليصبح هويّة المعذِّب؟ هويّة جديدة يجد فيها تحقّقه: أنا أعذّب إذن أنا موجود. هكذا كان التعذيب في روايتي سوبرنوفا عربيّة هويّة الجلّاد الذي لا يستطيع العيش دون تعذيب، وحين وجد نفسه في الطّريق مع البشر المهجّرين من الأوطان العربيّة المعذَّبة اختلّ توازنه وظلّ يبحث عن هويّة جديدة له، هويّة استعصى عليه إيجادها بما أنّه ما إن بدأ يستعيد إنسانيته من خلال التّجارب العميقة في الطّريق وخاصّة تجربة الحبّ، حتّى حدث النّكوص في أوّل اختبار له. هنا يمكن الحديث عن « موت قلب» وعن الشرّ طبيعة ثانية ناتجة عن تاريخ يمرّ به مرتكب التعذيب، وعن بُنى نفسيّة وثقافيّة وسياسيّة تهيّء لـ«موت القلب». وهنا تُحدّثنا حنة آرنت عن تفاهة الشرّ، ذلك الشرّ الذي يأتي نتيجة غياب التّفكير الشّخصيّ، ونتيجة الرّغبة الأنانية في نيل الامتياز أو في إرضاء البيروقراطية الإدارية من أجل احتلال موقع أفضل فيها. لقد كان آيخمان الذي حضرت حنة آرندت محاكمته أفضل تجسيد للموظّف الذي تقوده مطامعه الشخصية إلى صناعة جثث بشريّة حيّة، ولكنّ آيخمان كانت تقوده أيضا الثقة العمياء بسلطة معصومة، لقد كان مؤمنا بالفوهرر وبفكرة مقدّسة هي عظمة العرق الألماني. إنّها الفكرة المقدّسة التي تحوّل البعض إلى آلة فرم أو طاحونة لجرش الأجساد.

وفي الأدب كان لكلّ المعذِّبين « فوهرر خاصّ بهم، وفكرة مقدّسة يرتكب باسمها أفظع الجرائم، فكرة كبيرة قد تكون الأمّة، أو الوطن، أو الدين، أو ثورة ثقافية، أو تصحيح مسار، وتحت هذه الفكرة الكبيرة وباسمها ترتكب الكبائر، وهو ما يذكّرنا بمقولة شهيرة للأديب الروسي غوغول: « ما أكثر اللّاإنسانيّ في الإنسان». هكذا هو، فحتى وهو يرفع الأفكار العظيمة التي توهم باكتمال إنسانيته، يسقط بسرعة في خيبة اللاإنساني وكأنّ الحضارة لا تكتمل إلا على هذا النحو.

في روايته «جسر على نهر درينا» للروائي اليوغسلافي ايفو اندريتش التي حصل على إثرها على جائزة نوبل للأدب، وظف الكاتب أسطورة شعبية رائجة هي حكاية الأم التي دفنت حيّة في دعامة جسر فوق نهر قيل إنّه لن يكتمل بناؤه إلا بضحيّة بشرية، وتُرِك ثديا الأمّ عاريين حتى يتمكّن طفلاها من رضع حليبها ليظلّا على قيد الحياة، وحين كبر الطفلان وكفّا عن الرضاعة جفّ الثديان من تلقاء نفسيهما. هكذا يكشف ايفو أوهام حضارة تبحث عن اكتمالها المخاتل فوق الأجساد المعتقلة والمسيّجة بالحديد والاسمنت. فهل نحتاج فعلا كلّ هذا التعذيب حتّى تكتمل الفكرة في الواقع؟ أم أنّ هذا ما توهمنا به الأنظمة الشّموليّة حين تبني مجدها على ركام الجماجم وآلام البشر، مروّجة لاعتقاد بأنّ تحقيق المجد يمرّ حتما عبر جسر العنف والتّنكيل، وقناع الفكرة العظيمة؟.

يلحّ علينا هنا السّؤال الأخلاقي والقيمي حول هذا الإجرام « القانوني» الذي يجرّد المجرم والضحيّة معا من الانتماء للإنسانيّة، وهو السّؤال الذي يطرحه الأدب عبر تشكيل الكائن المعذِّب فنيّا، فيراوح بين الواقعي والمتخيّل من أجل بناء الوحش المجرَّد من آدميته ومن ترسانة القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة التي تفصل الإنساني عن اللّاإنساني. التعذيب لدى جلّادي رجب بطل شرق المتوسّط لعبد الرّحمان منيف، أو في رواية حذاء فيلليني للروائي وحيد الطويلة تجسيد لهذا العراء القيمي، والنّكوص إلى لحظة ما قبل الكرامة وما قبل الحرية وما قبل الإنسان. إنّهم التجسيد الرّوائي لفشل هذه الأنظمة في إقناع الشّعوب بالمشاريع الكبرى التي وعدت بها، والسّقوط السّريع في جحيم الخواء.

السّؤال الأخلاقي يتجلّى أيضا من خلال صورة الكائن المعذَّب، صورة السّجين أو المعتقَل أو المختطَف الذي يتمّ التّنكيل به، وتفنّن الأدباء في تصوير طرق تعذيبه تفنّنا يحيلنا على ما يمكن أن نسمّيه « بلاغة التّعذيب « رديف بلاغة القبح وغيرها، بلاغةً تُشكِّل عوالم التعذيب من سديم الواقع، وتنقل الوقائع من الواقع إلى النصّ، وبقوّتها السّرديّة تستولي على مناطق الانفعال لدى الضحيّة، وتحوّلها إلى طاقة تعبيريّة هائلة غايتها الثّأر للإنسان المعذَّب، ومحاولة لملمة أشلائه، إنّها سرديّة معذِّبة بدورها، ولكنّها سرديّة مقاومة بلغة بول ريكور.

هنا تتحوّل « بلاغة التعذيب» إلى سلطة أدبيّة ترتقي بالتّعذيب من حقائق التاريخ إلى حقائق الأدب، فتعانق عبر السّرد الأدبي الكونيَّ، ذلك أنّ تجربة التّعذيب تظلّ فاقدة للشّكل بكماء وخرساء حتّى تُكتَب، آنذاك فقط تصبح تجربة ضاجّة بالمعنى، إنّها صرخة أخرى للكائن المعذَّب تشبه صرخته داخل القبو، ولكنّها أدبيّا صرخة يبلغ مداها التّخوم ويهتزّ لها الضّمير العالمي، بل إنّ بعض الكتابات تساعد على محو جزئيّ لتجربة التعذيب حين تصبح الكتابة تخلّصا من التّاريخ عبر النّبش في قبو الذّات وإخراج المكتوم والمكبوت والمخيف منه، والإلقاء به خارجا. إنّها كيمياء الأدب التي تحوّل تجربة العذاب إلى حكمة، تماما كما يتحوّل الوحل إلى ذهب في اعتقاد الكيميائيين.

إنّ السّرد الأدبي بناء جماليّ لهذه العوالم العفنة ومحو لها أيضا. وعبر جدل الكتابة والمحو، يعيد الكاتب إنتاج التجربة إنتاجا غايته لا فقط تحرير ذاته المعتقلة داخل لحظة التّعذيب، وإنّما أيضا تحرير الإنسان / القارئ المعتقل داخل تاريخ التعذيب حتّى أنّه غير قادر على تصوّر وجوده دونه.

كتابة التعذيب أدبيّا، هي إذن كتابة ما لا يصدّق من لامعقول سياسي واجتماعي أنتجته أنظمة شموليّة في سياقات تاريخية مختلفة، وهي كتابة تدعونا إلى مراجعة مسلّماتنا وتصديق ما لا يصدّق. نعم هناك فظائع تفوق العقل، ولا بدّ من حكيها وإعادة إنتاجها أدبيّا حتّى نعيد إدراك ذواتنا ووجودنا في ضوئها، وحتّى نقدر على رسم أفق للخلاص: بناء الممكن الإنساني المشترك لحياة نتحرّر فيها من الألم عبر براعة الكتابة.

ولكن، وفي زمن سيولة الأشياء بلغة زيجمونت باومان، فإنّ الحداثة « السّائلة نجحت في إعادة تدوير التعذيب وبيعه للبشر مجدّدا في أشكال جديدة، لقد تعدّد الجلّاد وسال، سال مع كلّ شيء حتّى أنّنا لم نعد نقدر على تحديده ومواجهته. إنّه أيضا زمن سيولة التّعذيب الذي لم يعد يحمل شكله التّقليدي: جلّاد يعلّق ضحيّته من قدميها أو يقلع أظافرها أو يصعقها بالكهرباء، بل هو تعذيب جماعيّ يوميّ قد يتجسّد في شعبويّة مجنونة بخطاب ركيك أو عبث عارم يقلب كلّ شيء أو حمق وتفاهة يوميّة تعذِّب قطرة قطرة كحنفيّة معطّبة في سجن قديم، أو خواء ممتدّ كمعتقل في صحراء.

تنويه : نظرا لوفرة المادة المرسلة إلينا من العديد من الكتاب والشعراء والقراء، فإننا نستسمح الجميع في شيء من التأخير في النشر مع الوعد بأن جميع المراسلات محفوظة وستنشر في الإبّان.

الصغيّر أولاد احمد

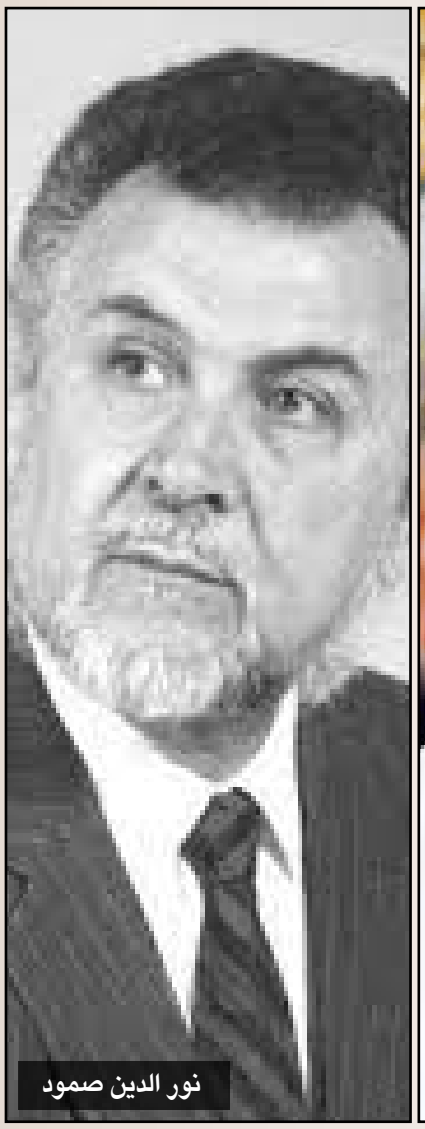
نور الدين صمود

جعفر ماجد

منوّر صمادح

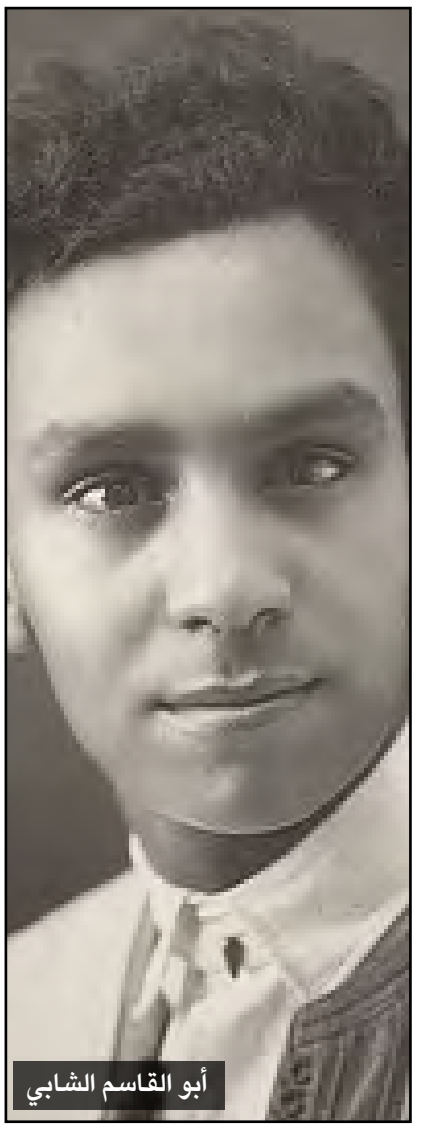
أبو القاسم الشابي

لماذا يتجنب النقاد نقد الشعر التونسيّ في السّاحة الثّقافيّة وفي الجامعة؟

عواطف البلدي

تبدو علاقة الساحة الثقافية والجامعية بالمدونة الشعرية التونسية علاقة غريبة، إذ أنّ الشعر التونسي بجميع مدارسه وأجياله يكاد يكون خارج الدرس النقدي الجامعي باستثناء بعض النصوص لبعض الشعراء ضمن بعض الشهادات. ويخلو الدرس الجامعي أو يكاد من نصوص شعرية تونسية. هل يعود ذلك إلى طبيعة النقد التواق إلى الاشتغال على المكتمل من المشاريع العربية بقديمها وحديثها؟ أم هل أنّ هذا التجنّب عائد إلى عدم نضوج التجارب التونسية على امتداد تاريخها وعدم قابليتها للنقد؟ إهمال النقد بمختلف ضروبه للنصّ الشعري التونسي خصوصا في الشعر الحديث ومرور تجارب شديدة الأهمية مثل: محجوب العياري، حافظ محفوظ، عادل معيزي، عبد الله مالك القاسمي، نصر سامي، مجدي بن عيسى، أولاد أحمد وغيرهم دون أيّ نصّ نقدي تونسيّ مهمّ يدعونا إلى فتح هذا الملف.

لا أحد يهتمّ نقديا بالشعر التونسي بأجياله المختلفة، وعدا بعض المتابعات البسيطة التي تلي صدور الكتب، وبعض المقالات التي تحبّر للملتقيات فإنّ أغلب المشاريع الشعرية التونسية مرّت دون متابعة نقدية ودون درس جامعي. سوف يكابر البعض قائلين: "هذا خطأ، والشعر التونسي له دارسون". والحقيقة مجانبة لهذا القول تماما. فالشعر التونسي وخاصة الحديث منه مهمل إهمالا شبه تام من الدارسين وأغلبهم لا يهتمّ إلا بالتجارب العربية المستقرة في نوعها قديما وحديثا. أما النص الشعري التونسي بمختلف أجياله فإنّ تناوله النقدي غائب تماما أو شبه غائب أو لنقلها بصراحة مستعص عن الدرس الجامعي الذّي يتجنّبه ويستبدله بمدونات بديلة. إنّ وجود أطروحة واحدة نوقشت في هذا الصدد على حد علمنا للباحث مصطفى الكيلاني في إطار شهادة الدكتوراه في موضوع الشعر التونسي تشهد على عمق الأزمة، وفي غياب أيّ حصر علمي للبحوث الجامعية التي اعتمدت لنقد الشعر التونسي فإنّ هذا القول يبدو مبرّرا، ويستدعي البحث والسؤال. ما الذي يدعو النقاد الى هجر النص الشعري التونسي وإهماله؟ لماذا يتهيّب الباحثون هذا النصّ؟ ولماذا تخلو المدونة التونسية من التصدّي لمشاريع شبه مكتملة وشديدة النضج في جميع مراحلها؟ ولماذا يتجنّب الفلاسفة وأساتذة الحضارة وغيرهم من مختلف الاختصاصات الشعر التونسي؟ هذا المشغل سيجيبنا عنه فيما يلي عدد من الشعراء والنقاد.

الشاعر محمّد يوحوش: العزوف عن نقد الشّعر التّونسيّ في الوسط الجامعيّ توجّه عام

السّؤال ذو وجهين. وهو مجرّد فرضيّة يمكن نفيها أو إثباتها. فمن حيث النّفي، هناك جامعيّون اهتمّوا بنقد الشّعر التّونسيّ منهم على سبيل الذّكر الأساتذة محمّد الصّالح بن عمر، عمر حفيّظ، فتحي النّصري، المرحوم عثمان بن طالب وغيرهم. كما نجد نقّادا آخرين اهتمّوا بنقد المدوّنة الشّعريّة التّونسيّة وهم من غير الجامعيّين.

أمّا الوجه الثّاني من الفرضيّة، ومن حيث الإثبات، فليس لدينا ببليوغرافيا في نقد الشّعر التّونسيّ وذلك ما يجعل مسألة الحسم في هذه المسألة صعبا.

غير أنّ هناك توجّها عامّا يمكن ملاحظته، وهو العزوف عن نقد الشّعر التّونسيّ في الوسط الجامعيّ. ويفسّر ذلك بعدّة أسباب منها أنّ النّقد الأكاديميّ هو نقد وظيفيّ في الغالب جعل لنيل شهادات الماجستير والدّكتوراه والرّسائل الجامعيّة حيث يكون الاشتغال عادة على تجارب شعريّة عربيّة حازت نصيبا من الشّهرة والانتشار. ثمّ إنّ النّاقد الجامعيّ لا يقبل على نقد الشّعر التّونسيّ لكي لا يكون عرضة لانتقاد اختياراته ومبرّراته. إضافة إلى أنّ النّاقد يميل إلى الاشتغال على شعراء عرب مشهورين ما يمكّنه هو أيضا من انتشار عمله وترويجه، بدل الاشتغال على شعراء تونسيّين غير معروفين. كما يوجد سلوك تونسيّ يجنح غالبا إلى تثمين الإبداعات غير التّونسيّة، ويتّضح ذلك أيضا في الإقبال على المنتجات الاستهلاكيّة الأجنبيّة. أعتقد بأنّ الأمر يحتاج إلى مراجعة تعيد الاعتبار للشّعر التّونسيّ في الوسط الأكاديميّ.

الشاعرة راضية شهايبي: النقاد الأكاديميون لا يهتمّون إلا بالتجارب الذكورية لغيرهم من الجامعيين

لا اعتقد ان الأمر يصل إلى التجنب. ولعلهم مقلون وذلك ربما لأن المفكرة الشعرية بالجامعة لم تحين واستمرت في تناول التجارب العربية التي أثبتت تميزها او التي يتفق حول تجربتها اكثر النقاد. وهي تجارب جديرة بكل اهتمام طبعا. مع بعض الأسماء التونسية. انما تحين المفكرة وتطعيمها باسماء تونسية اخرى اصبح ضروريا وأراه لو تم يعتبر إنصافا للساحة الشعرية التونسية لما عرفته في العشرينية المنقضية من تنوع وزخم ولا اقول تطورا إذ أن النقد وحده هو الذي سيدرس هذا التنوع كمًا وسيؤكده أو ينفيه كيْفا. وهنا تكمن قيمة النقد. لأنه عادة ما تتبع غزارة الإبداع بحراك نقدي حثيث. ثم اني اخاف ان اتهم النقاد الاكاديميين باهتمامهم فقط او في الغالب بالتجارب الشعرية للشعراء الجامعيين اضافة الى اهتمامهم اكثر بالتجارب الرجالية ولو اني لا أميل الى تصنيف الشعر رجالي ونسائي ولكن أحيانا نضطر إلى ذلك حين نرى واقع الأمور. أيضا الجامعة اهتمت بالرواية أكثر على حساب الشعر لعدة اختبارات وهذا ينعكس على محاور الندوات التي تقيمها الجامعات وعلى أهميتها الا انها أخذت الكثير من حق الشعر في الاهتمام. هذا التخلي ترك الفرصة لغير النقاد ان يكتبوا النقد بل وأصدروا كتبا نقدية لن تعوض ما ننتظره من الجامعة التونسية من نقد اكاديمي يفي حق الحركة الشعرية التونسية خاصة في العشرين سنة المنقضية.

الشاعرة فوزية العكرمي: النقّاد التونسيون شبه غائبين عن المشهد الشعري التونسي الحديث

لماذا يتجنّب النقاد نقد الشعر التونسي في الساحة الشعرية وبالجامعة أيضا؟

أعتقد أنّ المدوّنة النقدية التونسية قاصرة عن مواكبة الزخم الشعري وحجم الكتابات اليومية التي تعجّ بها الصحف والكتب ومواقع التواصل الاجتماعي ممّا شجع من هبّ ودبّ على اعتلاء المنابر وتصدّر المشهد الشعري فالنقّاد التونسيون شبه غائبين عن المشهد الشعري التونسي الحديث وإذا كانت هناك دراسة أو بحث أو قراءة فأغلبها مناسباتي لا يرقى لتوهّج اللحظة الشعرية .ثمّ نحن نتحدّث عن النقاد التونسيين فمن نقصد تحديدا الأكاديميين أم غيرهم أم الهواة الذين يقبلون على النصوص إقبالا سطحيا لغياب الأدوات النقدية الحديثة .هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يفضّل البعض الخوض في تفاصيل الشعراء المشهورين الراحلين لاعتقادهم أنّ بحوثهم عن شعر هؤلاء سيمنحهم بريقا ما وربّما سيظفرون بحظوة يحلمون بها وإذا كان لابدّ من دراسة مركّزة عن الشعر التونسي فإنّهم يستنجدون بشعر الشابي يعملون أدواتهم ويفتّقون ما خفي في شعره لذلك ضاع الكثير من الشعر في بلادي وأبيدت مواهب عديدة وربّما انسحبت من الواجهة لليأس الذي انتابها يأس من يحرث في البحر وأستثني في ذلك بعض الأكاديمين الغيورين عن الشعر التونسي والحريصين على بثّ روح جديدة في دروسهم وفي ابداعهم.

شاعر المناجم علي السعيدي: تم سابقا نقد نصوص الشعراء التي ترتقي الى النقد

حول النقد والشعر وتجنب النقاد التوانسة نقد الشعر التونسي في الساحة الثقافية أو في الجامعة لأنه ومن زمان. ومنذ ظهور شعر فايسبوك اصبح الجميع شعراء. الغث والسمين وبالتالي. اصبح النقاد اما انهم يعيشون فراغا بحكم الساحة الشعرية التي اكتسحها اشباه من الشعراء أو انهم لا يريدون التورط في عملية النقد التي لا تشفع لهم وقد يكون من قاموا بنقد نصوصهم من الأشباح والأشباه ونفس الشيء ينطبق على الجامعة. الشعراء الذين لهم نصوص ترتقي الى النقد وقع نقدها ودراستها سابقا. وبالتالي لا فائدة في التكرار وفي الأخير لعلمكم أن هناك 3 آلاف شاعر تونسي. لهم كتب مطبوعة نعم هي الحقيقة لا اقصد العدد ولكن اقصد. هذا سبب تمنع النقاد عن نقد الشعر التونسي وكفى..

الشاعرة مفيدة السياري : نلاحظ غياب مدرسة للنقد وما يوجد هو مجرّد رؤى انطباعية في أغلبها تعمل وفق الولاءات والغايات النفعية

الشعر الحق قطعة من روح صاحبها، هو سيل يجري بلا توقّف، فإن توقّف أصابه الرّكود وفسد لونه وطعمه. و الناقد في كلامه على الكلام يحاول الظفر بهذا الفيض، ينشد اللحاق به، يحاول الإمساك بالقصيدة، فإذا بها جامحة لا تنقاد لمشرطه، ذلك اننّا اليوم أمام زخم جليّ لمنجز ينضوي تحت مظلّة الشعر، هو نتاج مترامي الأطراف متشعّب الرؤى مختلف الأنماط.. نطت الأرانب من قبّعة الساحر وطارت الحمامات وكثر لغطها وماجت الحروف فلا عقال يردّها.. «جادك الغيث أذا الغيث همى...“ لقد انفرط العقد وكل يغنّي على فنن الإبداع، قد يظفر بصفة الشاعر وقد لا يظفر. فقد اختلط الحابل بالنابل ولم تبق فعلا غير شرفة نور هي الذائقة الجمالية كي تستسيغ طعم العذوبة لطائفة من الشعراء غير هجينة: كنبتة طيّبة في أرض طيبة. .

قلت ذائقة جمالية لطالما لم تستسغ وضع لجام للحصان الحرّ للمبدع الفنان صاحب الرسالة النبيلة الذي يهفو إلى عوالم شفيفة. لم يعد التحرّك وفق حدود للعرين ولم يعد يجدي التمسّح على أنصاب فئة_ ولوكانت قليلة_ تربّعت على عرش الإبداع وجعلت صك جمالية النص وفق هواها، لذلك كنا ندرك جيدا لعبة الكرات، حيث يسقطون من أرادوا من دائرة الاهتمام في الحقل الثقافي ويعلون من أرادوا مدّعين حرصهم على الإبداع باسم النقد البنّاء. وهذا طبعا لا ينفي وجود جسور صلبة لأسماء مبدعين من معدن نوراني لرهافة حسّهم وعلوّ حرفهم ورفعة نتاجهم الإبداعي.

إنّ المتأمّل في المشهد الثقافي التونسي وحراك الجامعة التونسية يدرك جيّدا غياب مدرسة للنقد قائمة العمدان.. وأننا لم نصل إلى حد الآن إلى مرحلة تأسيس مدرسة نقدية.. بل هي مجرّد رؤى انطباعية في أغلبها تعمل وفق منبّه تحدده الولاءات والغايات النفعية وبعض المحاولات الجادة والتي يحاول أصحابها النأي بالإبداع عن هذا الجرف هي محاولة تأصيل كيان النقد الهادف.

نعم هناك بحوث وقراءات نقدية للمنجز الشعري التونسي لكنها لم تتحرّر من صولجان الولاءات من ناحية ومن خشية فقدان مكانتها بين العشيرة من ناحية أخرى إن تتبّعت صدى شاعر ليس من السرب. ومن لم يدخل في جلبابهم نجده إما يكتب النقد الأكاديمي والذي يبقى داخل قاعة المحاضرات أو في التطبيقات التعلّمية في القسم أو في الفصول النظرية بين دفتي الكتاب. وإما لأنه لم يجد شعرا يرقى بناء ومحتوى ليكون قيد النقد (ولا ننكر هذا الزحف الكمّي للكتب المطبوعة كطبول خاوية تحرّكها غصون ذاوية ورياح عاوية) أو لغياب قناة تواصل جادّة بينه وبين المبدع الحقيقي في ساحة تطاولت فيها الرؤوس وأينعت ثمار اصطناعية لا رائحة فيها ولا طعم لها.

الإبداع كسنان الشمس كحفيف الأوراق كالمطر، والشعر تأوّهات ذات حرّة وزفرات لا تخرج وفق منهج نقدي و الناقد الحق لا يسقط مناهجه ولا يلوي عنق القصيدة لتنظر إلى روافده. ولا يشقّ طين الجرّة فيندلق الماء هباء. على الناقد أن يدخل القصيدة ويرتّل مع الشاعر تراتيل الحرف على سجّاد واحد هو الإبداع.

الشاعر سفيان رجب: النقاد التونسيون يجترّون تجارب شعرية مسوّسة

لا يمكن أن يقام مشروع شعريّ حقيقي في غياب النّقد، والنقد يحضر في المطبخ الداخلي للنصّ أوّلا، إذ يجب على الشاعر أن يصغي للناقد الساكن داخله، ثمّ تكتمل الاحاطة النقديّة بالنصّ بقراءة الآخر، وهنا يكون النّقد متخلّصا من كلّ العوالق العاطفيّة بالنصّ. وفي غياب الحضور النقدي سواء من الشاعر أو من القارئ يختلّ النصّ الشعريّ وتختلّ مقروئيّته ويفتقد للرؤية الشعرية والتي هي أساس النصّ الشعريّ.

في المشهد الشعري التونسي الرّاهن، ثمّة خلل واضح في عملية النقد، فالشاعر يشتكي من غياب النقد المجدّد، والناقد يشتكي من غياب النصّ المجدّد. وفي هذه النقطة التي يتجاذب فيها الرّأيان يتمزّق النّصّ الشعري.

على النّاقد الآن أن يتخلّص من هواجسه ويتكلّم بكلّ موضوعية عن التجارب الشعرية الراهنة، بعيدا عن التحذلق الأكاديمي، وبعيدا عن التأثيرات العاطفيّة.

على النّاقد أن يتسلّح بالجرأة التي افتقدها، ويؤدّي دوره التّاريخي المهمّ، ويدخل حلبة النصّ بروح ملاكم مقاتل لا بعقلية ملاكم ماكر يحاول مجاراة المنافس بالنقاط. أشبّه عمليّة النقد بحلبة ملاكمة، لأنّي أراها كذلك، إنّها صراع قاس مع النصّ.

في التسعينات وفي أوائل الألفية الثالثة كان هناك ناقد يكتب مقالا واحدا يتجوّل به في كلّ الملتقيات، مكتفيا بتغيير عنوانه، وبتغيير أسماء الشعراء، فقد كان يطّلع على قائمة الشعراء المدعوين، ويستعرضها في مقاله، حتى يضمن إعجاب الشعراء بمقالته، ويتجنّب التشابك معهم. وهذا حال الكثير من المقالات النقدية مع الأسف.

لم ينتبه النقاد التونسيون الجدد لبذرات مشاريع شعرية جديدة، وظلّوا يجترّون تجارب شعرية مسوّسة، بل هي أقرب لحركات تنظيرية جافّة، وأعني هنا تجربة الطّليعة. وتمّ تجاهل الأصوات الشعرية الجديدة التي ظهرت في الألفية الثالثة.

أجمع المتدخلون من الشعراء تقريبا على أنّ هناك مشكلة حقيقيّة في علاقة الساحة النقدية بمدونة الشعر التونسي، ممّا يؤكّد أنّ النّقد تجنّب أو أهمل الشعر التونسي واستبدله بمدونات أخرى مكتملة، ولم يساير حركة تغيّره ومساراته وأنساقه، ولم يرتق في بعض نماذجه المتسرّعة إلى طموحه وتنوعه واختلافه، وربّما خذلها بتجاهله وتعاليه. وهذا ما سيحاول النقاد بمداخلاتهم القادمة أن يؤكدوه أو يدحضوه أو يعدّلوه.

الناقد د. فتحي النصري: الشعر التونسي ولاسيّما في طوره الراهن يحتاج إلى مزيد من العناية

هذا السؤال مبنيّ على مسلّمة ضمنيّة وهي أنّ النقّاد سواء في الساحة الثقافيّة أو في الفضاء الجامعيّ يتجنّبون نقد الشعر التونسي. وهذا أمر لا أسلّم به وهو قابل للنقاش بل للدحض. إذ لا يمكن أن ننفي مؤلّفات كثيرة وضعت في نقد الشعر التونسي ولا يمكن أن نتجاهل مجهودات عدد من النقّاد ابتداء وبالاقتصار على المعاصرين بأمثال أبي القاسم محمّد كرّو ومحمّد صالح الجابري ومرورا بأمثال مصطفى الكيلاني وأحمد الجوّة وخالد الغريبي وعبد الرزاق القلصي وماهر دربال ومحمد الغزي ومنصف الوهايبي وعمر حفيّظ وعبد القادر

ملف الاسبوع

العليمي وفتحي أولاد بوهدّة والهادي إسماعلي... وقد ذكرت ما حضرني من الأسماء وغيرهم كثير. وشخصيًا كتبت عن منجز عدد من الشعراء التونسيّين. وأضيف أنّ في العقدين الأخيرين بصورة خاصّة أنجزت في الجامعة التونسيّة بحوث عديدة من رسائل ماجستير ورسائل دكتورا اشتغل أصحابها بالشعر التونسي. ولكنّ وضع الأمور في نصابها إنصافا لجهود النقّاد والباحثين لا ينفي أنّ الشعر التونسي ولاسيّما في طوره الراهن يحتاج إلى مزيد من العناية. وإذا كان ثمّة تقصير فإنّه يعزى لأسباب عديدة منها توزيع الكتاب ومنها قلّة نقّاد الشعر الحديث ومنها حجاب المعاصرة ومنها صعوبة الاشتغال بالجديد من الشعر لأنّ مفاتيح قراءته قد لا تكون متاحة بعد. ولا شكّ أنّه ثمّة أسباب أخرى مثل ضعف حركة النشر وقلّة الدوريات التي تعنى بالشعر ونقده. ولا بدّ من التنويه أيضا بأنّ ليس كلّ ما يكتب تحت عنوان الشعر جدير بالمتابعة. ففي تفشّي الرداء واختلاط الحابل بالنابل ما يفضي إلى عزوف النقّد والقرّاء عن المواكبة الجادّة لما ينشر. ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أنّ نردّ التقصير في نقد الشعر التونسي إن سلّمنا بوجود تقصير إلى كسل النقّاد وعدم اضطلاعهم بدورهم.

الناقد د. سمير السحيمي:
العناية بالشعر التونسي يجب ألاّ تكون من باب المجاملات والإخوانيات

من الواجب التأكيد أولا علي أن المشهد تغير في السنوات الأخيرة بالنسبة إلى درجة عناية النقد بالشعر التونسي إذ توسعت قياسا إلي ما سبق, سواء أكان ذلك في الساحة الثقافية أم في الجامعات. والناظر في الملتقيات الثقافية هذه الأيام يتبين ان المحاور المختارة مخصصة للأدب التونسي، من ذلك، صورة الذات في الأدب النسوي التونسي في ملتقى كاف الفنون الأسبوع الماضي، والبناء في راهن الشعر التونسي في الملتقى الثامن للمرحوم الطاهر الهمامي بدار الثقافة المغاربية ببنعروس هذا الأسبوع، والكليشي في الأدب التونسي الحديث بملتقى التجريب بالنفيضة الأسبوع القادم. ولا شك في ان العودة الى المجلات الصادرة في المدة الأخيرة يجد اشتغالا بالأدب والشعر في تونس.

أما في المؤسّسات الجامعية، فأنا شاهد على تطور ملحوظ منذ سنوات في نسبة إدراج مباحث تدرس الشعر التونسي كليا أو جزئيا بما يناسب مقتضيات الدرس الجامعي، نضيف إلى ذلك توجيه بعض الجامعيين المشرفين على رسائل الماجستير طلبتهم إلى الاشتغال بالشعر التونسي خصوصا والأدب التونسي عموما في رسائل الماجستير بنسب متفاوتة حسب المؤسسات، فهي تكاد تبلغ النصف أو تزيد، والمتابع لمناقشة رسائل الماجستير في الأشهر الأخير يلحظ ذلك بجلاء.

والثابت أنّ العناية بالشعر التونسي خصوصا وبالأدب التونسي عموما يجب أن لا تكون من باب المجاملات والإخوانيات، بل تعمّق النظر في النصوص وتستنطقها حتى تحقّق القراءات الإفادة المرجوة.

نخلص في نهاية تحقيقنا أنّ الشعر التونسي نصّ يتيم نقديًا، ولا نكاد نجد دراسة قيّمة على أغلب أعلامه، وحتّى ما كتب عن الشابي فإنّه عدا بعض الدراسات المميزّة حجب شعره وأساء إليه، حتّى أصبح المجهول الكبير. وإننا نفتقد إلى الدراسات والبحوث المعمّقة حول أهمّ مدارسه وأجياله وحساسياته في جميع مراحله. بل إنّ النّقد التونسي لا يكاد يعترف بالشعر التونسي أصلا في رسائل الدكتورة. مع ملاحظة ابتعاد الفلاسفة والجامعيين في اختصاصات أخرى عن دراسة الشعر التونسي ابتعادا تاما وغير مبرّر. لكنّ الجميل في التحقيق أنّ هناك وعيا قويًا بهذا الغياب النقدي ومحاولة لشرح أسبابه ورغبة لدى الجميع في تجاوز تلك العوائق من أجل نقد أكثر ارتباطا ببيئته وبأسئلة مجتمعه.

الناقد عمر حفيّظ:
في تونس يشعرك بعض المشرفين أو المنظّمين للنّدوات أنّهم أصحاب فضل عليك

يبدو أنّ الجامعة التّونسيّة أرست تقاليد تحوّل بعضها إلى متعاليات. ومن هذه التّقاليد، مثلا، أن يُتجنّب الحديث عن الأحياء من الكتّاب. فكأنّ من رحل هو من اكتملت تجربته ولذلك يمكن أن نقدّم فيه رأيا، بصرف النّظر عن طبيعة هذا الرّأي. ولكن ثمّة نزوع إلى الحدّ من سلطة تلك التّقاليد في السّنوات الأخيرة. وقد أُنجزت بحوث كثيرة (في ما دون الدّكتورا: الكفاءة في البحث، الماجستير...) أفردها أصحابها لشعراء تونسيّين. هذا في ما يتعلّق بالجامعة.

أمّا في ما يتعلّق بالسّاحة الثّقافيّة فغير صحيح أنّ النقّاد يتجنّبون الخوض في الشّعر التّونسيّ. فالنّدوات التي عُقدت والملتقيات التي أُقيمت للشّعر التّونسيّ كثيرة. مهرجان الشّعر الذي كان يُقام في المتلوي-قفصة، مهرجان الشّعر بالجريد، ذكرى أبي القاسم الشّابي، ندوات دار إشراق التي يُشرف عليها الأستاذ محمّد صالح بن عمر، المنتدى الذي يديره محمّد المي، ندوات اتّحاد الكتّاب...

ولسنا في وارد تعديد الأسماء والشّواهد، ولكن لا بأس أن أذكر لك أنّي من المهتمّين بالأدب التّونسيّ في مختلف أنواعه. وقد تحدّثت في ندوات كثيرة عن شعراء تونسيّين: الطّاهر الهمّامي، الميداني بن صالح، منصف الوهايبي، محمّد الخالدي، محمّد عمّار شعابنيّة، جميلة الماجري، سمير سحيمي، فتحي النّصري، عبد الله مالك القاسمي، جعفر ماجد، عزّوز الجملي، أبو القاسم الشّابي، محمّد الصغيّر أولاد أحمد، المهدي بن نصيب، منوّر صمادح، عبد الفتّاح بن حمّودة، وهناك أسماء لشعراء كثيرين وشاعرات(ولا أحبّ كلمة شواعر التي تخصّ بها العرب النّساء اللّواتي يكتبن شعرا) كثيرات أغالب الوقت للكتابة عن نصوصهم ونصوصهنّ. هناك تجارب مهمّة في تونس، وأخرى واعدة. ولكنّ مساحة نشر الخطابات النّقديّة ضيّقة. كم عدد المجلاّت النّقديّة التي تصدر في تونس؟ وما حال انتظامها؟ وما حصّة النّدوات من ميزانيّة وزارة الثّقافة؟ بل ما ميزانيّة وزارة الثّقافة بالمقارنة مع وزارات أخرى؟ ألا يحتاج النّاقد إلى أن يكافأ على جهوده؟ هل يعرف المشرفون على الثّقافة الوقت الذي تستغرقه كتابة مقال نقديّ رصين؟ هل يكتب النّاقد دون مراجع؟ هل تتوفّر تلك المراجع في المكتبات الجهويّة من شمال تونس إلى جنوبها؟ بل هل تتوفّر تلك المراجع، خاصّة ما كان منها بلغات غير العربيّة حتّى في المعاهد العليا داخل البلاد؟ النّاقد يشتري تلك المراجع من قوته اليوميّ، فلمَ لا يكافأ بما يليق بجهده وطموحه وإصراره على نشر الثّقافة العالمة والتّعريف بالأدب التّونسيّ؟ هل تعرفون قيمة المكافأة في ندوة، وما هي التّعقيدات الإداريّة للحصول على تلك المكافأة؟؟؟ قارنوا ذلك بما يحصل عليه صاحب نشاط آخر؟!

وكيف يُعامل النّاشر الكتاب النّقديّ؟ وماهي العائدات الماليّة من كتاب نقديّ؟ (دعونا من المكابرة. لا ثقافة ولا نشر للثّقافة التّنويريّة دون أموال. ولا سوق للأدب دون أموال. ولا سلطة للنّقد دون أموال) النّقد في دول أخرى حرفة يقتات منها أصحابها. وفي تونس يشعرك بعض المشرفين أو المنظّمين للنّدوات أنّهم أصحاب فضل عليك.

صورة تتحدّث

الجامع الكبير بالمدينة العتيقة بسوسة

يقع عند مدخل المدينة تحفة أغلبية تقع في الطرف الشرقي للمدينة. على وجه التحديد، بالقرب من السور، على بعد حوالي 50 مترًا من رباط سوسة. وقد أقامه الحاكم الأغالبي أبو العباس الأول (841 - 856) في 850 - 851، بعد ما يقرب من ثلاثين عامًا من بناء رباط سوسة في الأصل شارك مسجد سوسة الكبير مع الرباط في الدفاع عن المدينة. وهذا ما يفسر أبراجها وسماكة الجدار الخارجي، فضلاً عن موقعها كما أن عدم وجود مئذنة أمر غير معتاد.في ذلك الوقت كان يستخدم البرج في الرباط المجاور لدعوة المؤمنين للصلاة. هذا المسجد هو رمز لمدينة أصبحت، بعد سنوات قليلة من حكم زيادة الله الأول (817 - 838)، ثاني مدن إفريقية والساحل. بعد ذلك تم توسيع المبنى في عهد إبراهيم الثاني (875 - 902). يتكون المسجد ذو التصميم المستطيل من صحن به أروقة تفتح عليه غرفة الصلاة. يحتل برجان، تعلوهما قباب مقببة، الزاوية الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية للفناء؛ يمكن الوصول إلى الجانب الشمالي الشرقي عن طريق درج من الفناء. الجزء العلوي من الأروقة مزخرف بنقش كتابي كوفي بأحرف مائلة، منقوش في شريط على شكل حوض تتكون قاعة الصلاة من ثلاثة عشر بلاطة وستة أساكيب، وهي عبارة عن خليج المحراب والصحن المحوري الذي تكون أعمدته المضاعفة أعرض من الأخرى وتشكل جهازًا على شكل حرف T. وتوجد أيضا قبتان، إحداهما أمام المحراب.

المسجد لا توجد به مئذنة، وربما يرجع ذلك إلى وجود برج الحراسة للرباط بالقرب من المسجد .

سوسة ايام زمان

”خيال الموج“ لهيام الفرشيشي
مجموعة قصصية تجنح بالقارئ إلى عالم غريب وساحر

أ. فائزة بن مسعود

خيال الموج مجموعة قصصية مكونة من تسع قصص تستجيب لمواصفات القصة القصيرة، والمجموعة تحمل عنوان أول قصة(خيال الموج). والكاتبة الأستاذة الأديبة هيام الفرشيشي سحبتني إلى عالم أقاصيصها بكل نعومة وسلاسة فوجدتني تحت خدر عنفوان اللغة.

حيث تعزف على أوتار الحروف ليكون للكلمات موسيقى ولون، كما عشت بكل حواسي التداخل العجيب بين الخيال الواقع والواقع الخيال،

ووجدتني أنط على عدة حبال في نفس الوقت، تتقاذفني الأمواج فأغوص في عمق البحر مع سرعة تلاطم الأحداث.

سفر في حلم رحلة خيال بنكهة الواقع تذكرنا بأفلام الآكشن الهليودية

مع محاولة اختطاف فتاة هي ابنة لرجل أعمال، وتبرز الأحداث شهامة وبطولة المنقذ— فنلهث وراء النهاية لنجد انفسنا على عتبة حلم عابر لحال سبيله مع اشراقة شمس الواقع.

وما شدني في (خيال الموج)هو سعة أفق خيال الكاتبة وحضور اللون الأحمر: (لن تكون إلّا صاحبة لباس البحر الأحمر..)، ونلمس هنا التلاعب بدلالات الألوان خاصة في علم النفس، فاللون الأحمر يعني الشغف والرغبة بالمقابل نجد اللون الأبيض الذي يعبر عن النقاء والصفاء والهدوء وورد هنا ليخفض قوة اللون الأحمر لانه لون محايد.

أما (طائر السماء) في طيات أحداث هذه القصة يمتزج الأسطوري بالواقع حيث نقارب طيورا تعشش وتعيش في السما ء ولا تموت، كما أنها تحسن الانتقام ممن يدنس قداسة التاريخ والجغرافيا اي قداسة المكان والزمان.

واذا كان الحلم مجتمعا مسترسلا في خيال الموج، فهو مشتّت في ”طائر السماء“، وهناك تقاطع عجيب بين تفاصيل ذكرى الرحلة وحضور الشخص الفرنسي الذي جاء لسلب خيرات الوطن وتدنيس معالمه، وطائر الساف يقوم بدور الحارس الأمين لكنوز الوطن. إنه أحرس عليه من أبنائه: (ومن مذياع الحافلة يتحدث قارئ الأخبار عن سقوط أستاذ تاريخ فرنسي في ممر صخري فجرا وجدت في حقائبه خرائط عن كنوز بالمنطقة كما وجدت على جسده آثار مخالب طائر الساف).

هذا الطائر الوطني الذي ينتقم من الخائن ويشبع رغبة الكاتبة في الثأر للوطن من العملاء والخونة —هناك لغة البحر ولغة المطر ورقصة الحنين وروح انثى تكتب بطلاقة شاعرة وفصاحة قاصّة...

وأغادر مع حافلة المغادرين، لأجد نفسي في قصة: (غافية على ركبة الزمن) حيث طالعتني أصداء حلم قديم ممزوجة بالخرافة والأسطورة. هناك الدهشة وملامسة اللامعقول: (أرواح سجينة بالحياة بعد الموت)، طالبة تتقصّى ما حدث في هذه القرية المنسية، والأحداث تفتح منافذ يلجها الخيال بحرية حيث تُفك طلاسم الفج.

(أجل كنت أنا من تفطّن إلى تلك العصابة التي تهرّب السلاح عبر منافذ الفج)، وهنا أجد نفسي بين أحضان قصة (كوابيس مبقعة بماء المطر)، فأبحر مع الكوابيس التي ما صورت إلا واقعا هو تجليات رحلة الذات إلى الذات. وتتم الإشارة إلى الوضع السياسي المتردي والفساد المالي والإعلامي، باختصار هو نقل مباشر وبكل أمانة لما آل اليه الوطن. ومن الحلم إلى رنين الهاتف الذي يعيدنا مع البطلة الى الواقع (أتطهّر من بقايا الحلم)، ورحلة الكوابيس لا تنتهي.

وفي قصة (صاحب العمامة) يهلّ علي صاحب العمامة ليصطحبني إلى عالم الجريمة المتسترة بعمامة التقوى والزهد، والنص صور الفساد المستشري بين تجار الدين الذين تناسي الانساني والعيب وامتطوا صهوة الحلال والحرام، والتأويل الخاطئ لمفهوم القِيم التي وجدت

قبل نزول الأديان السماوية ، وما العمامة إلا رمزا للنفاق والاتجار بمشاعر البسطاء ، والعقول الجوفاء التي سيطر عليها الفكر الخرافي(منزل مسكون). وحضور الماء يعني التطهر من دنس الفكر المتحجر.

ومع قصة (رافائيل يسرد قصة قديمة): ”في ذاكرتي شجرة سرو“:؟ فالشجرة هي القادح وسفر في الذاكرة مع هذا الخفاش المسالم الذي نسجت حوله الأساطير، فهو مصاص الدماء، وهو سبب انتشار الوباء في اشارة الى كورونا. وبتداخل عجيب بين الأحداث نرى قرية وهان الصينية تقف جنبا إلى جنب مع الفنان(يوهان هنريخ فوسيلي) فنان الرعب القوطي رسام لوحة الكوابيس،كما يتم استعراض الصمت والشلل الذي احدثه الوباء وعودة الى الحلم (كان علي أن أقص الحلم لأكثر من طرف.

ويوهان الرسام في الواقع قد يعوضه رافاييل في الحلم(كان رجلا من الزمن القديم رزح به الوباء الى العالم السفلي). فأنت تعايش الأحلام والكوابيس وتتنقل في عالم عجائبي فريد من نوعه من نسج خيال كاتبة تطوع الأحلام وتروض الكوابيس.

ومع قصة (شياطين الغابة) حريق الغابة التي هي رزق متساكنيها الباقي، إنها حكاية مفتعلي الحرائق المدبرة والمتزامنة التي يستفيد منها السياسي والإعلامي، والبرجوازي تحت عنوان فلسفة (النار لا تحرق بل تضيء). وتعري الكاتبة حقيقة قائمة ألا وهي: إذا أردت أن تغزو بلدا أدخله بأهله، هكذا فعل شياطين الغابة وعلى رأسهم هذا الذي فتح لهم أبواب الغابة، وكشف سرها لنرى عبدة النار يقيمون طقوس النار على ملك غيرهم حيث يحافظون على وطنهم ويدمرون أوطان غيرهم، ويكفي الوطن عميل واحد ليحترق ويدمر ويقسم الخ.

في قصة (أهازيج ناي جنائزي) نعيش مع الكاتبة مهرجان الرعاة وحفلات الرقص ونرافق الراعي عازف الناي وهو يروي للإعلام قصة الراعي الشهيد، ونعود إلى الواقع باسترجاع قصة مبروك الراعي الذي ذبحه الإرهابيون في مرتفعات جبل مغيلة في الجنوب التونسي، هذا الجبل الصامد الذي عاش ملاحم المقاومة والنضال إبان حقبة الاستعمار الفرنسي يصبح مأوى ووكرا للإرهاب، ونقف عند أم الشهيد وهي تهزج كلمات جنائزية تعبيرا عن حزنها (يشير أحدهم إلى أم الراعي وقد تحلقت حولها النسوة في خيمة تترنم بصوت طاعن في الحزن-يا عين نوحي....).

وتردد الأرض والجبال والسماء صدى حزن أم ثكلى....

وأطرف ما في أسلوب قصّ الكاتبة- هيام الفرشيشي المراوغة حيث تجعل النهاية تخذل كل توقعاتك، وتلقي بك في غياهب جاذبية سحر النهاية الخارقة والعجائبي والفوق العادي ولا يمتّ للمتوقع بأية صلة.... لدرجة أنني حاولت قراءة كل قصة من هذه المجموعة القصصية من النهاية لأعود الى البداية...فاستنتجت أن البداية يمكن أن تكون نهاية تتعدّى التوقعات...

وكقارئة صدق فيّ قول(تزيفتان تودوروف) أن العجائبي ينهض أساسا على تردد القارئ الذي يتوحد بالشخصية الرئيسية منفعلا أمام غرابة حدث لا يمكن إدراكه أو تصنيفه نهائيا...

وهذه المجموعة القصصية جنحت بي الى عالم غريب وساحر، ولا أستغرب الأمر لأن (للعجائبي أصول في الموروث العربي كمفهوم وكنص قبل ظهوره كمصطلح في الأدب الغربي) وسعة اطلاع الكاتبة على الأساليب السردية تسمح لها بذلك.

وتستمر رحلة الكوابيس والحديث عن الخفاش يطول حيث في قصة (للخفاش أثر) نجد أنفسنا مع المحقق نقتفي أثر الخفاش هذا الكائن المخيف الذي يبث الرعب في الاطفال ويعطي الكهول فرصة لنسج حكايات حوله، هذا الخفاش الذي مثل في قصة (رافاييل يسرد قصة قديمة) الكائن المسالم المتورع عن الأذى والذي يحب العزلة وجدته شريرا يعتنق إلحاق الضرر بغيره بكل سادية حيث يكتب رسائل تهديد بالحبر السري المعطر بالليمون يرسلها لطبقة معينة من سكان المدينه: هم (أصحاب الأقلام)، وكأننا أمام صراع الخير والشر أو العلم والجهل ، خفاش يتعقب العقول النيرة وما أكثر الخفافيش التي تستهدف الطبقة المثقفة الواعية، لأنها عدوها اللدود...

شخصيا تابعت الأحداث، وأنا ألهث وراء نهاية الخفاش الذي(حلق بعيدا الى أعالي السماء تشوشت أجهزة الرادار التي كانت ترصد حركته رجمته النجوم ورمت به الى خندق العدم).

وبقصة (للخفاش أثر) أنهيت هذا الحج الأدبي لهذه المجموعة القصصية التي سافرت بي بعيدا في مركبة المستحيل الممكن والممكن المستحيل، ومن خلال قراءتي المتواضعة لقصص هذه المجموعة لمست أن الكاتبة تؤسس لأدب الكوابيس وأدب الجنون، كما لمست نقدا للواقع السياسي والاجتماعي وهجوما سافرا على العقل الخرافي العقيم.

كما عايشت امتزاج الحلم بالواقع ، كما لاحظت حضور المدينة والبحر والماء والحلم والكابوس حضورا صارخا مع اختلاف التوظيف الأدبي بحرفية كاتبة تملك ناصية الأحداث وتسيرها في انسيابية وانسجام.

ملاحظة: أُلقيت هذه الورقة النقدية في منتدى ” أقلام الموج“ ببنزرت احتفاء بالتجربة السردية لهيام الفرشيشي.

العنوان: خيال الموج

الصنف الأدبي: مجموعة قصصية

الكاتبة:الأديبة هيام الفرشيشي

عدد الصفحات:95

صورة الغلاف: تمثل إمرأة تداعب الماء مع انعكاس صورتها على سطح الماء.

باب الحيوان .. باب الطير في ديوان الشعر التونسي المعاصر

عبد الله المتقي

للطيور والحيوانات جذور في تراثنا الشعرى، مع وجود فروق واضحة بين رؤية الشاعر العربى القديم لها، ورؤية الشاعر العربى الحديث والمعاصر، فالطير احتل مكانا واسعا في مدونة بعض الشعراء القدامى، فصوروا مناجاتهم معه، من تحدث واستجابة وردود، وعندما ترد لفظة الطير، سرعان ما يتبادر الى الذهن الكثير من الحيوانات الأليفة والجارحة «الكروان، الصقر، اليعقوب، الحجل، العقاب، والحمامة»...

أما الحيوان، فقد شارك الشاعر مسيرته، منذ فرس الملك الضليل ،، مرورا بناقة طرفة وزهير بن أبي سلمى، ثم الناقة المرجال لطرفة، وصولا الى عنترة وإنصاته لحمحمة أدهمه، وتتسع حديقة الحيوان في ديوان الشعر العربي القديم، حتى أن القارئ لا يمل من وصف الشاعر القديم لناقته «فهي مستودع البقاء، هي سيارته الخاصة، وهي سيارة الشحن، وهي مطبخه وأهراؤه، هي مصدر جميع المواد اللازمة له، ومن وبرها يكتسي، ولله درها! فكل ما فيها نافع، حتى زبلها، فإنه كالفحم الحجري.» كما يذهب إلى ذلك مارون عبود

في حين حول الشاعر الحديث عن الطير و الحيوان، من مفعول به إلى فاعل في بعض الأحيان، وليس ثمة شك في أن ديوان الشعر التونسي الحديث، لم يخل من حضور لهذه الكائنات الحقيقية»، وهو ما سنحاول ملامسته في هذا التمرين النقدي .

باب الحيوان

في قصيدته «هجائية الأسد»1 استخدم الشاعر عبد العزيز الحاجي «الأسد»، لكن لم يعن بمستواه الحرفي والدلالي المباشر، بل معناه الإيحائي والرمزي ، يقول الشاعر :

" ازأر
هل يزأر الأسد ؟؟
هل يزأر إلا الأسد الأبخر ؟؟

هذا المجتزأ، يخفي خلاف ما يظهر، فهو بمنح الزئير للأسد ،ثم يستبعده عنه والتشكك في حدوثه ، ثم التحقير، مما يهيء القارئ لتقبل وحدة من المتعارضات، عبر منجز من الأفعال تكثف من المقابلة والتضاد، بين ثنائيتين ضديتين:

«" إزأر يا ملك الغابات وزمجر في البوق :»
أنا الأقدر
وجميعكم وظل لظلالي
ظل أشعث أغبر
لا حق لأيكمو في لون أزهى
فأنا واهبكم ماشئت من الألوان"

واضح أن لفظة «الاسد» لها تفردها، حيث تأنسنها وكما لو ان الامر يتعلق بتقنية القناع، «احدى التقنيات التي يلجأ اليها الشعراء المعاصرون كيفما يجدون طريقا مسعفا الى التعبير الرمزي»2

وهي تقنية طلب حاجي اللجوء إليها، بقصد إلغاء الحدود الجمركية بين القناع والمستتر خلفه، ومن ثم، يذوب الخطاب السياسي كمرجع في الخطاب الابداعي كيميائيا في بعضها ، ولينتهي هذا الذوبان إلى ما يهدف إليه، وهو الايمان المطلق بكون القصيدة، استخفاف وسخرية لاذعة، وصرخة ابداعية في وجه تراتبية واهمة ومتسلطة، وتعاني من السادية .

الشاعر سفيان رجب، الذي اختار شعريا وقصصيا الخروج عن النمط المألوف، ولا يكاد يرسو على مرفأ، ذلك لان نصوصه على الدوام، ورشة للتجريب والمغامرة، يعيد اخراج هذه الحياة المريرة والرتيبة، التي تطل برأسها جزءا من رصيد الشاعر، نقرأ قصيدته «كنوز» 3:

"قيل للكلب إن في راسك كنزا، يحاول اللصوص والغرباء
نهبه،
لذلك يملأ الليل بالنباح !
وقيل للإنسان، إن في حلمك كنزا، لذلك يقضي الليل
نائما !
وقيل للقرد، إن المسألة دعابة، لذلك يظل يضحك منهما
فوق شجرة الجوز!
أما الحمير، فإنها لم تفهم المسألة أساسا ،
لذلك فهي تفضل القش عن الذهب !»

من يتأمل القصيدة أعلاه، يلاحظ حضورا مكثفا لمجموعة من أسماء الحيوانات « الكلب، القرد، الحمير»، يحاول الشاعر من خلالها تركيب مجموعة الصور في صورة واحدة قاسمها المشترك هو الجشع الواهم : صورة نباح الكلب، صورة الإنسان، وصورة القرد الضاحك الساخر من وهم الكلب والإنسان، ليسفر الأمر في قفلة القصيدة عن صورة مجسمة للحمار الذي لا يعنيه اللعاب الطامع، وتلك هي مخاطرة رؤيا كنز سفيان رجب ، رؤيا السخرية المستفزة التي تسكن الذات، ولا تستكين، مادامت اختارت المتفرد الصعب ، وهو الاختيار الذي اتاح لها هذه الحيونة الغرائبية .

من هنا نخلص إلى دلالة هذه الحيوانات التي تسربت للقصيدة، فالكلب كلب، حتى ولو كان من ذهب ونباح لا يتوقف ،والقرد يحيل على السخرية باعتبار الكنز ليس غير مسرحية كوميدية، في حين يحيل الحمار على البلادة، والعجز على التفكير، وبذلك فهو ليس حمارا أمريكيا ارتبط بمدى قيامه بتحقيق الوظائف والمهام العامة والمنوطة به (التعبئة، دعم الشرعية، التنمية، التنشئة السياسية).

الشاعرة سلوى الرابحي، الموسومة في المدونة الشعرية التونسية، بحرصها الدائم على التجريب وتنويع مدارات قولها الشعري، تخلق في ديوانها « سيرة الألواح المنسية « 4اسطورتها الخاصة بها التي ينتمي ابطالها الخارقون من انسان

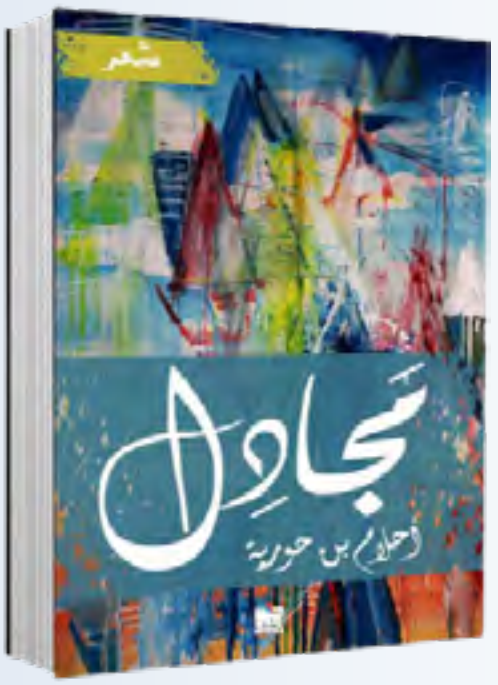

وحيوان، من دون ان يفقدوا عجائبيتهم، من أجل تكريس سيرتها، هكذا وبطريقة فنية تنكتب الشاعرة في الواحها، وتمضي خالقة لحوار بينها والثور، ومن ثم، القبض على المعنى الكبير الذي تريد أن تقوله :

«سيرقص ثورك بعد قليل
أرقص ... أرقص
للموتى آذان ...
أرقص .. ارقص
سترقص سلرى بي قال الثور
ستنهض سلرى من ألواح مديتنا»

يتكشف هذا النفس الأول، عن حضور الثور وسلرى والرقص والبعث والموت، وكلها دوال توحي بطاقة جديدة قادرة على الفعل والإنجاز ،تارة مع الثور وتارة مع الأرض :

الآن، سأعرك طينتها بيدي ،
ابث النار بهذا المزمار
ستبعث سلرى بعد قليل
دمها ماء
ولها روح الأسلاف
لها لون الطين»

وعليه، يحيل الثور البرج الفلكي للشاعرة « ولدت في الراع من ايار»، ومن دلالته أيضا أنه كائن ترابي متعلق بالأرض وأعماقها، وفي هذا اشارة الى اسطورة «إنانا» و«ديموزي»،

تلك التي نزلت فيها « إنانا « إلى العالم السفلي وتجردت من اثوابها وقلائدها . وفي ذلك إحالة على الاسطورة التي تقول إن هذه الارض قائمة رأس ثور، وكما لو أن الشاعرة تحمل هم الارض والكون بأكمله .

ومجمل القول، « سلرى اسم علم يحيل على الذّات الشاعرة، وهو احالة ايضا على الانسان القائم على الاضداد فسلرى من السؤال والرؤيا ولكننا تمعنا في الاسم بلغة موليير نجد انه يعني « الجرذ» المتسخ، الذي أكل أرواحنا وعشش فيها وأكل أيضا ألواحنا وتاريخنا .اشارة الى الالواح الطينية التي تم هدمها وفسخ ملامحها تقول الشاعرة:

«قصائد روحي قضمتها الجرذان»

وغير خاف أن هذه الصورة تستحضر حلول الثور في سلرى، وحلول سلرى في الثور «وللثور بالأرض علائق وشيجة، فاستخدامه في الحرث جعل منه رمزا من رموز الفحولة و الخصوبة.» كما يذهب إلى ذلك الناقد التونسي فتحي النصري.

باب الطير

في قصيدتها «مرياع السؤال»4، تنفتح الشاعرة أحلام بن حورية على الرحيل، لأن الوطن تشرد فيه الأمل والطير، ثم يرتسم السؤال مفجرا حمى القلق، تقول الشاعرة :

« أسالك الرحيل يامن تشرد فيه الطير والأمل
أتدري من ساق إلينا قطيع الغربان؟»

ثم تنبري الإجابة سريعا ،لتعلن الشاعرة إدانتها للغربان :

«أعلم بأن سرب الجهال من فعلوا »

بحثا عن حقيقة تؤسس لوطن الحلم والرجال الحقيقيين، وتهب القلب نبض الحياة :

«إن الرحيل الذي حمل الهتافات في أكياسه
لن يحط إلا على وطن به نصر وأمل»

وعليه، يحضر الطير رمزا للنزوع إلى الحرية والابتعاد أكثر عن العالم الأرضي الخالي من الأمل، ومن فعل الطيران الذي يعبِّر عن مخالفة ما هو مألوف تمامًا، و» التخلص الروح من عبودية الأرض...» يقول عالم الأساطير الكبير جوزيف كامبل،، اعتمادا على ما هو كائن في هذه المرحلة التاريخية الحساسة والملغومة التي تعيشها أحلام بمسامها وجوارحها، كما يحضر الغراب رمزا للتشاؤم والسَّوداوية، بسبب صَوته المميَّز، ولونه الأسود القاتم، وفي الآن ذاته، تعكس هذه

ورقات نقدية

الرمزية في صلب شرطها التاريخي، والتدافعات والاحتقانات والصراعات التي تعيشها الشاعرة بجوارحها،

وهكذا تعلم الشاعرة الناس أن يتفاءلوا، بتكريس الأمل، لإبراز حرارة الحب، وحب الاوطان باعتباره ارقى ممارسة للتعلق بالوطن .

ومرة أخرى نكون أمام « الشحرور في قصيدة «ضوء» 5 للشاعرة النوعية فضيلة الشابي :

يوقظني الشحرور
يفتح القلب على النور
يوقظني الشحرور لأصلي
هو ذلك يتوضأ بدموع الليل
تقصر جمل لي أو تطول
على عصن الفجر
على غصن الذكر»
إن القلب والنور والصلاة والوضوء والدموع والليل، دوال تؤطر الحركة الأولى في هذه القصيدة ،وتلقي بظلالها مع ظهور الشحرور، ثم ما يلبث أن يختفي فاسحا المجال لأجواء الحركة الثانية المكملة للأولى، والتي تستغرق ما تبقى من القصيدة، معلنة استمراية دخول الذات لطقوس صوفية ووجدانية ،و المفضية إلى المراقي السماوية والارتقاء الروحي، من خلال الدوال « الفجر، الذكر ، الوضوء »، وكل ما تحيل عليه من يقينية وعرفان .

وفي جميع الأحوال الحقيقية والمتخيلة، هناك اقتناص ذكي للحظة إيمانية مشرئبة الى أنوار السماء ،أيقظها الشحرور كرمز، ويذهب الى ذلك التوظيف الرمزي ايضا الكثير من شعراء التصوف «اضاءة للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر 6» .

على سبيل الختام

تأسيسا على ماسبق، نستطيع القول إن المدونة الشعرية التونسية المعاصرة تجربة أصيلة، لا تكتفي بالقضايا الكبرى، بل هي على الدوام مفتوحة على التجريب والتجديد، وليس غريبا إذن، أن ينتبه الشعراء للطيور والحيوانات، وانتقائها، ومن ثم، توظيفها في قصائدهم بشذا الرموز والأقنعة وعمق الاستعارات، والأكثر منه، احتفاء اسمين نوعيين بهذه الكائنات ،و نذكر على سبيل المثال « فهرست الحيوان» للشاعر المنصف الوهايبي، و « ممسكا بريشة عصفور» لعبدالفتاح بن حمودة .

إحالات :

1 - عبدالعزيز حاجي، بيت الشهيد .. بيت القصيد «، دار زينب للنشر ط1، 2017

2 - د. عبدالسلام المساوي، إيقاعات ملونة، قراءات في الشعر المغربي المعاصر، دار مابعد الحداثة، 2006ص 113

3 - سفيان رجب، الحدائق المسيجة، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، منشورات بيت الشعر، 2013، ص80

5 - سلوى الرابحي، سيرة الألواح المنسية، ميسكياني للنشر، المغاربية للنشر، تونس2007، ص

6 - حورية أحلام، مجادل، دار زينب للنشر والتوزيع، 2020، ص 100

7 - فضيلة الشابي، الأعمال الكاملة، الشعر2، دار محمد علي للنشر، تونس، ص238

8 - .ينظر:عبد المنعم شلبي، تذوق الجمال في الأدب، «دراسة تطبيقية «، ط1 ،القاهرة، مكتبة الآداب، ص 68

قراءة في كتاب

«رماد الحياة» رواية التخييل الذّاتي للكاتب التونسي حسُّونة المصباحي

نبيل درغوث

يُعتبر الكاتب حسُّونة المصباحي أبرز كاتب وقد يكون الاستثناء في الوطن العربي من الكتّاب الذين يمكن محورة كلّ مؤلفاتهم في ما اصطلح عليه بـ«كتابة الذات» وهذا النوع من الكتابة تندرج ضمنها الأجناس الأدبية التالية: السيرة الذاتية- التخييل الذّاتي-اليوميات-الرحلة- أدب البورتريه-السيرة الغيرية...

فحسُّونة المصباحي هو كاتب الذات بامتياز. كل مؤلفاته الروائية «هلوسات ترشيش» و«الآخرون» و«وداعا روزالي» و«نوارة الدفلى» و«حكاية تونسية» و«رماد الحياة» و«يتيم الدهر» و«أشواك وياسمين» و«الفتى ياسين في متاهاته»... ممزوجة بسيرته الذاتية وإن كان لا يصرح بذلك داخل نصوصه بميثاق مع القارئ.

كما خصّص المصباحي مؤلفات حول بورقيبة والقديس أغسطين وخير الدين باشا وبيرم الخامس وبوحاجب وسارتر وآرون الخ... تندرج جميعها ضمن السيرة الغيرية وأدب البورتريه.

وقد كتب أيضا في اليوميات «يوميات ميونيخ» و«العودة إلى ميونيخ» و«يوميات الحمامات» و«يوميات الكورونا».

وبالإضافة إلى ذلك كتب في الرحلة «كتاب التيه» وفي السّيرة الروائية «بحثا عن السّعادة».

رواية «رماد الحياة»

يقول هنري جيمس: «إن المبرر الوحيد لوجود الرواية هو أنها تحاول بالفعل تصوير الحياة». والحياة هي التجربة الذاتية التي عاشها الإنسان. فالتجربة الفردية للإنسان هي الرحم الذي تنشئ منه الرواية. وهكذا استفادت الرواية من السّيرة الذاتية.

إنّ رواية «رماد الحياة» لحسّونة المصباحي قائمة على المعيش والتجربة الذاتية. فهي تحيل بشكل أو بآخر على تجربة صاحبها حيث أقحم فيها المصباحي بعض تفاصيل حياته الشخصية حيث امتزج فيها الذاتي –التجربة الشخصية- بالخيالي.

جاءت العناصر السّيرية متناثرة ومبعثرة على كامل الرواية.

فـ«ياسين» الشخصية الروائية المتخيّلة متصلة كثيرا بحسّونة المصباحي الشخصية الحقيقية. كلاهما تاه في العالم واختار حياة الغربة.

«قبل مجيئه [ياسين] إلى ميونيخ, كان قد تاه أشهرا طويلة في أوروبا بحثا عن المكان الذي يمكن أن يحتضن غربته التي اختارها طواعية» (ص 35).

«سكن [ياسين] شقة صغيرة في حي «شوابينغ» منهيا بذلك حياة التيه التي عاشها على مدى سنوات طويلة» (ص 38).

نفس الحي الذي أقام فيه حسّونة المصباحي أزيد من عشرين عاما وقد ذكر هذا في كتاب رحلته «كتاب التيه»:

«في حي «شوابينغ» بميونيخ, أقمت أزيد من عشرين عاما. ويتمتع هذا الحيّ بشهرة واسعة لا في ميونيخ وحدها، بل في كامل أنحاء ألمانيا» (كتاب التيه ص 185).

ويمكن لمن يقرأ مؤلفات حسّونة المصباحي ويتابع مقابلاته الصحفية وأخباره أن يتفطن إلى بعض سمات الترجمة الذاتية في الرواية.

ياسين كاتب وصحافي أقام طويلا في ميونيخ قبل أن يغادرها نهائيا ويعود إلى تونس ليقيم بالحمامات. فالقارئ الوفيّ للكاتب حسّونة المصباحي يعلم أنه أيضا صحافي وأقام في ألمانيا من سنة 1985 إلى سنة 2004.

إلاّ أنّ رواية «رماد الحياة» منطوية على تطابق بين ياسين والمصباحي رغم السّرد بضمير الغائب وتوسط الراوي بين المؤلّف والشخصية الرئيسية ياسين. فطفولتهما هي طفولة لشخص واحد.

«في الشتاء، نظمت في المعهد مسابقة أدبية شارك فيها [ياسين] بتلك القصّة التي وضع لها عنوان «الرحلة المشؤومة». وكان النجاح حليفه إذ أنه نال الجائزة الأولى, وصفق له الجمهور طويلا» (ص 49).

فنفس هذه القصّة (الرحلة المشؤومة) بنفس العنوان ذكرها المصباحي في سيرته «بحثا عن السّعادة»:

«في سنتي الثانية, نظّمت مسابقة أدبيّة شاركت فيها بقصّة حملت عنوان: «الرحلة المشؤومة»، استوحيت موضوعها من حياة النّاس في قريتي [...] نالت القصة الجائزة الأولى في تلك المسابقة فتوّجت بلقب «أديب المعهد»» (بحثا عن السّعادة ص 42 - 43).

ول ياسين عمّ اسمه «صالح» كان جنديّا في الجيش الفرنسي وخاض أهوال الحرب العالمية الأولى في خنادق «فاردان».

«عمّه [ياسين] صالح, الذي حارب في «فاردان»، وعاد بجرح في الفخذ الأيمن, وبحكايات عجيبة عن الأشهر الطويلة التي قضاها في الخنادق» (ص 40).

نفس هذا الحدث بتطابق كامل جاء في سيرة «بحثا عن السّعادة»(4):

«كما كشفت لي جانبا مخفيّا من حياة عمّي صالح الذي عاش أهوال الحرب العالميّة الأولى في خنادق «فاردان» جنديّا في الجيش الفرنسي. والجميع في قريتنا يعلمون أن عمّي صالح ينفر نفورا شديدا من الخوض في الحديث عن تلك الحرب التي عاد منها بجرح في فخذه الأيمن» (بحثا عن السّعادة ص 43).

«إنّ الرّوائي بشكل عام لا يمكن أن يتخلّص من ذاته تخلّصا تاما ونهائيا عند الممارسة الإبداعية، إذ هذه الذات المصاحبة تتسلّل في غفلة من المؤلّف –الذي يجهد نفسه ليتركها خارج النصّ- لتتسرب داخل العمل الإبداعي وتطعّمه بمناخات الذاتي»(5).

لعلّ هذا التشابك بين الذّاتي الشخصي المتصل بحسّونة المصباحي باعتباره شخص حقيقي يعيش بيننا وما هو خيالي في الرواية المتصل بياسين باعتباره شخصية من نسج الخيال. قد يجعل «رماد الحياة» خارج الرواية الخالصة لينزّلها ضمن النوع الأدبي الذي أطلق عليه الناقد «سارج دبروفسكي» اسم «التخييل الذاتي» وهو جنس أدبي خلاسي سليل جماع بين الرواية والسيرة الذاتية.

---

1 - حسّونة المصباحي «رماد الحياة» - منشورات وليدوف- تونس2009.

2 - أنظر حسّونة المصباحي « كتاب التيه» - دار نقوش عربية- ط2 تونس2019 ص 185.

3 - أنظر حسّونة المصباحي «بحثا عن السّعادة» - دار نقوش عربية- تونس2017 صص 43-42.

4 - أنظر حسّونة المصباحي «بحثا عن السّعادة» - دار نقوش عربية- تونس2017 ص43.

5 - كمال الرياحي «الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج»-منشورات كارم الشريف-تونس -2009ص 202.

لافازّا شفيق الطارقي... بين اللعب الروائي... والعروج إلى أقاصي الذات الحكّاءة

البشير الجلجلي

قد يختلف النقاد في تعريف الرواية وميلها في أحايين كثيرة إلى المرجعيّ تلغرافا يصل الذات والعالم...ولكن المتأمل أن إمبريالية الرواية وانفتاحها على الأداب والفنون والخطابات المجاورة... قد جعلت النصوص التخييلية تزدادا تعقيدا... وقد تُطلب ولا تُدرك... كالغيبة... وهو ما يجعل الناقد يستعمل الإغراء حينا. والمعرفة في أحايين كثيرة عل الرواية تتعرى فيصيب منها وطرا...والأعمال الضخمة في العالم لم تكن فريسة سهلة للتأويل...وإلا لأستطاع كل قارىء فك شفرتها...وهو ما يهوي بالنص إلى الابتذال...

ولسنا نغالي إن قلنا إن لافازّا هي أرض مستحيلة تاخذك إلى أقاصي النفس وتجردك من ثيابك الداخلية وتتركك وحيدا في فيافي تفسيرك الساذج على أنها رواية سيرية تحدّثك عن الطارقي المثقف الناقد للحياة بألوانها والشعر بمذاهبه ونقوده...والحق أن الرواية تجيب عن سؤال وجودي: من أنا؟

تتهجى #لافازا لغة الحياة وتسخر من لامعقولية الحضارة الإنسانية التي تصفق للمجرم وتعليه على كرسي العرش وتطرد الشاعر خارج أسوار الحياة فيعيش على الكُسيرة اليابسة ...لذلك يحتاج العالم إلى تهديب الأخلاق لابن مسكويه...ليعالج نفسه من انفصامات قاتلة...

1 - الفاتحة وحسيس الذاكرة

هذا الكون الروائي رسمه السارد وفق إيقاع داخلي يقوم على ميشونيكية ترشح الجرس القائم في فاتحة الرواية على شكل الروايات الكبرى.. (محفوظ... ساراماغو.. شافاك... كامو وهو يعلن موت أمه:

أ- ترشيح السارد لشخصية أحمد سليل الوجد النيسابوري الذي روى قصته «أنا أحمد سليل الوجد النيسابوري» وهذه قصتي» (ص58) رغم أنه يعتبر وجوده في العالم «خللا سرديا»(ص12)

ب- الإغراء : حيث يغري الساردُ القارئَ بجلسة لافازية «اقتناء علبة من السجائر الفاخرة شرط أساسي ليكون حضورك في المقهى حدثا مرموقا» (ص.13).

ج-الإطلاق: في مقهى مّا/في طاولة ما-

د-التبيئة:اليوم شربت قهوتي في مشرب كليتي كلية الأداب منوبة(ص17) وغيرها...

وهي فواتح تحملك إلى غاية رمي الشخصية في سلة الذاكرة...فليس فيها ما يميز فالأنف لا يعجب والطول عادي وهو ليس نجما ليكون في دوائر الاهتمام...وهي مخاتلة سردية تغري بالخُلف...وقد خاطب الأنت -الأنا خطابا محايدا جعل القارىء يكتشف مآتي روائية «لافازا» وهي كثيرة نقتصرعلى بعضها الوارد في فاتحتها...

2 - من مآتي الروائية وكتابة القراءة والواقع

أ- اللازمة الشعرية : صص13 - 15 - 19 (في العقد الثالث. أنا لست أكثر من ثلاثيني-) ثم يدقق السن

(بلغت الخامسة والثلاثين ولم أتزوج) (ص24)/أنا أكتب للخراب(ص.159).

ب-الأدب العالمي والعربي والتونسي: مظفر أو درويش أو ناظم حكمت أو نيرودا....وكوبليو وساراماغو وأمجد ناصر...وعلي الدوعاجي في «شاطىء حمام الأنف» بعد قذيفة العصفور على شاشية السارد وتوعده الشاعر الرومنطيقي (الشابي :مناجاة عصفور/) الذي يعتبر العصفور ملاك متخلصا بجملة واحدة إلى المذهب الواقعي (العصفور اللعين)... وهو عينه ما قاله سارد لافازا» محولا الضمير من أنت إلى أنا» هناك عصفور فعلها يوما ما فوق راسي»(ص.14).

ج-المنزع السياسي والواقعي: بلعيد والبراهمي وابن علي وحاكمة قرطاج...والجدة زينة...

د-النقود... وخاصة في تعريفه للشاعر مخالفا للرومنطقية التي ترى أن الشاعر هو نبيّ؛ يقول جبران» الشاعر حلقة تصل بين هذا العالم والآتي ؛منهل عذب؛غيمة...» ويقول سارد لافازا «الشاعر هو الذي يلتقيك بخمسين حضنا وبطعنة مؤجلة؛الشاعر هو الذي يخبىء تحت تبانه علبة مارلبورو.... الشاعر هو الذي ينشر غسيلك مع صديق.... الشاعر هو الذي يكتب عن الحب كقديس ويمارسه مثل كركدن...»(ص.166)

وغيرها...

وكأن السارد يطرح سوالا طرحه بلزاك من قبل «لماذا تكتب؟» وأجاب النيسابوري «إلهي أريد أن أصبح غنيا»(ص18) وهو سؤال الوجود خوفا من سقوط إحدى الأثافي: الشعر والحكي (الجدة) والخمر... بحثا عن الاتراكسيا الأبيقورية...

هذه الجديلة الروائية جعلت الرواية تحاكي الخلق في ستة أيام/ فصول.

3 - فصول الرواية ومحاكاة سر الخلق:

إن المطلع على فصول الرواية الستة يلاحظ أنها تحاكي فصول الخلق في ستة أيام:

أ-الفصل الاول: أشكون قتل شكري بلعيد؟ عودا إلى الدم الأول بين قابيل وهابيل ...

ب-الفصل الثاني: نسيت أن أحدثكم عن إيزرابيل... عودا إلى حواء والتعارف شعوبا وقبائل... لكن عبر الفايس...

ج-الفصل الثالث: ساحة المنجي بالي مؤسس الحركة الكشفية في تونس تواصلا مع التجمع الذي حكم البشرية خوفا من الانقراض في الهجرة من أفريقيا إلى آسيا...

د-الفصل الرابع: 4 أفريل 1976 وهو متوافق مع رقم الفصل..والعناصر الأربعة المكونة للكون...:المولد والهُوية والرفض والحياة(الماء والتراب والهواء النار) وحنين الاشياء إلى أصلها....حنينا إلى المكون الأول والعراء في النفس وكيف ملأ الكيان بالأسئلة وشرائح النقد:»في نقدنا برد ....في الدستور القادم برد في العدم القادم برد...شرائح لحم سويتها تقاطر..»(ص 171)...

ه- الفصل الخامس :ذات الإبطين الشهيين؛حديثا عن المرأة والتفاؤل وصلا باللذة وما أدراك ما اللذة في حياة الإنسان...المقترنة بالشك «البارحة كتبت قصيدة في إبطي فتاة...صرت أشك في أشياء متعددة...»(صص206 - 207)

و-الفصل6: هل كان حلما؟ تناصا مع قصيدة هل كان حبا ؟لبدر شاكر السياب عودا إلى الشعر المكون الأساسي للوجود المتشظي بين لحظة الكشف وبيان الحداثة...

لم تكن لافازا قهوة باهظة الثمن لا يقدرها كل الشعراء في الشارع الكبير وابن خلدون يسرّح النظر في أفق مقدمته بعد أن صرخ الثوريون أن :العدل أساس العمران...

فعاثوا في الأرض فسادا لذلك يصرخ السارد مرارا: لست مناضلا ثوريا ولست بطلا ولن أكون...»(ص23)

والحق أن الرواية تراوغك و تخاتلك وترمي بك في غياهب الذات الحالمة...ولو كان الحلم مستحيلا ...ألم يقل لي درويش: «الذاهب إلى المجهول هو الذي يبقى...»وكانه يقول :

«لما أحبَّ الله قديما
حلق ذقنه بالأنهار
لما أحبّ الله قديما
خرج من حبه منهار..

إعداد : منير الفلاح

هند صبري تدخل بفيلمين جديدين في سباق البرمجة السينمائية الصيفية في مصر

تشارك النجمة التونسية هند صبري في السباق السينمائي الصيفي بالقاعات المصرية بفيلمين جديدين الأول بعنوان «فضل ونعمة» ويجمعها «فضل ونعمة» في إطار اجتماعي كوميدي حول زوجين يمتلكان مطعماً اسمه «فضل ونعمة» ويمرّان بالعديد من المواقف خلال الأحداث، والعمل يشارك في بطولته كل من محمود حافظ، ومحمد ممدوح، وياسمينا العبد، والقصة من تأليف أيمن وتار، وإخراج رامي إمام... والفيلم الثاني «كيرا والجن» سيطرح بعد تأجيل استمرّ شهوراً بسبب ظروف انتشار فيروس كورونا، وتوقّف التصوير كثيراً، ليتقرر أخيراً أن يعرض خلال الموسم الصيفي. والعمل يجمع كل من أحمد عز وكريم عبد العزيز لأول مرة سينمائياً معاً، بعدما اعتاد كل منهما على حدة تقديم بطولات مطلقة. تشاركهما هند صبري في هذا العمل صحبة سيد رجب، وأمينة خليل، وروبي، وأحمد مالك، وأسماء أبو اليزيد...

والقصة من تأليف أحمد مراد، وإخراج مروان حامد. ويرصد الفيلم حالة الغليان التي كان يمر بها الشارع المصري بالتزامن مع اندلاع ثورة 1919، وهو الحدث الكبير الذي يوحد مصيري «أحمد عبد الحي كيرا» و«عبد القادر الجن» ليشتركا في النضال ضد المحتل الإنقليزي.

شارلي تشابلن على الشاشة من جديد

تم اختيار (توبي ماغواير) ليجسد دور «تشارلي تشابلن» في فيلم (Babylon) للمخرج (دامين شازيل)، كما سيلعب (براد بيت) دور النجم السينمائي الصامت «جون جيلبرت»، و(مارغو روبي) في دور أيقونة القرن العشرين «كلارا باو».

تدور أحداث الفيلم في لحظة تحول هوليوود عندما تحولت الصناعة من الأفلام الصامتة إلى الأفلام الناطقة. ويشارك في البطولة كل من (أوليفيا وايلد، سبايك جونز، فيبي تونكين، وسامارا وايفينغ)، ومن المقرر عرضه في دور السينما في 25 ديسمبر القادم..

إدارة أيام قرطاج السينمائية تعلن عن فتح باب الترشح للمشاركة في الدورة القادمة

أعلنت الهيئة المديرة لأيّام قرطاج السينمائية عن فتح باب المشاركة في الدورة الثالثة والثلاثين للمهرجان ضمن أقسام المسابقة الرسمية وخارجها.

وحدّدت يوم 15 أوت القادم كآخر أجل لتقديم الترشيحات المتعلّقة بالمسابقة الرسمية للأفلام الروائية والوثائقية الطويلة منها والقصيرة، ويوم 31 أوت بالنسبة إلى الأفلام الخاصة بقسم سينما العالم وأيام قرطاج للصناعة السينمائية «تكميل» ومسابقة قرطاج الواعدة وكذلك مسابقة أسبوع النقاد.

وتُقدّم ملفات الترشح عبر الموقع الرسمي للمهرجان www.jcctunisie.or

ويذكر أن الدورة 33 لأيام قرطاج السينمائية القادمة ستقام في الفترة الممتدة بين 29 أكتوبر و5 نوفمبر 2022 تحت إدارة المخرجة والأستاذة الجامعية سنيا الشامخي.

النجمة التونسية عفاف بن محمود ضمن ترشيحات جائزة النقاد العرب

كشف مركز السينما العربية في بيان له، عن ترشيحات جوائز النقاد للأفلام العربية في نسخته السادسة، التي تستهدف الأفلام العربية التي تم انتاجها سنة 2021، ويشارك في تقييم الأفلام لجنة تحكيم تتكون من 167 ناقداً من 68 دولة، يشاهدون الأفلام عبر الشريك الرقمي Festival Scope، ومن المقرر الإعلان عن الفائزين بالجوائز، في حفل يُقام ضمن الدورة الحالية من مهرجان كان السينمائي.

ونجد ضمن الاسماء المرشحة لجائزة أفضل ممثلة عربية نجمتنا التونسية عفاف بن محمود عن دورها المتميز في فيلم «أطياف» من إخراج مهدي الهميلي...

بالإضافة إلى وجود الفيلم التونسي المصري «سعاد» من إخراج «إيتين أمين ضمن قائمة أفضل فيلم وافضل مخرج .

وتعلق ديبورا يانغ مدير جوائز النقاد "من الملفت للنظر في ترشيحات هذا العام غلبة الأفلام المصرية، بالإضافة إلى انتشار الإنتاج المشترك بين الدول العربية، مع تواجد قوي من العراق والأردن ولبنان ودول أخرى، كل هذه الأفلام ناقشت موضوعات مثيرة للإهتمام، فرضت نفسها على أجندة المهرجانات الدولية طوال العام الماضي".

أما ماهر دياب وعلاء كركوتي الشريكان المؤسسان في مركز السينما العربية يقولان "من المثير للاهتمام أن نرى حجم التنوع الكبير في الإنتاجات العربية لهذا العام من حيث موضوعات الأفلام والدول المشاركة، هذا بالإضافة إلى التواجد النسائي الملفت في الإخراج والتأليف والوثائقي. ونحب أن نوجه الشكر إلى لجنة التحكيم جوائز النقاد للأفلام العربية، التي شاهدت كل الإنتاجات العربية في العام الماضي، لتختار لنا أفضل الأفضل في كل فئات الجوائز".

علما وأن جوائز النقاد للأفلام العربية انطلقت في نسختها الأولى على هامش فاعليات الدورة الـ70 من مهرجان كان السينمائي، وتمنح الجوائز لأفضل إنجازات السينما العربية سنوياً في فئات أفضل فيلم روائي ووثائقي ومخرج ومؤلف وممثلة وممثل، وتضم لجنة تحكيم الجوائز هذا العام 167 من أبرز النقاد العرب والأجانب ينتمون إلى 68 دولة من أنحاء العالم، وهو ما يحدث لأول مرة في تاريخ السينما العربية.

درة بوشوشة عرابة مهرجان «سينما الجنوب» بمدينة ليون الفرنسية

تم إختيار المنتجة التونسية درة بوشوشة كعرابة لمهرجان «سينما الجنوب» الذي سينعقد بمدينة ليون الفرنسية علما وأن هذه التظاهرة يشرف على تنظيمها l'Institut Lumière بهذه المدينة.

يذكر أن درة بوشوشة هي منتجة تونسية، أنتجت، منذ العام 1994، وشاركت في إنتاج عددٍ من الأفلام الوثائقية التونسية والأجنبية، القصيرة والطويلة على حدٍّ سواء، ومن ضمنها سلسلة الأفلام الأفريقية القصيرة «Africa Dreaming» (أفريقيا تحلم)، و«-Sabria» (صبرية) للمخرج عبد الرحمن سيساكو، و«موسم الرجال» للمخرجة مفيدة التلاتلي، و«بركات» للمخرجة جميلة صحراوي، و«ساتان أحمر» و«أسرار دفينة» لرجاء عماري. وقد اختيرت أفلامها لتعرض في مهرجانات البندقية وكان وبرلين. 25 إكريتور» (كتّاب الجنوب) في العام 1997 المستمرّة بإدارتها حتى يومنا هذا. يُضاف إلى ذلك أنّ بوشوشة منخرطة بشكل نشط في تدريب الأشخاص في إطار ـ«سينما بلدان الجنوب» والترويج لهم.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

«العنكبوت» يعيد ظافر العابدين للشاشات التونسية

بعد تصدره لأسابيع لائحة أكثر الأفلام مشاهدة بالقاعات التونسية بفيلمه «غدوة» يعود النجم ظافر العابدين للشاشات التونسية بفيلم من بطولته بعنوان «العنكبوت».

تدور أحداث الفيلم في إطار الحركة المزوجة بالإثارة حول تاجر مخدرات خطير، يتمكن من تصنيع مواد مخدرة جديدة، ويبيعها، ويقع في العديد من المشاكل والمطاردات من قبل الشرطة، إضافة إلى دخوله في صراعات مع عالم المافيا بسبب شقيقه الذي يجسد شخصيته النجم ظافر العابدين.

يشارك في بطولة فيلم العنكبوت إلى جانب ظافر العابدين نخبة من أبرز وأهم نجوم التمثيل في مصر، والعالم العربي ومنهم أحمد السقا ومنى زكي ويسرا اللوزي والراحل زكي فطين عبد الوهاب والعمل من تأليف محمد ناير وإخراج أحمد نادر جلال.

فيلم المغربي نبيل عيوش «علي صوتك» من جديد في القاعات السينمائية

تدور أحداث فيلم "علي صوتك" في منطقة شعبية بمدينة الدار البيضاء، ويحكي قصة "أنس" مغني راب سابق يعمل في مركز ثقافي بالحي. وبفضل تحفيزهم وتشجيعهم من قبل معلمهم الجديد، يجد شباب المركز طريقة جديدة للتعبير عن قضاياهم وواقعهم، وذلك عبر ثقافة الهيب هوب.

وكان الفيلم المغربي "علي صوتك" قد شارك في المسابقة الرسمية للدورة الـ74 لمهرجان كان .

ويأتي هذا الفيلم أكثر انتقادًا للمجتمع المغربي، وهذه المرة يستخدم نبيل عيوش لغة الموسيقى والأغاني وقوة الحوار الذي يتخذ منحنى جدليا في مواجهة القضايا التي تواجه الشباب في مجتمع الدار البيضاء وخاصة التشدد الديني وطمس حقوق الفتيات ومعاملة المرأة. إنها مقطوعة تعزف عن حالة الأمة حيث تصبح الموسيقى وسيلة للهروب لشباب المنطقة من مأزقهم، وحيث يعكس الفن الواقع المهزوم والأحلام المكبوتة، لكن هذه المقارنة ستؤدي إلى الدفع السياسي للحكاية والصدام لا محالة.

في أحداث الفيلم يسير السرد على نهج درامي متنامي يبدأ في أحد أيام عام 2014، بطلب أنس بناء برنامج يسمى المدرسة الإيجابية للراب، حيث يصل أنس إلى المدرسة ويعلن أنه ستكون هناك دروس، في الدرس الأول، شرح أهمية الهيب هوب في إحداث التغيير في أمريكا. يصف كيف أثر ذلك في برونكس، نيويورك في التعبير عن الاستياء السياسي وإعطاء صوت للمحرومين حيث غير المشهد الموسيقي التركيبة السياسية للبلاد، ما أدى إلى انتخاب الرئيس باراك أوباما الأسود.

بل ويشجع الطلاب على البدء في الكتابة عن تجاربهم ليحصلوا على فرصة للتحرر من ازماتهم الحياتية حيث تعيش إحدى الفتيات مع أخ مفرط في الحماية، وآخر في دار للأيتام، والصبي الأكثر غرورًا لديه أب عنيف في المنزل الراب بالنسبة لهم هو هروب وهوية.

بينما تغوص دراما الفيلم وحبكته الداعمة لفكر المخرج في توجهه العام في نقاش حول الإسلام والنمو في مجتمع بين عالمين، الماضي والحاضر، وهل يمكن للتقاليد أن تنجو من العولمة والإنترنت؟ ما هو دور الثقافة في إحداث التغيير؟

«منهاتن الهروب» فيلم تونسي جديد في القاعات السينمائية

غامر الموزعون بطرح فيلم تونسي جديد بعنوان « منهاتن الهروب» من إخراج الشاب ميلاد قطاط .

هذا الفيلم أنتج وأنجز خارج النموذج المتعارف عليه على الساحة السينمائية وهو إلتقاء بين مجموعة من خريجي معاهد السينما والمسرح بصفاقس يحدوهم العزم على تقديم صورة جديدة مع مجموعة من أساتذتهم درسوهم وغرسوا فيهم بذرة القدرة على الخلق والإبداع... الفيلم عبارة عن الإلتقاء بين الخبرة والحماس كما صرح به مخرج الفيلم الشاب ميلاد قطاط.

يذكر أن ميلاد قطاط مولود بمدينة صفاقس سنة 1994 وهو مخرج ومؤلف إنضم حديثا إلى عالم السينما بعد التحاقه بالجامعة سنة 2016 .

حيث إكتسب الخبرة بعد قيامه باخراج العديد من الاغاني المصورة.

تعرف أفلامه زخماً كبيرا من الحركة والمؤثرات، كما تكون غالباً ذات طابعٍ بسيكولوجي أو إجتماعي .

قام بكتابة وإخراج أول فيلم روائي طويل له «منهاتن الهروب» سنة 2021 بامكانيات مادية محدودة جدا معولا على تفهم زملائه في الميدان وتشجيعهم له في خوض هذه المغامرة.

الفيلم اللبناني «النهر» في قاعاتنا

يعرض فيلم «النهر » في القاعات التونسية بداية من هذا الشهر اوهو الفيلم الثالث من ثلاثية أفلام قام بها غسان سلهب مع فيلم الجبل 2010 ومن بعدها فيلم الوادي 2014 والأخير النهر.

يتناول الفيلم قصة رجل وامرأة يكونان على وشك مغادرة مطعم يقع في قلب الجبال اللبنانية في يوم من ايام فصل الخريف، فيتفاجأن باصوات طائرات حربية تحلق على ارتفاع منخفض، يشعران وكأن الحرب تندلع مرة أخرى.

في هذه اللحظة تغيب المرأة عن انظار الرجل ، فيبدأ هذا الأخير بالبحث عنها ليجدها على الجانب الآخر من الجبل. ليغرقان معاً في عمق الطبيعة ، تمامًا مثل الخيط الرفيع الذي يربطهما ببعضهما البعض.

"النهر" من تمثيل الفلسطيني علي سليمان (شارك بافلام عدة نالت استحسان عالمي مع مخرجين عالميين وعرب نذكر منهم هاني ابو اسعد وايليا سليمان وزياد دويري ويحيا العبدالله وغيرهم) ويمنى مروان (شاركت في افلام كثيرة وهي من الممثلين في فيلم الوادي احد افلام الثلاثية)، ومن انتاج: (Lebanon Khamsin Films) – تانيا خوري، وتسلم التوزيع في البلاد العربية: شركة أم سي للتوزيع، وستقام الدورة الـ 74 لمهرجان لوكارنو السينمائي بين 4 و14 أوت 2021.

الدراما الرمضانية السّورية :

هل استطاعت التحرر من القيد والرقابة؟

السينمائي محمد ملص (مراسلة من سوريا)

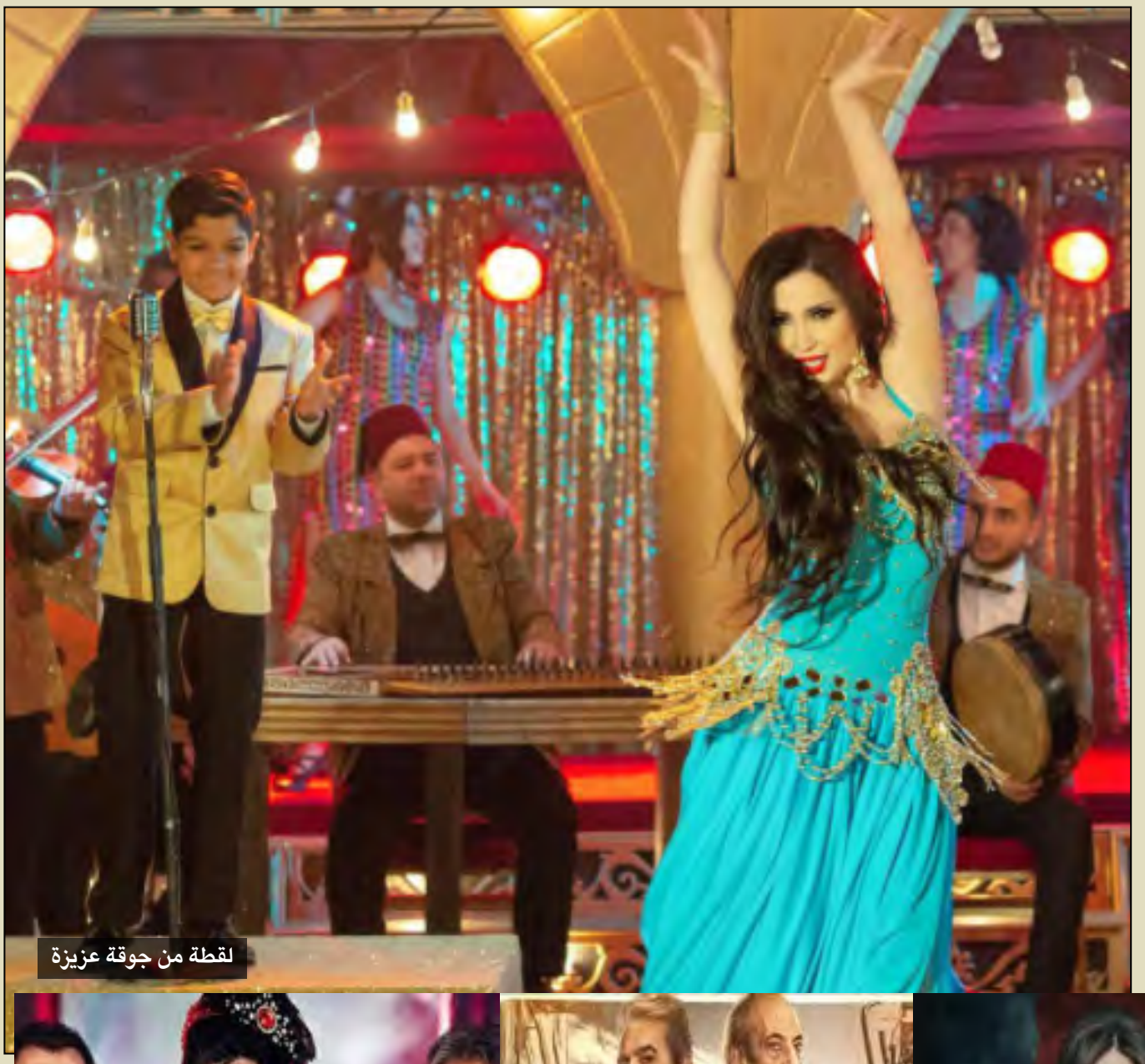
لقطة من جوقة عزيزة

إذا كانت السينما السورية في حالها الراهن؛ تترنح وهي بين أيدي عدد محدود يتولون شؤونها؛ ويحققونها بصورتها الراهنة لأسباب مختلفة لها علاقة بفهم السينما ومفهوم الثقافة لديهم. أو لأسباب أخرى مما يقود إلى المحاكمة الإلكترونية. فإنه يمكن الإختصار والقول أنها سينما في حالة «الإحتضار».

من هنا لابد اليوم من القول أن «التلفزيون» بما وصل إليه؛ من تطور تقني وفني؛ هوالفرصة للتعويض عن غياب السينما. وبالنسبة للتلفزيون اليوم يجب عدم الصمت؛ عما إستطاعت الدراما التلفزيونية السورية؛أن تقدمه هذا العام.

للحديث عن الأعمال التي قدمتها لرمضان هذا العام؛ هناك بالإضافة لأهميتها عامة؛ يهمني هنا الإشارة إلى ثلاثة أعمال تميزت بالإضافة لموضوعاتها وإخراجها؛ في جانبين رئيسيين أود التأكيد عليهما؛ كـ «كظاهرتين». دون الدخول في هذه القراءة؛ قراءة نقدية (نقدية لا تعني الانتقاد) لتطويرهما.وأعترف بأن هذا يعود لقراءة سريعة؛ دون الإمكانية للمتابعة المتأنية؛ والمستحيلة بالنسبة لي شخصياً.

هذه الأعمال هي «جوقة عزيزة» و «مع وقف التنفيذ» الذي كنت أتمنى عنوانه الأصلي»الحياة مع وقف التنفيذ» و«كسرعظم».

لقد استطاعت هذه الأعمال التحرر من القيد والرقابة المختفية وراء العرف والقيم الاجتماعية؛ دون المساس بها. التي كانت تعمل على الصياغة المسبقة مراعاة لقوى تسهم بشكلانية وقدسية الموضوعات وكيفية تناولها؛ و«إزاحة» الأفكار التي يسمو إليها أحيانا؛ من يكتبون للدراما أو للسينما او للمسرح. إن مفاهيم حراس القيم الاجتماعية؛ كثيرا ما ساعدت على تفريخ الكثير من الأعمال؛ التي كانت تمسخ صورة مجتمعنا وأسلافنا. فما أتيح لي مشاهدته في الأعمال الثلاثة؛ ويخص الواقع الحالي والتاريخ؛ قد أستندت بشيء من الوثائقية المميزة؛ والتفكير بتأن في إعادة إنتاجه؛ دون خيانته؛ودون فهم حرفي لوثائقيته. وهذا ما يعطي دائما للعمل فنيته المطلقة.

الظاهرة الأولى في الأعمال الثلاثة؛ هي الأفق الواسع (الواسع وليس المتسع) للرقابة السياسية؛ التي وجدت نفسها أمام شارع؛ ووسائط للتواصل الاجتماعي؛ تتداول وبصورة أوسع ومتسعة للكثير مما كانت تحول دونه في الأعمال الفنية. فغضت النظر وأتاحت لنفسها لقبول الكثير مما كانت لا تقبله. بل حتى للعرض على شاشة تلفزيون السوري.

الظاهرة الثانية العمل بحرفية عالية على»اللغة البصرية» توثيقاً وجمالية لأماكن التصوير؛ والإضاءة وتصحيح الألوان. وهذا الجانب الجمالي والفني؛ الذي لم يكن يولي أهمية أعطى هذه الأعمال جمالية؛ تلغي الكثير من التساؤلات الثانوية؛وتمنح التوثيق التاريخي مصداقية تغيب السؤال حول الدقة التوثيقية؛ وتمنح الوثيقة أبعادا فنية متعددة. ولابد هنا من الإشارة الى نقائص العمل بتأن أكبر في «البناء الصوتي» بالدرجة التي تمت على صعيد الصورة. مع التأكيد أن التوجه للموسيقى والغناء؛ والكشف عن عالم الحياة الموسيقية والغنائية في تاريخ دمشق؛ يفتح الباب لأعمال عديدة؛ بدلا من «الشوراب» وقراءة التاريخ من ذيله.

ختاما لابد من الإشارة أيضا؛ للأداء المتألق للممثلين؛ والتألق - الذي كاد أن يكون كبيرا- الجميل لسلوم حداد؛ بدقته وإتقانه «للكاراكتر». ولم ينغصني في ذلك الكسل والتعب في المشاهد الأخيرة الهامة؛ كما بدا واضحاً الإستعجال بتحقيقها.كمشهد اللقاء الأخير بين عزيزة وحمًيها). أما نسرين طافش المتألقة؛فكيف لها أن لا تقدم كل الأشكال المتعددة لطاقتها؛في دور العمر؛ الذي حط بين يديها فاحتضنته كمولود وكأم.

ولا بد من عدم تجاهل القيمة الكبيرة للأمكنة والديكور. والكثيرمن هذا ليس جديدا لحسان أبو عياش في جوقة عزيزة.

وليعذرني الكثيرون جدا بمن فيهم المخرج سيف السبيعي؛ والكاتب علي وجيه الذي أثبت من جديد وفاءه للواقع؛وإدراكه لمهمة الفن السينمائي كـ(ناقد) والتلفزيوني كـ (كاتب) يعيش ويعايش الحياة بتفاصيلها.

أما أصدقاء المهنة؛وهم كثر جدا؛ مخرجون وممثلون ومصورون؛ تدركون معي أني هنا في تعليق وليس دراسة؛ وجهودكم في القلب والتقدير.

المسرح البلدي :

من « غزوة السلفيّين» إلى « غزوة المِزوديّين»

أ.أنور الشعافي (مسرحي)

ما حدث من جدل حول قرار صائب لمدير المسرح البلدي برفض برمجة عرض لفنان شعبوي الذّائقة حِربائي النوع والذي يمسك بيده اليُمنى سِبحةً وبيده اليسرى آلة مزود يستدعي مرة أخرى ضرورة التصدي للوبي الرداءة المنتشرة بِدعْم من قنوات تلفزية تحترف تدمير الذوق العام عبر منشطين في أعلى درجات الجهل بتلميعهم للأشباه وفنّاني الصدفة وسقْط المتاع مما يدفع إلى وجوب إنشاء " هايكا ذوقية" تقف بالمرصاد لوباء الرداءة وعلى مستوى متوسط وبعيد لابد من خِطّة وطنية ترتقي بالذوق في كل المجالات تتعاضد فيها القطاعات المهتمة ببناء الإنسان مثل الثقافة والإعلام والتربية والشباب والرياضة والطفولة لأن جميعها مسؤول ومتورّط Complice في هذا الوضع المزري والتعلّم يبدأ من الصِّغر فرياض الأطفال تصنع الإبتذال بما تُسمعه لأطفالنا من أغاني وموسيقى الدرجة السفلى وتنشيط مسرحي مُستنسِخ لمنوال تجاري يكرّس نماذج مجتمعيّة متخلّفة كتفوّق الرجل على المرأة وكذلك الأمر في المؤسسات التعليمية وإذا كان ربّ القسم بالذوق هابطا فلا تلومنّ التلاميذ على التدنّي فوجب إذن مراجعة البرامج التعليمية ومحتوى التنشيط الثقافي داخل المؤسسات التربوية وكذلك الأمر في دور الشباب والجمعيات الرياضية حتى نبني إنسانا سويّ الذوق لينعكس ذلك على تصرفاته وتعاملاته مع محيطه...

وعودةً على حادثة الفنان الشعبوي فقد تابعنا دفاعا شرسا عنه من أحد المنشطين وهو " زعيم الرداءة" وزميمها وفي حقيقة الأمر هو يدافع عن نفسه لأن كليهما صدًى للآخر وهذا المنشط يجدر بالكاتب Alain Deneault أن يُخصّص له فصلا خاصا في كتابه " نظام التفاهة" La médiocratie لأنه يصلح كنموذج للنفايات الذوقية وهي أكثر تهديدا من النفايات الإيطالية التي أثارت جدلا واسعا في السنة الفارطة لأن تسميم العقول أخطر من تلويث البيئة فالمسألة لا تتمثل في مجرد الإعلاء من شأن أشباه فنانين بل في جعلهم نماذج يُحتذى بهم ونشر ثقافة الإستسهال لذلك يجب التصدّي لأمثاله لأن مكانهم الطبيعي هو مصب الفضلات وليس ستيديوهات التلفزات وحسنًا فعل الفنان زهير الرايس بقرار المنع حتى لا يُدنّس ركح المسرح الذي بناه الإيطاليون سنة 1902 ثم أُعيد بناؤه في 1911 وهو يمثل مرجعا معماريا وتاريخا فنيا ترسّخ خاصة عبر مسرحيات علي بن عياد عند إدارته لفرقة بلدية تونس وتقديمه لأعمال كلاسيكية مرجعية وجب حماية تاريخها من سقط المتاع الفني وداعميهم فآلة المزود إرتبطت عندنا بما عُرف بأدب السجون كتعبيرة فنية ساذجة للمُهمَّشين لا يمكن أن يحتويها مسرح عريق مثل المسرح البلدي وحتى إذا قارنّا هذه الآلة بمثيلتها آلة المزود الأسكتلندي ويُسمّى عندهم The Great Highland bagpipe لأنه أكبر حجما، لم نره يوما على ركح مسرح شكسبير بلندن The Globe de Shakespeare مثلا وهو يُماثل في مرجعيته وعراقته مسرحنا البلدي رغم أن هندسته تراثية مستوحاة من المسرح الإليزابيتي ولعلّ شكله الكروي Le Globe هو الذي إستوحى منه المهندس المعماري لمدينة الثقافة عندنا فكرة الكرة المنتصبة في أعلاها. لكل هذا على المنتسبين للمسرح النفيس الوقوف صفًّا واحدا ضد الغزو الذوقي الرديء لأن أصحابه وداعميهم لا يختلفون عن السّلفيين الذين إعتدوا على المسرحيين أمام المسرح البلدي نفسه في عيدهم سنة 2012 فجميعهم سلفيّو الفكر، رديئوا الذوق، يمارسون إرهابا مُدمِّرا للفن الراقي ولا يعرفون سوى الهدم والتدمير فلا "حوار" معهم تونسيا كان أم بِلغة أخري لأنّهم يمثّلون فسيفساء Mosaïque جامعة لكل ذوق وضيع و آسن.

الفيلسوف والمسرح

أ.حاتم تليلي المحمودي
(ناقد مسرحي)

أيّ دور يلعبه الفيلسوف في الحقل المسرحي؟ بلا ريب، إنّه ذلك الاعتراض العنيف والمتهكم ضدّ السائد، حيث إعادة تربية العقول بجعلها نقدية لا نفعية، بمعنى أن تكون عقولًا حرّة، تجد في جيل دولوز حديقة خصبة لابتكار المفاهيم ونحتها وإبداعها، هكذا يتخلّص المسرحيّ من عقم المعنى السّائد وعماء تأويل الواقع والعالم، وتجد في ابن باجة والمسكيني، على عكس أفلاطون، معنى أن تكون عقولًا نابتة. هكذا يصبح المسرحيّ أبعد من سراديب الفكر، وفوق عصره، ليس من منظور يقول بانزياحه عن القضايا الموجودة، بل من خلال استيعابه طاقة فذّة تخوّله جرّ عصره إلى حقبة جديدة، خارج نزاعات اللاإنساني.

ما بوسع الفلسفة أن تقدّمه للمسرحي الآن، هو أن تعلّمه كيف يتفطّن إلى وضاعة الوجود البشريّ القائم حاليًّا، وكيف يمكن أن يتخطّى ما عبّر عنه المسكيني بالقول إنّ "كلًّا منّا يسطّر للآخر حدّه الميتافيزيقيّ الفظيع، ويبني له بوّابة على الموت"، هكذا ينجو من سياسات القتل، ومن سرديّة النهايات، بوضع أعماله ضمن أفق إنساني وكونيّ يحاور المستحيل، بمعنى تأثيث البيت المستقبليّ للعالم، خارج نزعة العقل الوضعي ونزعة العقل السلفيّ الماضويّ، بوصفهما جعلا من إمكانية الحياة أمرًا يكاد يكون مستحيلًا، إن لم نقل مجرّد ثرثرة ميتافيزيقية، أمام حجم الكوارث التي تمرّ بها شعوبنا حاليّا بتعدّد بذور الحروب في تربة الإنسانيّة.

جريمة حرب انقليزية منسية في تونس :

مجزرة 11 مارس 1943 بهنشير الصفصافة

د. زهير بن يوسف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

نقطة مُعتمة في الذاكرة الوطنية تلك التي تخص ما أقدمت عليه القوات البريطانية من انتهاكات في حق أبناء الشعب التونسي بتهمة التعاون مع القوات النازية والنسيان الذي ران على ضحايا تلك الانتهاكات ولا سيما منهم من دفعوا حياتهم ضريبة لانتمائهم إلى هذا الوطن مثلما هو الحال بالنسبة إلى شهداء هنشير الصفصافة، الواقع حوالي 20 كلم شمال شرقي مدينة باجة، على الطريق الجهوية رقم 52: باجة نفزة باتجاه طبرقة، على مقربة من دار الضيافة بُرج للاّ حاليّا.

عبد الكريم بن يوسف، أبرز ضحايا جريمة الحرب

الطاهر بن يوسف، أحد ضحايا المجزرة

الطالب نور الدين بن يوسف، أحد ضحايا المجزرة

1 - مصادر الشهادة

وثّقنا هذه الشهادة بالأساس انطلاقا من الملاحظات الميدانية التي جمعناها من الموقع الذي كان مسرحا لهذه المجزرة وهو ضيعة هنشير الصفصافة ومقبرة المكان، ومن جملة الحوارات التي أجريناها مع عدد من المواطنين الذين عايشوا تلك الأحداث أو كانوا معنيين بها مباشرة وفي مقدمتهم الأستاذ بنعيسى بن يوسف المحامي (ت2003) نجل الشخصية الأولى التي استهدفتها المجزرة وظلّ اسمها في الذاكرة الجماعية مقترنا بها نعني الشهيد عبد الكريم بن يوسف (1901 – 1943) والسيد عبد الستار القسطلّي (1930 – 2008)، وهو من أبرز رموز الذاكرة الجمعيّة المحلّية بالجهة، والسيد حمادي بن عثمان بن يوسف(1924 – 2018) الذي كان واحدا من شهود العيان على هذه المجزرة الرهيبة.

2 - احتكاك بالمعمّرين

كان عبد الكريم بن يوسف واحدا من رموز الأرستقراطية المدينية المحلية (1)، وبحكم موقعه الاجتماعي كملاّك عقاري فضلا عن ثقافته التقليدية المحافظة كان مرشحا لعسر التلاؤم مع ظاهرة الاستيطان الزراعي التي كانت جهة باجة بسهولها الخصبة ومواردها الفلاحية الغنية واحدة من أبرز مراكز ثقلها بالبلاد، ولذلك فبقدر ما كانت يده مبذولة للحركة الوطنية كانت علاقاته مع سلطات الحماية وممثليها المحليين، على عكس بعض الوجاهات المحلية الأخرى، غير ودّية.

وكان مدار صراعه المضمر معها ذا واجهة مزدوجة اجتماعية واقتصادية زيادة على المضمون السياسي، من ذلك أنّه:

كان يقاطع المآدب التي دأب المقيم العام Peyrouton بيروطون (1933 – 1936)، (1940) على إقامتها ولا يشارك فيها،

ولا يولي أي اعتبار للمراقب المدني كليمون R.Clément،

ولا يعبأ بالقايد ممثل السلطة الأهلية،

بل إنه لم يتردد بتاريخ 6 جويلية 1942 في تقديم استقالته من المجلس البلدي، وقد كان مستشارا به عن الأهالي منذ 24 جوان 1937.

وبالتزامن مع ذلك اشتد الاحتكاك بينه وبين المعمرين انطلاقا من أواخر العشرينات لمّا ركّز نشاطه الفلاحي على:

– الوقوف في وجوههم بتشغيله للعمّال التونسيين الذين كانوا يتعرّضون لاضطهاد الأجانب،

– والإصرار على مزاحمة المعمّرين ومنافستهم في المزادات، وقد كانت أشهر نزاعاته العقارية مع لوباز Lopez وهو معمّر بوادي الزرقاء، ذلك النزاع الذي خسر فيه المعمّرون رهانهم ضدّه بعد أن نجح في إقامة دعوى ضد المعمّر المذكور على إثر ما أبداه من رغبة في التراجع عن إتمام إجراءات بيع ضيعته للفلاح التونسي بعد أن كان قد فوّت له فيها، مستغلا مناخ القمع الذي عمدت السلطات الاستعمارية إلى تسليطه على الشعب التونسي خلال حكم الماريشال بيتان Maréchal Pétain نتيجة لما عبّر عنه غالبا من ميول نحو قوات المحور على إثر انهزام فرنسا واجتياح القوات النازية لأراضيها، وتمكّن من كسب القضية ممّا زاد في تكثيف المشاعر العدائية نحوه.

3 - تحقيق حول المجزرة

تمثلت ملابسات المجزرة في الفترة التي تحولت فيها البلاد التونسية فجأة إلى ميدان مباشر للعمليات الحربية بين المحور والحلفاء بداية من نوفمبر 1942 وتحديدا حينما كان الجيش البريطاني الأول يتقدم باتجاه محاصرة جيوش الماريشال إرفين رومل Ervin Rommel على مستوى جبهة الشمال الغربي التونسي، وكانت أراضي عبد الكريم بن يوسف واقعة على طرفي الجبهة في مستوى عمادة بوحزام من معتمدية باجة الشمالية اليوم (المراقبة المدنية بباجة سابقا) وإحدى العمادات الراجعة بالنظر إلى المراقبة المدنية بماطر آنذاك: هنشير الصفصافة كان واقعا في آخر الواجهة لدى الأنقليز في حين كان هنشير القريّات واقعا في دائرة نفوذ الألمان أي في المناطق التي كانت قوات المحور وجيوش الحلفاء تتنازع السيطرة عليها.

وقد رفض عبد الكريم بن يوسف أن يترك أرضه أو يغادر مقرّ إقامته الريفي رغم إلحاح أهله الذين فضّلوا أن يستقر بهم المقام في منزل العائلة بالمدينة. وممّا شجّعه على المكوث حيث ينبغي أن يدير أعماله أنّ أربعة من أبناء عمومته كانوا يقيمون بمعيّة عائلاتهم في نفس المجال الجغرافي وعلى مسافات قليلة التباعد فرارا من الغارات التي استهدفت بعض المواقع بباجة المدينة نعني الحاج عبد الله بن يوسف (ت1950) وهو دستوري من مناضلي الرعيل الأول وأحد أبرز الأعضاء المؤسسين للجامعة الدستورية بالمكان في 18 أفريل 1934، وعبد الرحمان بن الصادق بن يوسف، والصغير بن الحاج منور بن يوسف والد المناضل رشيد بن يوسف الذي سيفقد في هذه المجزرة الرهيبة اثنين من أبنائه كما أنه سيفقد في اليوم الموالي لها حياته قهرا، وعثمان بن عبد الرحمان بن يوسف الذي سيفقد أيضا أحد أبنائه.

ولمّا كان كلّ من نور الدين بن يوسف وحمادي بن يوسف يدرسان بمعهد كارنو Lycée Carnot بالعاصمة، وقد منعتهما ظروف الحرب من الالتحاق بمقر إقامة عائلتيهما بهنشير القريّات، فقد أرسل لهما والدهما وكيله لاستقدامهما عبر ماطر بعد أن جهّزه بالخيل والرّجال وبعد أن تمّ إعلام المراقب المدني بباجة والحصول على موافقته بخصوص طريقة العبور من جبهة إلى أخرى.

وفي الأثناء كان الجيش البريطاني يرصد هذه التحركات عن بعد، على أنّ تراجعه عن المجال المذكور بسبب تقدّم قوات المحور على مستوى هنشير الشرشارة، وعودته إلى السيطرة الميدانية عليه من جديد، ترافق مع حضور ضابطين من الاستخبارات الألمانية إلى هنشير الصفصافة يوم الثلاثاء 10 مارس، وهو يوم السوق الأسبوعية بمدينة باجة، وطلبا طعاما لم يكن بإمكان العامل الذي صادفاه هناك وهو المسمّى ابن الصادق أن يرفضه لهما، وما إن تمّت معاينة العملية حتى كانت المكيدة قد استكملت آخر حلقاتها، هذه هي رواية الأستاذ بنعيسى بن يوسف.

وتذهب رواية أخرى أكّدها السيد عبد الستار القسطلّي (1930 – 2008)، وهو من أبرز رموز الذاكرة الجمعيّة المحلّية بالجهة، أنّ الذريعة كانت على ما تواتر وشاية أنهاها المسمى محمد البدوي إلى أسماع الخليفة بمركز العمل آنذاك المسمّى عبد العزيز الس... لتصل تباعا إلى كلّ من القايد محمد العجيمي (1938 – 1943) فالمراقب المدني

صور للقتلة المفترضين منفّذي مجزرة هنشير الصفصافة، الكتيبة الإيرلندية The Irish Brigade

روبار كليمون 1940 – 1943 Robert Clément، وصولا إلى الجنرال ألفراي أندرسون Alfrey Anderson قائد الجيش البريطاني الأول الذي اتخذ بتحريض من الفرنسيين قرارا عسكريا تعسفيا بإعدام كلّ من يكون حاضرا بموقع الحادثة المزعومة من الذكور رميا بالرصاص دونما تحقـيق ولا محاكمة.

4 - المجزرة: مكيدة مدبّرة أم وشاية كيدية؟

يوم الأربعاء 11 مارس 1943 على الساعة الثالثة بعد الزوال (15.00) كان 1500 جندي أنقليزي من الجيش البريطاني الأول الذي اشتهر بكرهه للأهالي وحقده عليهم وسلوكاته الاستفزازية نحوهم يحاصرون المكان حيث قاموا بتمشيط كل المباني بحثا عن وثائق وخرائط مزعومة لم يجدوا لها أثرا، ولمّا أعيتهم الحيلة بادروا بإيقاف كلّ من وجد بالضيعة من الذكور، وعلى شفا حفير كان قد أعدّ للغاية الاحتماء من الغارات الجوية تمّ تنفيذ الحكم الأعمى بالموت رميا بالرصاص في عشرة أشخاص(3)، تسعة منهم تونسيون وعاشرهم مغربي، هم كلّ من:

عبد الكريم بن محمد بن الحاج منوّر بن يوسف (42 عاما)، فلاّح.

محمد يدعى منوّر بن الصغير بن الحاج منوّر بن يوسف (30 عاما) ابن عم الأول.

الطاهر بن الصغيّر بن الحاج منوّر بن يوسف (25 عاما) شقيق السابق.

نور الدين بن عثمـان بن عبد الرحمان بن يوسف (17 عاما)، تلميذ بالليسي كارنو.

محمد الكوشادي، رئيس العَمَلة.

منور بن الصغير الجعيدي، عامل.

فرحات بن الصغير الجعيدي، عامل، شقيق الأول.

حميدة بن منصور، عامل.

حامد بن مبروك بن أحمد الطبوبي، عامل.

حارس ليلي مغربي يدعى المرّوكي لم نتمكّن من ضبط هويته.

وجالت أيادي الجنود في الضيعتين نهبا وإتلافا وحرقا، ولم ينسحبوا إلا بعد أن أصرّوا على ترك الشهداء العشرة في العراء لمدّة يومين بلياليهما، وتهديد كلّ من تسوّل له نفسه مواراة جثمان أي واحد منهم الثرى.

وقد تأكد لنا في غضون سنة 2018 على إثر حضور فريق من الإعلاميين والأكاديميين الإيرلنديين للوقوف على طبيعة التجاوزات التي ارتكبتها القوات البريطانية التي كان يقودها الجنرال أندرسون، وهو حضور يعد في حد ذاته اعترافا بوقوع تلك التجاوزات، بتقاطع القرائن ومكافحة المؤيدات، أن الكتيبة التي ارتكبت المجزرة، كانت كتيبة إيرلندية، هي الكتيبة المعروفة باسم The Irish Brigade وهذا مهم في سبيل الوصول إلى كشف الحقيقة.

في صبيحة يوم الخميس 12 مارس أسلم الصغير بن الحاج منور بن يوسف الروح قهرا بعد أن كان قد فقد ابنين له في اليوم السابق ليرتفع بذلك عدد ضحايا المجزرة إلى أحد عشر شخصا.

وظلت زوجته السيّدة خديجة بنت عبد الرحمان بن يوسف تواجه هذه النكبة بمفردها ثمانية وأربعين(48) ساعة بصبر وتجلّد يعجز عنهما حتى أشجع الرجال، فقدت دفعة واحدة وفي لحظة واحدة اثنين من أبنائها فضلا عن ابن أخيها وابن عمها، ثم ثكلت زوجها، وظلت وحدها بين إحدى عشرة (11) جثة.

كاتب المقال في حوار مع الوفد الإعلامي الإيرلندي حول مجزرة هنشير الصفصافة

ولم تنج الضيعـات الموجودة في الجوار من الانتهاكات إذ تمّ تمشيطها بالكامل وصدرت الأوامر باقتياد كلّ نزلائها من النساء والرجال والأطفال مشيا على الأقدام لعرضهم على مركز الفرز بمقرّ المراقبة المدنية بباجة. ولم يسلم من هذه الإجراءات المهينة والحاطّة بالكرامة حتّى قاضي البلد محمد الأمين السعيد (ت 1946) نفسه.

فهل كانت هذه الانتهاكات التي ارتكبتها القوات البريطانية مختلفة عن تلك التي كان الجيش النازي قد مارسها في أوكرانيا أو في أورادور بفرنسا؟

5 - ناج من المجزرة!

لم ينج من موت كان محققا إلا رشيد بن يوسف (1921-1976) الذي سيكون واحدا من أبرز رموز قيادات الحركة الوطنية على المستويين الجهوي والإقليمي(5)، ذلك أنّه تحوّل يوم الواقعة إلى ضيعة والده الشيخ الصغير بن يوسف، وقد كان خالي الذهن من المجزرة التي ستحلّ بها، ولكن حال وصوله إلى الموضع المسمى عين بلد حاصره الانتشار الأنقليزي ممّا اضطره إلى أن يقفل راجعا إلى مقر سكنى العائلة بباجة- المدينة ولولا الحاجز العسكري الذي حال اعتباطا دونه والعبور إلى حيث أراد أن يمضي لكان حتما في عداد الموتى.

6 - حفظ الذاكرة وإعادة الاعتبار وطنيا ودوليا

هذه عيّنة من سيرة شهداء الوطن المنسيين وضحايا انتهاكات القوى الاستعمارية. ولعل الواجب الوطني الأدنى إزاء ما قدموه يتمثل في:

إعادة الاعتبار لهم بإدراج أسمائهم في السجل الوطني لشهداء الوطن.

وأن تنقش أسماؤهم في ذاكرة الأجيال بحروف من ذهب إجلالا واعتبارا.

وأن تقام لهم مسلّات تذكارية على غرار تلك تنتصب بقصر مزوار تخليدا لمعركة 1 مارس 1943 التي أوقفت فيها جيوش الحلفاء النازيين و«أنقذت» باجة، وفقا لما يقول نصها، وتلك التي تنتصب بسيدي نسير، قرب تاهنت، على طريق ماطر، تخليدا لدحر الفرنسيين الهجوم الألماني الأول في 21 نوفمبر 1942.

وأن يتم إدراج موضع المجزرة أي هنشير الصفصافة ضمن أماكن الذاكرة، كشفا للحقيقة وحفظا للذاكرة وإعادة اعتبار لضحايا هذه الانتهاكات، وأحسب أنّ ذلك ممكن بالنفاذ المعمّق إلى الأرشيف العسكري البريطاني والأرشيف السري الفرنسي.

دفع بريطانيا إلى الكشف عن هذه الجريمة والاعتراف بها وبمثيلاتها وإعادة الاعتبار لضحايا هذه الانتهاكات بالاعتذار عنها باعتبار أن ما ينطبق عليها ينطبق على جرائم الحرب بامتياز، وما ارتكبته الكتيبة المعروفة باسم The Irish Brigade التي كانت ترجع بالنظر إلى القوات البريطانية جريمة حرب.

الهوامش:

(1 Pellissier(P): Description de la régence de Tunis, p. 32-34, 229-231

2) تحتفظ الذاكرة الجمعية المحلية بالمقابل بملزومات من الشعر الملحـون تشنّع بمن "تعاون" أو تخاذل.. باجة بلاد الـ.. حين،
عام اللي جاء بيرطون المقيم،
محمد (الشّ،،،ي) خطب خطبة ما تسواشي،
خذا نيشان بلاشي،
يجري ويتلفت وراه ...

3) أشار سعيد المستيري في كتابه Moncef Bey المنصف باي ج1، ص191 أنّ الشهداء كانوا 14 جميعهم من عائلة ابن يوسف، وهذا غير دقيق، وذكر الحبيب المنكّبي في كتابه «ذاكرة مناضل» ص 19 أنّ الضحايا كانوا 13، وهذا أيضا غير دقيق، والأضبط هو ما ذكرنا.

4) أفادني السيد حمادي بن عثمان بن يوسف، وهو أحد شهود هذه المجزرة الرهيبة أنّ القدر وحده هو الذي قاد شقيقه الشهيد نور الدين بن يوسف إلى حيث لقي حتفه. فقد كان مقيما بضيعة البرج حيث مقر سكنى والديه، على بعد كيلومتر واحد من هنشير الصفصافة الذي سيكون مسرحا لهذه الجريمة إلا أنه كان يصر على التنقل يوميا من البرج إلى الصفصافة تشده إلى ذلك شدة تعلقه بعمه عبد الكريم بن يوسف.

وفي يوم 11 مارس 1943 المشؤوم بالذات أشار عليه والده بأن لا يتحول إلى الصفصافة نظرا إلى ظروف الحرب. غير أنه، وفي غفلة من الجميع التحق بهنشير العم .

لما رأى عمه عبد الكريم وقد سيق إلى حيث سيعدم رميا بالرصاص، لم يتمالك الفتى نفسه، تشبث به، تعلق بثيابه، وهو يبكي، طلب منه العم أن يبتعد، طالبه عمه الطاهر أيضا أن يبتعد، وعمه محمد يدعى منور كذلك. القوات العنصرية الحاقدة لم تستوعب الموقف، مات فيها الحس الإنساني، الجنود يهددون والشاب يصر على أن لا يسلم عمه للموت، إلى ان انطلق الرصاص الغادر ليردي الجميع.

5) علي البلهوان، تونس الثائرة، ط1. تونس،1957، ص48، الحبيب المنكبي، ذاكرة مناضل، ط1، تونس، 2003، ص ص 64،93.

أسهم رشيد بن يوسف بدور متقدم في الكفاح المسلح وكان مقر سكناه مركزا لإيواء المقاتلين ومداواة الجرحى منهم، أوقف مرارا من قبل سلطات الحماية وتعرض محل سكناه للمداهمات تكرارا كما سجن مرّات من ذلك حادثة 20 أوت 1952 عندما دخلت قوات الاحتلال بيته وبيت اثنين آخرين من قادة جامعة الحزب هما علي الزلاوي (1915 – 2000) ومصطفى خلفـة (1917 – 2001) وألقت القبض عليهم جميعا بعد أن دسّت في منازلهم الأسلحة والذخيرة وتمّ في نفس الوقت إيقاف عبد العزيز البحري (ت 1993) الأمين العام لنقابة المزارعين المنتجين، انتدب رشيد بن يوسف في مطلع الاستقلال معتمدا بالمكنين ثم عّين مندوبا عاما للحزب بالكاف، استقال احتجاجا ورفض وساما.

(6) بتاريخ 15 مارس 2018 استقبلت فريقا إعلاميا وأكاديميا إيرلنديا جاء بمهمة التقاط شهادات حول التجاوزات التي ارتكبتها قوات المحور وقوات الحلفاء في حق المدنيين العزل خلال الحرب العالمية الثانية في أنحاء مختلفة من البلاد التونسية وتمحورت محادثتي معهم، وقد تم توثيقها بالصوت والصورة، لمدة ساعتين، حول إحدى كبريات جرائم الحرب المسكوت عنها في تاريخ الحرب وهي مجزرة هنشير الصفصافة التي ارتكبتها القوات البريطانية في حق 10 مدنيين من الأهالي بدم بارد ودونما تحقيق اومحاكمة وكان مؤدى الحوار التأكيد فقط على كشف الحقيقة وحفظ الذاكرة وإعادة الاعتبار المعنوي لضحايا هذه الانتهاكات، وأحسب أن ذلك ممكن بالنفاذ المعمق إلى الأرشيف العسكري البريطاني والأرشيف السري الفرنسي، وآمل أن أكون قد وفيت الضحايا حقهم.

رواية «صفصاف»، لريم بن زيد، حول مجزرة هنشير الصفصافة

فنون تشكيلية

تجلّيات الإبداع في الذّكرى العاشرة لوفاة الفنّان يوسف الرّقيق

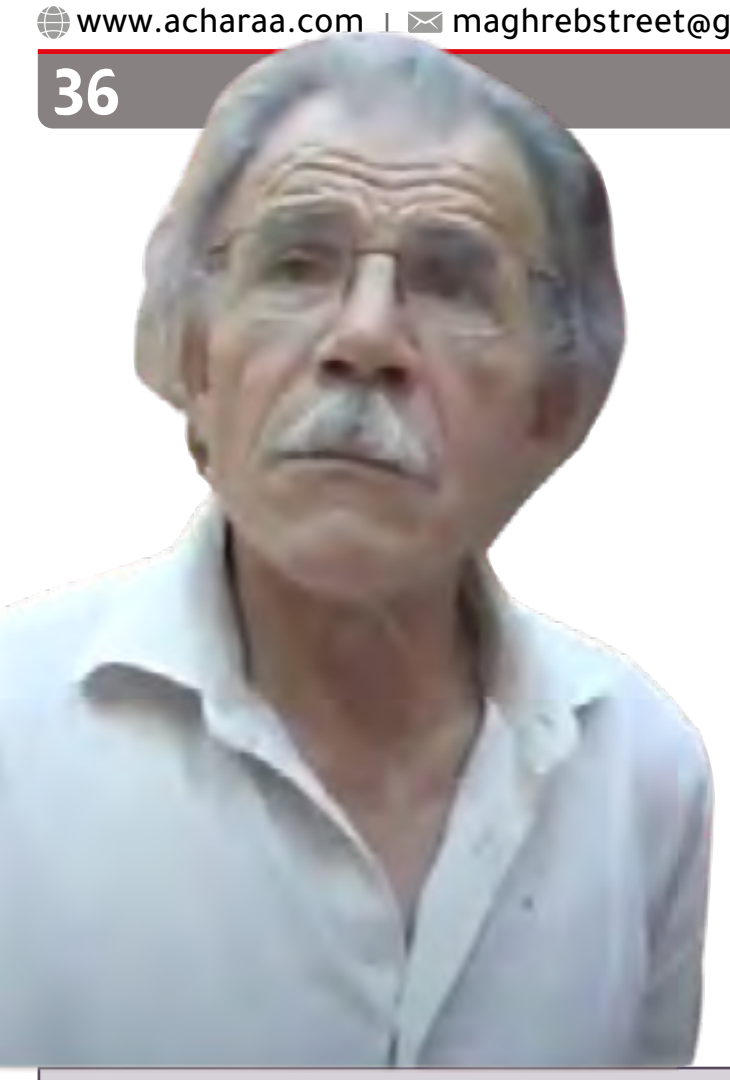

د. محمّد الرّقيق

كيف يمكن الحديث عن مدينة المحرس إذا لم يكن ثمّة توافق عامّ على تأصّل الثّقافة التّشكيليّة بها. لقد أصبح هذا المفهوم علامة معرفيّة وبصريّة ثابتة في تاريخ المدينة منذ أكثر من ثلاثة عقود، كما يؤكّد على قيمة الثّقافة كسلوك اجتماعيّ لدى المبدعين المؤمنين بالخلق والتّجديد. هذا ما دأب عليه مبدعو هذه المدينة في شتّى المجالات، وفي ذلك تأكيد على مدى وعيهم بالفكر الحداثي وثقافة الانتماء.

قد تبدو هذه التأكيدات بديهيّة، لكنّ تثبيت الضّوء على موضوع الفنون التّشكيلية بمدينة المحرس يُحيلنا مباشرة على القيمة المعرفيّة والرّمزية لبعض المبدعين المؤسّسين الّذين خلّدوا أسماءهم في تاريخ الفنّ التّونسي، بإيمانهم أنّ الفكرة المركزيّة الّتي تفرض نفسها تتمثّل في تذويب الثّقافة صلب المجتمع باعتبارها جزءا لا يتجزّأ من حياة الأفراد ونشاطاتهم اليوميّة. وهذا ما أقرّ به الفنّان يوسف الرّقيق في كلّ حوار يجريه حول سبب استمرار مهرجان الفنون التّشكيليّة بالمحرس، رغم الصعوبات والعراقيل الّتي تعترضه منذ تأسيسه سنة 1988 إلى اليوم.

نَشهد هكذا على قيمة معياريّة مضيئة في فكر هذا الرّجل الّذي اقترن اسمه بمهرجان الفنون التّشكيلية بالمحرس، فرغم مرور عشر سنوات على رحيله، ها نحن نحتفي بذكرى وفاته ونستحضر في كلّ وقت وحين نوادره وتلقائيته وأفكاره الحالمة. هكذا كان يوسف الرّقيق، تلقائيّا، يرتجل أفكاره وهو رجل المسرح المتمرّس، والمؤمن بقيمة الإنسان وقدرته على التّغيير والتـأسيس. لقد حدث ذلك فعليّا منذ سنة 1987، عندما روّج لأفكاره في الوسط الثّقافي، داعيا لأهمّية هذا المشروع وسماته المثاليّة، وهو الّذي يحسن الجمع بين المثقّفين ويدفع نحو التّواصل الإيجابيّ من أجل التّأسيس. لقد رحل يوسف الرّقيق تاركا وراءه رصيدا معرفيّا هاما وقيمة ثقافيّة تشكيليّة يلتقي من حولها مبدعون من كلّ أنحاء العالم.

لقد كان إصراره على استمرار هذا النّموذج الفنّي واضحا، فكان المجال مفتوحا أمامه حتّى تنصهر تجلّيات الإبداع في ثقافة الأفراد بالجهة وتمتدّ إلى ما هو أبعد، بقوّة الفعل والإيمان بالفكرة الرّائدة. كلّ ذلك جعله يتعلّق بأفكاره ورؤاه إلى أن إلتقت من حوله أفكار النّخبة من فنّانين وباحثين ونقّاد... من العالم ونشأ المشروع في ظلّ التّشاركية، بحثا عن القيمة الكامنة في ذوات المبدعين. لطالما نزعت نفسه نحو الأجمل والأرقى، بالجدّية في العمل دون إعياء أو كلل، ممّا دفعه إل مواصلة المشوار رفقة ثلّة من الأصدقاء من مدينة المحرس وخارجها، فإذا به يراهن على تجارب الشّباب دون إقصاء، بإتاحة الفرصة للعصاميين والمحترفين من الفنّانين على حدّ السّواء.

لقد برّر يوسف الرّقيق مواقفه حول هذا الموضوع، بأنّ الإتقان المثاليّ في الممارسة الفنّية جوهره الذّات المبدعة التّائقة إلى الأفضل، عن طريق التّجديد في الأفكار وليس الخضوع إلى النّموذج الثّقافي التّقليدي المقيّد بالقوالب الجاهزة والإكراهات الّتي لا تتماشى ومتطلّبات الواقع. فعلى الرّغم من قلّة الموارد الماليّة والأزمات الّتي تمرّ بها الإدارة الثّقافيّة بالبلاد التّونسيّة، تمكّن يوسف الرّقيق من ترسيخ ثقافة تشكيليّة في بيئة جرداء، انتظرها وهي تنمو شيئا فشيئا بالصّبر والمثابرة والإيمان والدّفع نحو الأفضل. كانت أسلحته أفكاره الرّائدة الّتي ورثها من بعده أجيال من المؤسّسين داخل الهيئة التّسييريّة للمهرجان، الّذين راهنوا بدورهم على نفس المنهج والأفكار الّتي أتى بها الفنّان المؤسّس «يوسف الرّقيق». ورغم أنّ الأقدار شاءت أن يرحل هذا الرّجل إلى مصاف الخالدين وهو الّذي وصل إلى ما وصل إليه من شهرة وقيمة في الوسط الفنّي، فإنّ سيرورة النّشاط التّشكيلي داخل المهرجان، لا تزال دائمة بدوام الأفكار البنّاءة والتّوافق بين القدرة على التّنظيم الإداري والثّقافة الإبداعيّة الهادفة.

ولد يوسف الرقيق : سنة 1940 وتوفي 13 ماي 2012، (72 سنة).
- هو فنان تشكيلي وممثل تونسي، ولد ببلدة المحرس (ولاية صفاقس). يعد من أبرز الرسامين على الزجاج وهو مؤسس المهرجان الدولي للفنون التشكيلية بالمحرس سنة 1988.
- في أواخر الثمانينات أسسّ الرقيق في مدينته المحرس مهرجانا دوليا للفنون التشكيلية حقّق سمعة عالمية، وكان الرقيق هو روح هذا المهرجان الذي أصبحت له تقاليده وموقعه في الحركة الفنية. واستطاع الرقيق أن يغيّر وجه هذه المدينة الصغيرة على البحر رغم أنّها تفتقر الى شاطئ صالح للسباحة، إلاّ أنّ عبقرية الرقيق جعلته ينجح في أن يجعل من مدينة المحرس قبلة في الصيف لنوع جديد من السياحة.
- كان الرقيق مؤمنا بتونس وبروحها المنفتحة على العالم وكان زاهدا في المناصب محبا للحياة، نجح في نسج علاقات واسعة مع فنانين ومنظمات ثقافية في الشّرق والغرب.

صورة تتحدّث

باب سيدي عبد السلام

هو أحد أبواب المدينة العتيقة بتونس العاصمة. بني في عهد باي تونس حمودة باشا على السور الغربي للمدينة العتيقة. ويحمل اسم الولي الصالح سيدي عبد السلام الأسمر (1475 - 1573).

كانت توجد خارج الباب فسقية باب سيدي عبد السلام تجمع بها المياه لسقاية أهل الحاضرة ويحتل مكانها اليوم السوق و المستودع البلديين ولا يزال حائط هذه الفسقية موجودا وهو الذي يفصل المستودع البلدي من المعهد العالي للفنون الجميلة.سبيل سيدي عبد السلام هو سبيل أو حنفية ماء عمومية.

وداخل السور يوجد سبيل سيدي عبد السلام هو سبيل أو حنفية ماء عمومية. توجد هذه الحنفية ضمن بناء صغير تعلوه قبة. وقد بني هذا السبيل في بداية القرن التاسع عشر في فترة حكم الوزير يوسف صاحب الطابع. أصبح معلما مسجلا بمقتضى أمر مؤرخ في 3 مارس 1915. وتم ترميمه بين 1978 و 1980.

عن تونس المدينة

الفنانة التشكيلية غادة بوزقندة الكشو
في تجربة جديدة يمتزج فيها الفن بالحياة :

المدينة العتيقة بصفاقس خزانة جمال تدمع لها العين

جماليات الأمس في واقع ينشد التغيير

حاورها : د. رضا القلاّل

معرض الفنانة غادة بوزقندة الكشو بالمركز الثقافي فندق الحدادين بصفاقس (1). المعرض جاء تحت يافطة للدعاية والاعلام وليس الإعلان موسومة «داخل الموقع (In situ) وخارج الموقع (Ex situ)»(2).

وبالعودة الى بطاقة تقديم المعرض، نقرأ: «يجمع هذا المعرض الشخصي بين فضاءين، الفضاء الداخلي وهو حيز سوق الحدادين، والفضاء الخارجي ويتسع لمجال المدينة العتيقة». ويجمع المعرض بين تقنيات فنية متنوعة تجسدت، من ناحية في 21 لوحة فوتوغرافية آسرة معروضة على حوامل مختلفة، و3 أفلام فيديو رائقة توثق «التنصيبات» الفنية من ناحية أخرى. وشكلت تركيبة هذه المعدات المنقولة، بالمركز الثقافي فندق الحدادين مسلكا فنيا ديناميكيا لافتا، وفسحة رائقة لعناق فني تشكيلي خصب مع ذاكرة المدينة وأهلها.

ويهدف المعرض الى:

توثيق الهوية المعمارية لمدينة صفاقس العتيقة التي تحمل قيمة حضارية مميزة.

إلقاء الضوء على الواقع البيئي المرير للمدينة التاريخية ورصد أحوال أهلها ورودها.

إطلاق مبادرة توعوية تطمح الى تثمين التراث بنوعيه المادي واللامادي أو غير المادي عموما والحرفي على وجه الخصوص.

وعندما أردت أن أكوّن فكرة عن هذا المعرض قبل زيارته، لم أتوان عن قراءة التقديم للفعالية الثقافية الفنية، ومقال د. خليل قويعة(3) ومقدمة كتيبها الفني بخصوص معرضها الفردي في فرنسا سنة 2019 بقلم الأستاذ الجامعي والفنان التشكيلي الفرنسي ايفان تولوز(4) وتبين لي أن المعرض» تجربة تعبيرية جديدة ومختلفة، وفن يطمح أن يتواصل مع الواقع ويعالج قضايا الناس وهمومهم ويتحاور معهم». وهذا ما أكدته لي الفنانة غادة بوزقندة الكشو بمناسبة اللقاء الذي جمعني بها.

من هي غادة بوزقندة الكشو؟

هي خريجة المعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس سنة 2008، حاصلة على الاستاذية في الفنون التشكيلية في اختصاص الرسم، بملاحظة حسن، والأولى في دفعتها على مستوى المعهد. تناولت في مذكرة بحث الماجستير في الفنون التشكيلية موضوعا على غاية من الأهمية اتصل بـ«الأغراض اليومية في فن الهناء: مقاربة تشكيلية لأعمال كلود لوفيك(5) ولوريس سكشيني(6)» حدث ذلك سنة 2011 ونالت من أجله ملاحظة حسن جدا. وبتاريخ 29 نوفمبر 2019 ناقشت أطروحة الدكتوراه حول «التنصيبة الفنية في الفضاء العمومي، تجربة شخصية في الفن السياقي» وحصلت بذلك على درجة الدكتوراه في الفنون والوسائط (Art et Médiation) اختصاص فنون تشكيلية. والبحث يحتوي على جانب نظري وآخر تجريبي ابداعي. والمعرض ينقل هذه التجربة الميدانية التي امتدت في الزمن مثل خيط مشدود على 10 سنوات داخل أسوار مدينة صفاقس بأزقتها وأنهجها وساحاتها وسباطاتها (7). وفي رصيد غادة مقالات علمية عديدة في مجلات محكمة في علاقة بالفن والعلوم والتطور التكنولوجي، وبهذا الصدد تذكر: «بيتاغور ودفنشي لو لم يكونا من العلماء لما أضافا شيئا للفن، والفن ذاته لا يمكن أن يضيف شيئا للعالم، إن لم تكن هناك علاقة جدلية وتواصلية بين الفن والعلم».

أما رسم «البورتريه» الصورة الشخصية أو «الشخيصة»- كما ترجمها د. خليل قويعة- عند غادة بوزقندة الكشو فهو كما ورد على لسانها «بمثابة خزان تعبيري يجري في عروقي وحاضنة ثقافية لهوية المجتمع تحفر وتحفظ ملامحا تحكي وتروي وتحاكي أثر كل سيرة شخصية أرسمها».

أنت تعتبرين نفسك باحثة مختصة في الفن السياقي، ما هو معنى هذا الفن بالنسبة لك؟

الفن السياقي برأيي التزام فني، يفترض أولا التزام الانسان بالخروج من وظائف الورشة، والالتحاق بالفضاء الميداني الحقيقي للمدينة بأنهجها وساحاتها، والالتزام الثاني هو مباشرة الواقع مع الاخرين للتعبير عن قضاياهم فيما يهم حياتهم المدنية (اجتماعيا واقتصاديا وبيئيا). والفنان التشكيلي المشتغل في حقول الفن السياقي يملك عديد الطرق للتعبير عن ذلك، على غرار التنصيبة الفنية العرضية وفن الموقع وفن الأداء حيث تُقدم عروض فرجوية/تشكيلية. وقد اخترت من جملة التعابير «التنصيبة الفنية العرضية « التي لا تكتمل قراءتها إلا بثلاثة تفاعلات: التفاعل الشخصي مع المكان، التفاعل بين عناصر التنصيبة والمكان، والتفاعل بين «الناس» والتنصيبة. ورهان هذا الفن هو التواصل المباشر مع الواقع، أي أن يتحول هذا الفن إلى نشاط اجتماعي لا ينفصل عن الأنشطة الأخرى. ومعناه أن يأتيك الفن ولا تذهب إليه. فالفن هنا لا يتطلب اقتناء تذكرة دخول. فهو ليس بابا مغلقا على معرض بغاليري (galerie) بل هو واقعك، حيث تكون اعمال الفنان مرآة عاكسة لتفاصيل مدينتك...

يشتمل معرضك على «قاموس» من المصطلحات والمفاهيم مثل «الستار الفوتوغرافي» و«التملك» و«التنصيبة الفوتوغرافية» «المطية التشكيلية» ومرة أخرى «السياق الوضعي) ... فهمها قد يساعد على التفاعل مع مختلف أروقة هذا المعرض، وتبيان اغراضه ومحتوياته، أليس كذلك؟

لو اخذنا صور صناديق البريد مثلا (انظر الصورة عدد1)، هي في الأصل صور فوتوغرافية مطبوعة على ورق، تأمّلت قراءتها وبحثت عن التفاعل الشخصي مع المكان فحولتها الى عنصر تشكيلي وبذلك لم تعد الصورة فوتوغرافية، ولكن

1 - فندق ج.فنادق . أصلا الخان ويتكون من مدخل (سقيفة) وصحن سماوي حوله رواق تفتح عليه مخازن للبضاعة، وطابق علوي به غرف للإقامة ، وللفندق مسجد صغير وميضاة وبيت راحة. كانت لصفاقس عدة فنادق في حومة تعرف بهم تمتد من باب الجبلي الى رحبة النعمة بنهج الباي. وبقي لنا منها فندق الحدادين وهو قرب باب الجبلي بنهج الحدادين. رمم وتحول الى مركز ثقافي

2 - وفي قاموس الأركيولوجيين نتحدث هنا عن(Intra muros) أي داخل السور، و(Exra muros) ومعناه طبعا خارج السور.

3 - مقال صدر بجريدة الشارع المغاربي، بتاريخ 18 جويلية 2022 تحت عنوان: معرض الفنانة غادة بوزقندة. جولة حارقة بين أوجاع المدينة وصيحة فزع من أجل المستقبل.

4 - «لقاء» بمناسبة المعرض الشخصي الفردي بمدينة ران – واجهة تواصل – باريس 01 أكتوبر 2019 – ايفان تولوز

5 - كلود لوفيك: فنان تشكيلي فرنسي من مواليد 1953اهتم في عمله الفني بالغور في صميم الواقع المعيشي، واستوحى رؤية تشكيلية يراوح فيها بين بضاعة الاستعمالات اليومية والولوج داخل المناطق السكنية بغية تحويلها عن مساراتها الاعتيادية، ولتغدو تجربته رحلة متواصلة بين ثنايا ذاكرة موصولة بالحياة اليومية، ولتمثل أعماله شريانا ينبض من قلب المجتمع ويسري في تفاصيله الدقيقة. هكذا نفهم أن المحرك الأساسي لأعمال هذا الفنان هو اليومي والأشياء التي تؤثثه هي مصدر إلهامه، وأن أعماله هي بمثابة انغماس كلي في المجتمع الذي ينتمي إليه.

6 - لوريس سكشيني: فنان تشكيلي إيطالي من مواليد 1969 شرَع «لوريس سكشيني» Loris Cecchini لتعبير فني يلغي فيه أي شكل من أشكال القطيعة عن الواقع، ليلتصق باليومي ويرسي فيه عمله و يتخذ أشياءه كعنصر أساسي في بناء عمله الفني ككل. أراد الفنان أن يخلق عالما موازيا للطبيعي يقتفي فيه كل تفاصيله من خلال قولبة لأغراضه وإعادة خلقها في تصميم يحاكي الأصل شكليا ويخالفه ماديا، إذ يتعمد صنعها من مواد رخوة ومرنة كالبلاستيك والصمغ والسليلوز«cellulose» والراتنج «résine».

7 - سبط ج. سبطّات الساباط. وكما في الفصيح: سقيفة بين دارين تحتها طريق وعلوّها امتداد لآحد المنازل. وبمدينة صفاقس عدّة سباطات منها سبط «الرّومي» طبيب إيطالي أسكنه القايد في المدينة العتيقة قبل الاحتلال الفرنسي وسبط «غاليا « وهو طبيب أيضا وسكن المدينة العتيقة في فترة الاحتلال (1881-1956)

غادة بوزقندة، سيناريو، صورة فوتوغرافية، المركز الثقافي سوق الحدادين، صفاقس، 2022

ستارا فوتوغرافيا (ورقيا أو بلاستيكيا أو قماشيا). والستار الفوتوغرافي معناه أن أنطلق من الواقع وأن أخرج للشارع وأتملك عناصر معمارية وأشياء يومية: بابا في نهج، جدارا، صندوق بريد ...وأحولها إلى مفردات تشكيلية. صناديق البريد أصبحت لها دلالات لسانية، واستبطنت لها ثلاثة أزمنة: زمن الماضي (الرسالة التي كانت ترسل بالبريد)، اللحظة التاريخية الآنية (الارساليات اللامتناهية في عصر البريد الالكتروني) والماضي السحيق (الحمام الزاجل حامل للرسالات القديمة المخترقة للجغرافيا). وهذا هو السياق الوضعي أو الوضع السياقي الذي فجر العمل الفني.

صورة الجد /الأب والابن (انظر الصورة عدد2): هذا الطفل في الصورة كأنه يتوارث مهنة والده أو جده ربما ولكن في الحقيقة هي مجرد صورة ورقية /كارتونية ألصقتها على الجدار حذو دكان والده المزعوم (الدهليز بباب الغربي) (ملئ الفراغ بالستار الفوتوغرافي). هنا تكمن مفارقة بين واقع فيه ايهام بصري أو خيال وكأنه توارث لمهنة «الصبابطية» (8) عبر الأجيال وواقع يشدد على اندثار توارث هذه المهنة التقليدية. قراءة هذه الصورة كانت إذا في الموقع (In situ) والعمل الفني أيضا لا تتم قراءته إلا في الموقع، وإلا لا نرى في ذلك غير تكريس لخيانة المكان.

وما هو المقصود «بالمطية التشكيلية»، و«التملك» في قاموسك الفني؟

بخصوص المطيّة التشكيلية، فأنا استعمل ما هو موجود في المدينة العتيقة، لا أزوّق، بل أقدم الواقع وحقيقته كما هو بدون تنميق أو فوتوشوب (الصورة المفبركة). وأحرص على أن يبقى هذا الواقع كما هو لكي يراه الجميع ويعرف الحقيقة المرة التي نعيشها في المدينة العتيقة. الموقع، لا أضيف له شيئا... والمطية التشكيلية (الحامل او support) من رحمه...ألعب على ثنائيات الضوء والظل أو تضاد الواضح/المظلم وكذلك ثنائية القرب والبعد وثنائية الخفي والظاهر (صورة عدد3). والحصيلة أنني أنشأ تفاعلا بين الفضاء الحقيقي والعنصر التشكيلي في الموقع. هذه هي «اللعبة- المغامرة» في نهاية الأمر.

من ناحية أخرى هناك عنصر هام ينبني عليه الفن السياقي وهو «التملّك المباشر للواقع ولأغراضه» أي تملّك فضاء المدينة (L'appropriation) فالتملك سلاحي، وبدونه لا أستطيع أن أنشأ عملي التنصيبي، ومن أهم مقومات التملك: الالتزام باختيار الجاهز، والمباشرة التعبيرية من خلال إلغاء المسافة الفاصلة بين المتقبل والعمل الفني، والتخلي عن وساطة التمثيل (représentation) والفورية التعبيرية التي تتطلب التخلي عن الميتافيزيقي والاهتمام بالفيزيقي، وباختيار أي عنصر موجود في المدينة العتيقة لأحوله إلى مفردة تشكيلية، فقد سعيت إلى تملك المدينة بطريقة شخصية تتمثل في التغطية بالستار الفوتوغرافي. تهدف مقومات التملك التي اخترتها الى الوصول المباشر إلى المتلقي من أجل التعبير عن الواقع بأدوات الواقع، فقد سعيت إلى خوض تجربة مشبعة بالروح المفاهيمية والجمالية لهذا الصرح المعماري الذي يحتضن طاقات تعبيرية تستلهم من الواقع مقاييسها الأولية وتحول كل التفاعلات والعلاقات إلى جمالية. تلك هي بعض الاحتمالات الجمالية، على سبيل الذكر لا الحصر، التي سعيت إلى استدراجها.

انتقلت بنا في هذا المعرض عبر الزمان والمكان، ونظام الأروقة هو اختيارك في تقديمه، أليس الأمر كذلك؟

الرواق 1 «الصورة أفضل من ألف كلمة» كما تقول الحكمة الصينية، فقد بيّن ونقل كيف تم إغراق المدينة العتيقة بالنفايات. وهذه اقصى درجات الإهمال والتهميش والعبث بكنز تاريخي يئن بالتصدعات والمباني المخربة والأبواب المهشمة. اما الرواق 2، فننتقل من واقع «مديني» مرير إلى خيال أرحب. أموال طائلة «على ذمة» المدينة، أعلقها على جدرانها حلما وأملا في ترميم هذا الكنز وفي الحفاظ على معالمه ودرره، إنه تعبير عن هذا التحول من المغلق إلى المفتوح. وكلمة «في الخدمة» (En service) -عنوان هذا الرواق- أعطي بها دلالة لسانية. فدلالة الطمس والفتح هنا نقد لاذع للبنوك التي لم نرى لها اثرا لإنقاذ التراث والمدن التاريخية على غرار تجربة اليونان ومكناس المغربية وغيرها.

وبالنسبة للرواق 3، فهو مفارقة قد لا تخطر على بال، اذ يصدمك سور محروق فيصيبك بالحزن: السور الذي سخر له الأهالي تاريخيا الغالي والنفيس... السور الذي يكاد يحتل مرتبة المقدس في أذهان سكان المدينة القدامى حتى أنهم يرمّمونه كما تقول الأسطورة من زيت عائلاتهم المخزّن عندما يحتاج الى التدخل الأكيد والعاجل. من يتخيل أن نجد هذا السور حامي المدينة وأهلها محروقا في أكثر من مكان وهو الوحيد في بلادنا وربما خارجها الذي مازال يحيط بالمدينة من جهاتها الأربع. وهو رهان تسجيل صفاقس في قائمة التراث العالمي لليونسكو. نحن نعيش حقيقة عصر التفاهة!! وقد عنونت هذا الرواق بـ«إطار حياة»(صورة عدد 4).

ثائرة لا على المستوى الفني وحده، بل وأيضا على مستوى ثوب المدينة المعماري المزّق!

أما الأروقة 4 و5 و6 ففيها صور فوتوغرافية تهتم بجانب اخر من التراث المادي واللامادي للمدينة وخاصة نجارة «الجبوز» وبهذه الأروقة حشد من الكوادر أو الإطارات التي تأخذ بعدا رمزيا. فنسجل مفارقة بين الإطار الذهبي الذي يجب أن نحافظ عليه والإطار الأسود الحاضر الأكبر في المدينة العتيقة.

يتحول الفن التشكيلي بالضرورة إلى عين باصرة ناقدة للواقع الحزين الذي يلف المدينة. وما يلفت الانتباه هي الستائر الفوتوغرافية التي يمكن أن نثبّتها على دكاكين الحرفيين فتغير مشهد المدينة وتعطيه عمقا فنيا رائقا.

اما الفيديوهات الثلاثة، فنرى أن الأول ينقل صدمة «الصنائعي» واكتشافه للعمل الفني وكيف يصبح قارئا تشكيليا طارئا. والفيديو الثاني يسجل طريقة تنصيب العمل في الموقع (In situ) فبالستار الفوتوغرافي أسلط الضوء على حرفة محلية بصدد الاندثار - نجّار الجبوز(9) -فأضع ستارا شرائطيا في «الصّبط»، وأتقاسم المارة تفاعلهم من خلاله عبور المكان والتاريخ. أما الفيديو الثالث والذي يعود تركيبه الى سنة 2016 فهو أول شريط لي بمعنى الفيديو التشكيلي الذي انتجه، وقد استفدت فيه من أفكار د. الناصر البقلوطي الباحث في التراث اللامادي. وأعترف أني استعنت بخيال الحرفيين في صفاقس، مرتع طفولتي ومدينة إقامتي وعملي، في انشائه وتركيبه، لأحاكي ابداعهم وانقل مشاغلهم.

ماهي البوصلة التي قادتك إلى «الصنايعية» وإلى المدينة العتيقة لتجعل هذا الفضاء وصنّاعه محور اهتماماتك وبحوثك وإلهامك، وفي ذات الوقت مصدر قلقك واضطرابك وحيرتك؟

والدي «صنايعي»، في الطباعة، وهي من بين التقنيات التي أدرجتها في صنع الستائر الفوتوغرافية لمعرضي وكانت مدخلا لاهتمامي بكل ما هو حرفي ابداعي. من جهة أخرى أعرف جيدا المدينة العتيقة فهي البيئة التي احتضنتني ...المدينة العتيقة بالنسبة لي هي سحر الماضي، وهي ملهم كبير، لم اكتشف منها إلا النذر القليل اذ جمعت مقترحات عديدة لإنجاز مشاريع أخرى، إلا أن نواكب المدينة واوجاعها كانت أعمق بكثير ...لم أكن أتخيل وجودها في هذا الفضاء التاريخي الذي يعود الى ما يقارب 1200 سنة.

في النهاية، لابد أن نقف باحترام لهذه التجربة، فكيف تمكنت غادة من هذه المغامرة؟

شكرا - هناك في الحقيقة عدة نقاط ضوء ربما أبدأها من تمازج الفني مع العلمي الاكاديمي في تجربتي الشخصية والتي كان لفتح مسار الدراسة في مرحلة الدكتوراه بالمعهد العالي الفنون والحرف بصفاقس في المجالات البحثية التالية (الفنون التشكيلية، التصميم، والميديا) الأثر العميق فيها. ثم التأطير الأكاديمي الذي حظيت به من طرف مديرة البحث الاستاذة إقبال الشرفي طيلة فترة اعدادي لأطروحة الدكتوراه، والنقاشات العلمية الثرية مع قامات فنية واكاديمية مثل د. محمد الهادي دحمان ود. وحيد العوي ود. كمال الكشو ود. ألفة نجيمة وغيرهم. هذا بالإضافة الى الاحتكاك ببعض التجارب الفنية العالمية على غرار الأستاذ ايفان تولوس Ivan TOULOUSE (10) والتي كانت محطة هامة وتجربة رائعة توجت بمعرض فردي في مدينة ران الفرنسية، والفنانين التشكيليين كلار موجاي Claire Maujeais من فرنسا وإلهام إنفيروغلو Ilham Enveroglu من تركيا واللذين كان لي شرف مشاركتهما العمل في ورشتيهما. وأنتهي بتأثري بتجربة الفنان العالمي بانكسي Bansky (11)التي شكلت مرجعيتي الأساسية في أطروحة الدكتوراه وحملت أثرا لافتا فيها. لقد بلغت شهرته حدودا قصوى وجعل فنه رسالة عالمية، وكشف في أعماله عن بعد إنساني رهيب، ويعتبر هذا الفنان من بين « أولئك الذين عاشوا التجارب الإنسانية لأزمانهم ونجحوا في التعبير عنها بشكل متناسب مع ما تتضمنه تلك التجارب من أفكار وعلم وتكنولوجيا.». انطلق من الواقع وأحدث رجة فنية، بل زلزالا على سطح الأرض قلب به أدبيات الفن وموازينه.

8 - الصبابطي ج.صبابطية . وهو الحذّاء.

9 - جبّوز مطلقا الزيتون المسنّ. يستعمل خشب الجبّوز لصلابته في صنع الأدوات الفلاحية وبعض الأدوات المنزلية ومنها «الهرّوسة» و«نجّار الجبّوز» هو صانع هذه الأشياء. لاتزال هذه الصناعة قائمة (1998) واستقرّ أصحابها في أطراف سوق الحدادين. علي الزواري- يوسف االشرفي،«معجم الكلمات والتقاليد الشعبية بصفاقس»ص.146.

10 - إيفان تولوس: فنان تشكيلي فرنسي. أستاذ فخري مؤطر طلبة الدكتوراه اختصاص فنون تشكيلية تطبيقية بجامعة ران 2 الفرنسية.

11 - بانكسي: فنان الشارع من الولايات المتحدة من مواليد1973. من خلال تعقب المسار التعبيري للفنان بانكسي يمكن أن نستشف أن أثره الفني المعاصر يستوحي من الواقع مقاييسه الأولية وينطلق منها لبناء خطابه التشكيلي، كما أن مصادر بحثه اتسعت فلم تعد تتجه مباشرة إلى العمل الفني بقدر ما أصبحت تبحث في مؤثراته ومسبباته ليصح القول بأنها أعمال فنية سياقية، تعتمد طريقة التملك عبر التكييف بين عناصر المكان والصورة، كما تعتمد على تلصيق النسخ السيريغرافية لرسومه على جدران المدينة ليحقق تملكا ضمن سياق، ذلك أن الفنان يسعى إلى إلغاء المسافة بين الفن والواقع المعيشي من خلال مواكبته اللصيقة لمستجدات العصر لكي يعبر عنها.

فنون تشكيلية

فالفن بالنسبة له ليس صورة معلقة في إطار، بقدر ما هو مبدأ أو توليفة من المبادئ التي تحمل مواقف شخصية انسانية. ناهيك ان هذا الفنان قد فتح موقعا على الانترنت به حساب جاري دولي لبيع بعض اعماله، ووضع حصيلة هذا الحساب وكل التبرعات على ذمة الجمعيات الخيرية12. قام بشراء يُخوت (جمع يخت) تحمل صورة الأمل شعارا ومرجعية فنية وهي الفتاة التي ترفع بالونة / قلبا (الصور عدد 5). وتحولت هذه اليخوت إلى تنصيبة فنية عرضية ليس للسياحة أو عنوانا للثراء، إنما لهدف كان حقيقة عميقا في التزامه الإنساني وهو إنقاذ المهاجرين العالقين في البحار». ولقد اعتز الفنانون بفتوحاته الجمالية والفكرية الخالصة للفن لا في بلاده فحسب، بل كل ارجاء العالم.

هل يحمل المعرض حدثا مهما بالنسبة لتاريخ الفنون التشكيلية، أم هو حركة مفتوحة على المجهول؟ وهل تضع تجربتها «في المسرح المفتوح» بالمدينة العتيقة بصفاقس في سياق عالمي؟

وفي ختام هذا الحوار الشيق مع الفنانة والدكتورة غادة بوزقندة الكشو، وفي كلمة موجزة، أردت أن ألخص سيرتها العلمية والعملية على طريقة منهجية التفاعلات، بقراءة حلم الفنانة، وهي منغمسة بلذائذ تجربتها، وشغف تفاصيلها، مؤكدة رؤيتها الاستشرافية ومبشّرة بولادة فن جديد. ولا شك أنها بصدد لعب دور تاريخي في إشاعة مفهوم الجمال بمعانيه الكونية فتسعى إلى الارتقاء بالمجتمع الى مستوى يؤهله لفهم الفن في حالته الصافية من أجل أن يكون سحر

غادة بوزقندة، الزمكان، صورة فوتوغرافية توثق تنصيبة فنية، المركز الثقافي سوق الحدادين، صفاقس، 2022

الماضي ممكنا... ولا شك، يبقى السفر طويلا.

«حلمي أن أصنع رواقا فنيا على خارطة المدينة العتيقة بصفاقس، وأروج له على المستوى العالمي عبر فضاء الانترنات، والأفضل أن يكون مرتبطا مع مسلك سياحي. أضع فيه عدة لوحات تشكيلية بطريقة الستار الفوتوغرافي. لقد تجولت كثيرا بهذا الستار وأوراقي وأدواتي داخل المدينة التاريخية، وما أكثر الجدران المطموسة والأبواب المغلقة التي يمكن أن أحوّلها الى مقترحات فكرية، أو يمكن تطويرها بطرق غير متناهية بالعودة إلى التراث. فالمدينة العتيقة لها كل العوامل التي تؤهلها لأن تكون بحجم الرمزية المحلية، وهو ما فتح أمامي الأبواب في اتجاه صياغة تفكير جمالي جديد بخصائص محلية، وقيم متجددة تسمح بنقل الواقع الفني إلى أنهج المدينة وأزقتها وصنع مجال حيوي يغمره سر جمال الموروث التراثي للمدينة» هكذا كانت نهاية هذا اللقاء، حلم يكبر ويتجدد، برؤية احدى الفنانات التشكيليات الراقيات من بنات مدينة صفاقس العريقة، تصنع تاريخا جديدا على أنغام الفن التشكيلي وبروح الشباب المبدع.

12 - الرابط في الحساب الخاص لبانكسي بالإنستغرام يصور من خلاله فيديو لليخت الذي اقتناه وكرسه في سبيل الخدمة الإنسانية (انقاذ المهاجرين الغير شرعيين :)
https://www.instagram.com/p/CEeHxQgF7gU/
كما يقدم بانكسي في تفس الصفحة رابطا لموقع باسم اليخت» لويس ميشال»، ومن خلال هذا الموقع يمكن لأي شخص أن يودع المال في حساب جاري هدفه جمع تبرعات نقدية لإعانة ومساندة المهاجرين غير الشرعيين (الإعانات وصلت في ضرف أقل من شهر لـ 47.876,20 أورو :)
https://mvlouisemichel.org

صورة تتحدّث

تقطير زهور البرتقال

قد يكون الأندلسيّون هم الذين حملوا معهم تقنية تقطير زهور البرتقال وهي عملية تتمّ إمّا في البيوت أو آليّا بالمعامل الخاصّة.

وإذا كان استخراج زيوت الزّهر وتقطير "روحه" يتم في بداية الرّبيع فإنّ ماء الزّهر يرافق سكّان الوطن القبلي على مدار السّنة.

وعمليّة التّقطير وتحديد مقاديره ومدّة طبخه وكيفية تبريد الأواني نشاط يتوارثه النسوة عن أمهاتهن أو جدّاتهن ويتم ذلك بوله كبير تتداوله الأسرة.

وتحتفظ كل أسرة بأواني التّقطير وهو الأنبيق الذي انسحب اسمه العربي على كلّ آلات التّقطير في اللّغات الأوروبية.

يعاد تركيب تلك الآلات وغسلها وتلميعها في بداية شهر مارس من كلّ سنة، ويختلف إنبيق الوطن القبلي عن بقية المناطق الأخرى فهو مكوّن من قدر كبير يسمّى" قازان" من النحاس بالنسبة للأسر الميسورة وطيني لباقي العائلات، وقد يستعمل البعض أنصاف البراميل، أمّا الغطاء وهو "المكبّ" فمصنوع من الفخّار البسيط وينطلق منه خرطوم طويل ينتهي بأنبوب ضيّق في حجم عنق الزّجاجة يخترق قدرا يسمّى "المحبس" يملأ بالماء البارد ويعاد ملؤه كلّما ارتفعت حرارة الماء .

الوحدة الأساسية هي "الوزنة" التي تعادل أربع كيلوغرامات، ويستخرج منها بعد التّقطير مقدار زجاجتين أوّليتين من ماء الزّهر العالي والمركز وزجاجتين من السّائل العادي.

أمّا أهم سائل يجمّع بدقّة وبإبر خاصة فهو زيت الزّهر وهو ذلك الذي يطفح فوق ماء الزهر على مستوى عنق الزّجاجة، ويجمع قطرة قطرة ويسمّى روح الزّهر الذي يقتنيه منتجو العطور الذين يأتون كلّ سنة إلى الوطن القبلي أثناء فترة

تقطير الزّهور وربّما يقيمون طيلة الموسم.

يحفظ ماء الزّهر في قوارير خاصة تسمّى "فاشكا" وهو تعريب تقديري لاسم القارورة الاسباني، وهي قوارير تنفرد بانتفاخ أسفلها وتثبّت على سلّة من البلاستيك أو من السمّار الذي تصنع منه الحصائر وتتفنّن النساء في تزويقها و تزيينها بعناية فائقة ودقة متناهية إذ تصنع لها أغلفة مطرّزة بخيوط الفضّة والعدس اللامع تضاف إلى الشبكة الحريريّة أو الورق الفضّي، ولا يخلو أثاث الزواج من تلك القوارير الجميلة.

ومنافع ماء الزّهر عديدة ومتنوعة كدواء للحمّى والسّعال وضربة الشّمس ويدخل في تركيبة عدّة أدوية محليّة أوفي الصناعات الكيميائيّة وصناعة الحلويات.

عن «تونس زمان»

قلق الجنّة والنّار وإطلاقيّة الحقائق الإيمانيّة :

شيرين أبو عاقلة بين دهس الاحتلال وجدل الاستغفار

د. منية العلمي

ما من متابع لوسائل التواصل الاجتماعي ومنّصاته، إلاّ وقد وقف على الجدل الدّائر الثّائر، حول نقاش الرّحمة وجوازها ومدى مشروعيّة الاستغفار والدّعاء لغير المسلم، وذلك ما بين حاشد للنّصوص بمعايير دينيّة مؤسّساتيّة تفرّق في أقصى درجات تسامحها بين فعل طلب الرّحمة، وفعل الدّعاء بالمغفرة للميّت غير المسلم، وتنتهي بالجزم بإمكانية الأوّل دون الثاني مع إمكانيّة وجود شهادة في الدنيا دون الآخرة، ومابين مستنفر للنصّوص لأجل بيان سعة رحمة الله تعالى وعدم اعتبار كلّ أهل الكتاب مكذبين بنبوة محمد أو غير موّحدين، مفوّضين تقدير الفوز بالجنّة من عدمه للهّ سبحانه وتعالى وحده دون سواه.

ولعلّ تلك الأيقونة التّي كانت تنقل الخبر فصارت هي الخبر، والّتي رحلت في صخب النّار مغتالة على يد الاحتلال الغاشم والصهيونيّة الوحشيّة، تلك الأيقونة التّي عاشت في صخب الاقتحامات الهمجيّة، وعنف القمع والاعتقال والأسر، فنقلت لأكثر من عشرين سنة بأمانة الصحافة الإخبارية،وبحرقة صاحب القضيّة، صوت الحقّ للعالم وصورة الظلم وأهله، تلك المجيدة التي التحمت بالشّهادة نصرة للقضيّة، أبت إلاّ أن تترك وراءها صخبا مماثلا بعد رحيلها على أرض فلسطين الأبيّة، صخبا وجدالا مرجعه انتباه مفاجئ لاعتناق الرّاحلة للديانة المسيحيّة، فبعد التعاطف، والتأثر والغضب العالمي إبّان لحظة الخبر، انتبه شقّ من «المسلمين» إلى كونها على دين عيسى، فإذا بهم أو بأكثرهم موضوعيّة، لا ينفي خصال الفقيدة المهنيّة ومسيرتها النضاليّة، إلاّ أنّه يورد حججا دينيّة لأجل الاعتذار عن عدم إمكانه التّرحم عليها أو طلب الاستغفار لها، فإذا بهؤلاء، وفي لحظة دمويّة فارقة، في لحظة نضاليّة حارقة، في لحظة المصدح والأرض، يصبحون على درجة عالية من الكفاءة العلميّة العقديّة، والمعرفة المفصّلة الدقيقة بنصوص السنّة وآيات الكتاب، ذلك أنّ هؤلاء وفي مفارقات عجيبة غريبة، يتزّوجون المسيحيّة ولا يترّحمون عليها، ويرثونها كزوجة ولا ترثهم، ويسمحون بزواج القصّر ولا يهبّون، وتغلق مدارس البنات في أفغانستان ولا يهتمّون، وتُغتال النسّاء الكاشفات لوجوههنّ ولا ينزعجون، ويؤكل حقّ اليتيمات والأخوات والأمّهات، ولا يبالون، والواقع أنّ القائمة تطول حول نماذج من استحضار هؤلاء للنصّوص دون العقول، وللاتّباع والتّقليد والتمسّك بالتّشريعات البشريّة المنتهية، دون شريعة الحقّ والعدل والإنصاف الباقية، بل على الأصحّ، فإنّ هؤلاء يستحضرون في كلّ «فرصة» من الممكن أن تكون مفصليّة، نتاج فكر قام على تقديس الحرفيّة، فغلب عليه النّقل والتّقليد في مجانبة صارخة لقيم الإسلام الضامنة لاستمراره وعالميّته، إذ تنعدم القراءة المتبصّرة الواعية لدى غالبيّتهم، مع أنّ نصوص القرآن ما انفكت تربط القراءة بالدّعوة للتأمّل والتدّبر والتفكر وإعمال العقل، بل تربط الإيمان والتّقوى بكلّ تلك الأفعال العقليّة والمناهج المنطقيّة، إذ وردت مادّة (عقل) ومشتقاتها تسعا وأربعين مرّة في القرآن الكريم كما ذُكر التفكّر في ثماني عشرة موضعا منه، هذا إلى جانب التدّبر، والنّظر، قال تعالى « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» محمّد/24 مع ملاحظة نبرة التّوبيخ في الآية، كذلك قوله تعالى:» كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»ص/29 وما بين الاستنباط والتفكر في الدّليل، يدفع القرآن نحو إبداع المعنى ووعي الحاجة إلى تراتيب مفاهيميّة متكرّرة متلاحقة تحقق مركزيّة الإنسان في الكون بغاية تحمّل عبء الهمّ الحضاريّ وفق سياقاته الإنسانيّة المتجدّدة، بعيدا عن نمطيّة الاتّباع والتقليد المنذرين بتهميش الرسّالة الخاتمة، وإقصائها عن آنها وزمانها، وتحقيق عزلتها، دون ضمان لآليات ووسائل استمرارها، وفعلها في المنجز الحضاري البشريّ، والتّي نصّ عليها القرآن وفق نظامه المنطقيّ، وتلك هي أمانة الاستخلاف. كلّ ذلك يأتيه هؤلاء في قالب من الغرور والعصبيّة المعرفيّة.

وهذه النظريّة هي في الواقع من التدّاعيات الأبرز للمسألة المطروحة في هذا المقال في بعدها الفكريّ وفي عمقها الأنتروبولوجيّ، ما يحيل على المدوّنة التراثيّة بمؤسساتها الفقهيّة والتفسيريّة والحديثيّة، وتساؤلات عن مدى تورّط تلك المدوّنة إزاء هذه الانتفاضة الإيمانيّة/العقديّة الملفتة، التّي أعقبت خبر اغتيال الصحفيّة الفلسطينيّة المناضلة شيرين أبو عاقلة، ومدى وعي تلك المدّونة بضرورة الجرأة على تخليص الخطاب الإسلاميّ من سرديّات القطيعة كما العزلة والكراهية، وذلك على خلفية التمسك بدلالات واستنباطات عنصريّة تمييزيّة، تُنسب إلى العقيدة بل تُعدّ ركنها الرّكين،في حين أنّها لم تكن قطعا من أغراض الإسلام، وذلك منذ عهده المبكر فضلا عن راهنه. ففي بيان التّألي على الله والتحجّر عليه سبحانه، نورد حديث جندب، إذ قال: قال رسول الله عيه الصلاة والسّلام: «قال رجل: والله لن يغفر الله لفلان، فقال الله:» من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك» رواه مسلم، وفي حديث أبي هريرة: أنّ القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»، وفي مقابل هذه الرّفعة وهذا السمّو النبوي الشريف، نقف على دعوى الإجماع لدى الإمام الألباني والتّي تعود إلى القاضي المالكي عياض اليحصبي المتوفى544 هـ والذي ينقل عنه النووي كثيرا في شرحه لصحيح مسلم، إذ نقل عنه النووي قوله: «وقد انعقد الإجماع على أنّ الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشدُّ عذابا من بعض، بحسب جرائمهم»، وعليه، فإنّه وفي ربط لطلب الاستغفار بالأعمال، فإنّ الدّعاء للكفار لا يحرّم فقط، بل لا يُجدي نفعا مع أعمالهم إذا ماتوا على «الكفر»، وفي سياق حادثة شيرين أبوعاقلة، وبحسب هذا الإجماع، وباعتبارها من أهل الكتاب، فهي ومغتالها سواء، وهي والغاصب المحتل سواء، وهي والقائم بجرائم ضدّ الإنسانيّة سواء؟ فمالكم كيف تُجمعون؟؟

وفي هذه المسألة، يعتبر البيهقي الشافعي ت458ه، أنّ القول بأنّ أعمال الكافر الصّالحة لا تنفعه في الآخرة، إنّما هو قول «بعض أهل العلم والنّظر» فهو ليس إجماعا، فهذا الإمام قد نسّب على الأقلّ، بل ذهب أكثر من ذلك، إذ اعتبر أنّ الآيات والأحاديث الواردة في بطلان عمل الكافر الخيِّر إذا مات على الكفر، يمكن أن تُحمل على معنى إخراجه من النّار وإدخاله الجنّة». كما أنّ الفقيه المالكي ابن الفرس الأندلسي الذي توفي نهاية القرن السّادس للهجرة، اكتفى بالقول بوجود قولين في المسألة ولم يرّجح بينهما، كما إنّ الفقيه الحنفي أحمد الكوراني -توفي نهاية القرن التاسع- اكتفى بإيراد القول الثاني وحده وجزم به، وممّن رجّحوا أنّ «الكافر» ينتفع بعمله الصالح في الآخرة، الفقيه الحنفي والمحدث محمد أنور شاه الكشميري (1353 هـ) والعلامة شهاب الدين الخفاجي (1069 هـ) والعلاّمة شهاب الدين الآلوسي (1270 هـ) وغيرهم.

وعليه، فإنّ مسؤوليّة ماحدث من إحراج كبير وعدم لباقة مزعجة، بطرح جدل التّرحم والاستغفار لغير المسلم، يقع على عاتق المؤسسات الدينيّة، بالدّفع نحو تجديد في القراءة والفهم والإستنباط بالعودة إلى النصّ الأصل، حتّى لا تبقى شاهدة على مواقف التّكفير والقطع مع المخالف، في لحظة استعماريّة لا إنسانية بامتياز، لم تحترم حتّى موكب الجنازة المهيب، ففيما أثبت الاحتلال عدم تفرقته ما بين مسلم ومسيحيّ في الانتهاك والوحشيّة، عمل جماعتنا ممّن حوّلوا القداسة من النص إلى ما نُسج حوله من أفكار بشريّة، على تأييده وخدمته من حيث لا يشعرون، ولو دفع المحتل ملايين الدولارات لأفضل مؤسسة إعلاميّة قصد إلهاء الرّأي العام عن صور بشاعته، لما وُفقت في ذلك بنفس درجة التمييع والتضليل عن القضيّة الرئيسيّة التي هبّ إليها وبرع فيها جماعة الحرفيّات والنّقول.

لذلك تتأكدّ الحاجة اليوم – وخطابي موّجه إلى النّخب من الجامعيّين، ومن أهل الاختصاص من الأكاديميّين،وإلى المجامع الفقهيّة ومراكز،ومخابر البحوث في العلوم الشرعيّة وفي التّشريع وفي العلوم الاجتماعيّة وغيرها- إلى التّعاون وضمّ الجهود، لحلحلة براديغم الهيمنة، وهزّ عرش سلطته التّي ما انفكت تحجب وجوه الاختلاف التّشريعي المتنّوع الذي تجرّأ عليه الأوائل، واتّسمت به مناظراتهم، ومكنّ من وضع مدوّنة ثريّة بالبراهين وبالحجج المعقولة،على وعي منهم بوجهة الوحي بعد ختمه والمنتقلة حتما إلى العقل مدار التّكريم الالهي للبشر، هذا فضلا عن القواعد والمناهج التّي تأسّست عبر قرون من الزّمن،عرفت فيها المجتمعات الإسلاميّة والعلاقات الإنسانيّة مع غير المسلمين تحوّلات كثيرة، تقتضي منّا اليوم تخلينا عن حراسة المعابد نحو إنتاج فكر جديد موصول بسابقه غير قاطع مع سبل الوعي والاجتهاد فيه،مستثمر لها،منتج لغيرها، ناقد، مغربل، متحيّن لفرص الفعل الحضاريّ، سابق بالمبادرة، وغير منكفئ على التقليب في الموروث لفضّ نزاعات وإشكالات الرّاهن.

وفيما يتعلق بهذه المسالة، وبما إنّني أعتبرني من أهل الاختصاص، أعتقد أنّه من واجبي تقديم بعض التوضيحات في شأنها، فأقول –والله أعلم- أنّ الآية الكريمة «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» التوبة/113 ذكرت المشركين، ولم تذكر أهل الكتاب وهي واضحة في ذلك، لماذا ؟؟ يجيب القرآن في قوله تعالى:» إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا « النساء/48، والشّرك -كما هو معلوم-جعل شريك لله أو أكثر، في العبادة وفي الخلق وفي الملك...وهو أكبر الكبائر عند الله، فالله يغفر ما دون ذلك لكن لا يغفر أن يُشرك به، فأهل الكتاب إذن هم مؤمنون موّحدون، وليسوا قطعا مشركين إلاّ من لم يؤمن منهم بنبوّة محمد عليه الصلاة والسّلام، فنحن كمسلمين نؤمن بكلّ الرسل لكن لا نتبع دينهم، وذلك جزء من أركان الإيمان،أمّا عن أية سورة البيّنة رقم 6 وهي قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ « فنلاحظ فيها «من» والّتي هي تبعيضيّة في رأيي المتواضع - رغم أنّ غالبيّة التفاسير اعتبرتها بيانيّة- وعليه، فهي تفيد البعض من أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما أُنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا الاعتبار في كونها تبعيضيّة لا ينبع عن هوى،إذ تأكدّ لديّ من ال» من» التبعيضيّة الثانية والتّي تجيب الأولى، والمذكورة في قوله تعالى «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ

خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» آل عمران/199 ، فهذه الآية تؤكد عدم تكفير كلّ أهل الكتاب، وبالإستغناء عن الخلاف بين التبعيض والبيان بالنسبة ل «من»، ذلك أنّ القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضا لأجل بلوغ غاياته ومقاصده، فالرّسالة القائمة على المحبّة ومكارم الأخلاق، بدليل قول النبيّ عليه الصلاة والسّلام « إنّما بعثت لأتمّم مكارم الاخلاق» ، والرسالة القائمة على مقصد العدل والإنصاف، بدليل قوله تعالى:» ولا تزر وازرة وزر أخرى» فاطر/ 18، والرسالة التي تجازي وفق نصوصها كلّ من عمل صالحا:» إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تكن حسنة يضاعفها» النّساء/40 ، تلك الرسالة كانت حاسمة في بعض الآيات مع من اعتدى على المسلمين من أهل الكتاب، ومع من نقض عهده معهم، ومع من بادرهم بالإساءة، ولكنها بالمقابل كانت رحيمة بالصادقين منهم، غير المؤذين، قال تعالى في المسالمين منهم:»لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين» الممتحنة/8 ، وقال كذلك:» وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه والله عليم بالمتّقين»النساء/115، وقال في النصارى المسالمين أيضا:» ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك أنّ منهم قسّيسين ورهبانا وأنّهم لا يستكبرون وإذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ»المائدة83/82، وهذا على غرار ورقة بن نوفل عمّ خديجة رضي الله عنها والتّي تجمع أغلب الرّوايات أنّه كان نصرانيّا.

فلو راجعنا منظومة أسباب النّزول ومناسباته، ومنظومة النّاسخ والمنسوخ، والخاصّ والعامّ في علوم القرآن وغيرها من الآليات التّي تقيّد في بعض الحالات المعنى، لوقفنا على مخارج تفتح على دلالات تفيدنا في إعادة ترتيب أولويّاتنا في الوضع الحضاري المتدني لأمتنا، وتفتح لمسالك نحو تواصل مشروع مع المخالف المحترم لكياننا ولقضايانا العادلة، عوض الاحتجاج مثلا، بأنّ الوارد من تلك الآيات انتهت صلوحيّة دلالته لأنّها تتحدّث عن أهل الكتاب قبل البعثة أو الذين لم تصلهم نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، فهل تلك المنظومات مقدّسة بقدر نصوص القرآن؟؟

خلاصة القول، إنّ الشعب الفلسطيني شعب له خصوصيّة مميّزة تدخل في طبائع المجتمعات، وسياقاتها السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة وغيرها،فهو لا يهتم بمسيحيّة أو إسلام مواطنيه، هو شعب يعتنق قضيّة جمعت بين أفراده حدّ تمام الانسجام، دون بحث في عرقية أو مذهبية أو أي انتماء، لفترة ربع قرن وشيرين ناقلة الخبر صوتا وصورة، واكبت كل مراحل النضال، رابطت في الأقصى، أمنّت إفطار الصائمين المحتاجين وربما صامت معهم ولم يسأل أحد عن دياناتها ولم يهتم بذلك بشر، ذلك هو الشعب الفلسطينيّ تصدح مآذن جوامعه بالتكبيرات، وتقرع أجراس كنائسه دون السّؤال عن من الصّحيح، على عكس عجز بيت المعري «ياليت شعري مالصحيح ؟»، ففي حصار الأقصى وقف المسيحي قبل المسلم، وفي حصار كنيسة القيامة، وقف المسلم قبل المسيحيّ، تلك خصوصيّة ذلك الشعب العظيم التي تنضاف للعديد من خصاله الأخرى .فلا تزايدوا بإيمانكم والتزامكم المناسباتيّ الذي يستفيد منه العدّو، على مزيد نبش الجرح في الأرض.

عذرا شيرين أنّنا أثرنا هذه القضيّة ودماؤك الطاهرة لم تجفّ بعد، عذرا إخوتنا في فلسطين الحبيبة على حماقة بعضنا وعلى سوء تقديرهم لحجم الألم الذي خلفته حادثة الاغتيال الجبانة وحجم غطرسة العدّو، وعذرا ربنّا، يا ربّ العالمين، لأنّهم تجاوزوا حدودهم في الأدب مع مقامك فتجرؤوا على مصادرة رحمتك التي وسعت كلّ شيء، ذلك أنّ جلالك وحدك المفوّض بالغفران لعبادك من عدمه.

«إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم» المائدة/ 118.

متابعات

احتفالا بذكرى تأسيسها العاشرة:

«تونس الفتاة» تكرم ثلّة من المفكرين والأكاديميين

رانيا العابد

د.منية العلمي ود.اقبال الغربي ود.الطيب الطويلي (ابن الراحل أحمد الطويلي) خلال تكريمهم من قبل رئيس الجمعية حمزة عمر

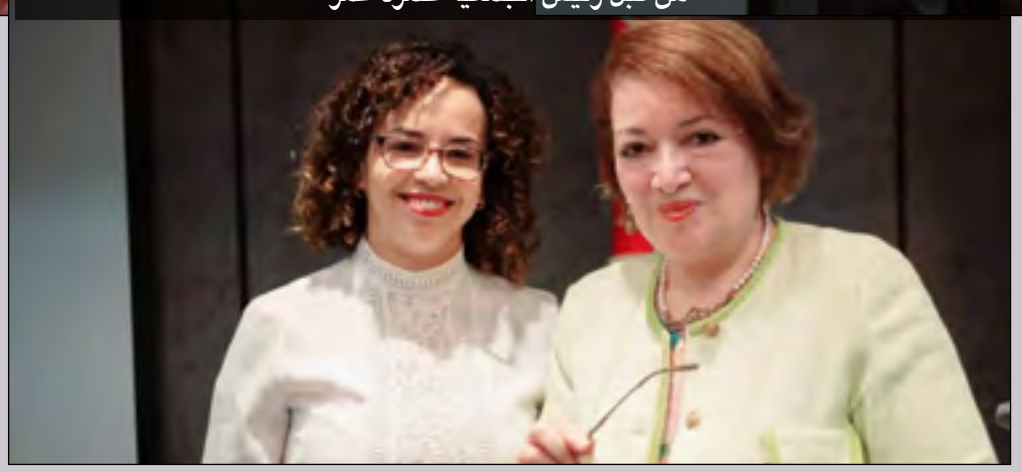

نظمت جمعية «تونس الفتاة» عشية يوم السبت 14 ماي الجاري احتفالا بالذكرى العاشرة لتأسيسها. وقد تم افتتاح اللقاء بمداخلات موسيقية لفرقة أجراس بقيادة الفنان عادل بوعلاق الذي تجول بألحانه في نصوص بديعة لمحمود درويش والشهيد شكري بلعيد مشيرا بذلك الى التزام الجمعية طيلة سنواتها العشر بقضايا الوطن التونسي والعالم العربي عامة.

استعارت هذه الجمعيّة اسمها من حركة وطنية نشطت في تونس في مطلع القرن العشرين عُرفت كذلك باسم «حركة الشباب التونسي» وكان من زعمائها علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي وغيرهما.

وفي كلمته قدم رئيس الجمعية حمزة عمر بسطة عن تاريخ الجمعية مذ كانت حلما في رؤوس شباب يتطارحونها بينهم ويفكرون في إيجاد وسائل لتحقيقها. وانطلقت الجمعية عبر إنشاء موقع الكتروني اختارت له اسم «تونس الفتاة» قبل ان يتطور المشروع الفكري لتتكون بذلك سنة 2012 وتشتغل على مختلف الأصعدة البحثية والفكرية والتراثية بفضل شباب متوقد متطوع لخدمة الثقافة ومسكون بهاجس الإبداع والعطاء العلمي والأدبي ولقد وجدوا الدعم المادي والمعنوي من مؤسسة ‹كونراد اديناور» التي اسهمت في إشعاع الجمعية وتواصلها لسنوات عشر طوال في ظرف لا تمثل فيه الثقافة أولوية سياسية او اجتماعية ويعتبر فيها الصمود في خدمة الثقافة شكلا من أشكال النضال.

وأشار حمزة عمر إلى دور العديد من الجامعيين والمفكرين الذين ساندوا حلم هؤلاء الشباب ورافقوه معربا عن حسرته على من غادر منهم على غرار الراحل جان فونتين والدكتور أحمد الطويلي.

وتخلل الحفل تقديم فيديو من عشرين دقيقة يلخص نشاط الجمعية في العشرية الفائتة تمّ فيه عرض مختلف الندوات العلمية التي نظمها بحضور كبار المفكرين. كما أن جمعية "تونس الفتاة" كانت سبّاقة إلى تنظيم مناظرات بأسلوب أكسفورد منذ سنة 2013 . كما اهتمت بالشعر عبر تنظيم عدّة تظاهرات من أبرزها «أكاديمية الشعراء» في 2018 والتي قامت بتأطير 16 شاعرا وشاعرة. إلى جانب المشاريع البحثية الموجهة إلى الباحثين الشبان في العلوم الاجتماعية والإنسانية ومجلة «حروف حرة « التي أسست في مارس 2020.

وخصصت الجمعية الجزء الثاني من حفلها لتكريم عدد ممّن ساهموا في إنجاح أنشطتها على غرار الدكاترة توفيق بن عامر وحميدة النيفر ولطفي عيسى ومنية العلمي وإقبال الغربي وزينب التوجاني وسهام النجار كما تم تقديم تكريم لفقيد الثقافة التونسية أحمد الطويلي.

وأعطيت الكلمة في ما بعد للحاضرين من أعضاء الجمعية للحديث عن حاضرها وآفاقها كما أعرب الكثيرون عن فخرهم وتوقهم نحو مواصلة المشوار في حين اعترفت سوسن فري إحدى أعضاء الهيئة المديرة بالتحديات التي تعترض عمل الجمعية والتي تعيق تحوّلها إلى مؤسسة ثقافية تامة الأركان لا سيما وهي تعتمد بشكل كلي على المتطوعين، وللتطوع حدود حسب قولها. وأجابها الحاضرون بأن الأمل الذي تقدمه الجمعية أكبر بكثير من السواد المحيط بنا.

واختتم اللقاء بفقرة موسيقية أخرى لمجموعة أجراس تم فيها تقديم عدة أغان اخرى ألهبت تفاعلات الحاضرين مثل «إني اخترتك يا وطني» وقصيد «قالت سمكة» الذي ينتهي ب» من يرشدني؟ من يخبرني؟ أين وطني؟ «..

«رشّمات من الحمامات» إحتفالية بشهر التراث بعنوان «اللباس التقليدي هويّة وطنية وخصوصية محلية»

تزامنا مع احتفاء مؤسسة المركز الثقافي الدولي بالحمامات دار المتوسط للثقافة والفنون بشهر التراث وبالتعاون مع جمعية سفيرات الحمامات تنظم ادارة المؤسسة يوما احتفاليا يجمع بين العروض الحية لمختلف مراحل التخطيطات اللازمة لتصميم ملابس الحفل الكبير لعرائس الحمامات كما سيضم لقاء مع مختلف المتدخلين المحليين في هذه الصناعة وعرضا فنيا يصور بعض الأجزاء الخفية من حفل الزواج والخاصة باستعراض الملابس التي ترتديها العروس يوم زفافها.

الموعد سوف يكون يوم 18 ماي بدار سيبستيان بالمركز الثقافي الدولي بالحمامات بداية من الساعة العاشرة صباحا من أجل تكريم جهد عشرات العاملات في هذا المجال الحيوي الذي يعتبر علامة فخر وأصالة لدى المرأة الحمامية اذا تعتبر مدينة الحمامات التونسية واحدة من المناطق الزاخرة بلباسها باذخ التطريز الذي يبرز الخصائص الفنية للقطعة المصنوعة بأنامل تنتقي كل ما هو مبهر وجميل في تصاميمها إضافة إلى التركيبة الخاصة التي تميّز الأقمشة المستعملة والمطرزة عادة بخيوط الذهب والفضة والمطعمة بالعقيق بمختلف ألوانه.

دار الثقافة بالخليدية تحتفل بشهر التراث

إحتفالا بشهر التراث، نظمت دار الثقافة بالخليدية بالشراكة مع دار الشباب بالخليدية والمجتمع المدني بالخليدية ومرناق، تظاهرة ثقافية بعنوان تراث أجدادي ليا و لولادي وذلك يومي السبت 14ماي بموقع أوذنة الأثري بداية من الساعة الواحدة بعد الزوال و الأحد15 ماي بدار الشباب بالخليدية على الساعة العاشرة صباحا.

في برنامج اليوم الأول: معرض في الفنون التشكيلية بعنوان أوتينا آرت وعرض موسيقي من التراث التونسي وعرض ألعاب فروسية وعرض لماجورات أوتينا بالخليدية.

في برنامج اليوم الثاني:ورشات في الرسكلة والقولبة والألعاب التراثية ونسج الفراشية القلعية وعرض فرجوي بعنوان الخرجة ومعرض رقمي للباس التقليدي التونسي عبر التاريخ ومداخلة حول الأزياء التقليدية التونسية في العصور القديمة وعرض للباس الروماني.

تظاهرة «المحفل» بالزهراء

إنتظمت بدار الثقافة بالزهراء تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية ببن عروس وبالشراكة مع جمعية هنّ وبلدية الزهراء ومنتزه الزهراء و بلدية الزهراء، تظاهرة المحفل في الزهراء من 13 إلى 15 ماي الجاري وذلك احتفالا بشهر التراث.

وكان البرنامج كالتالي:

يوم الجمعة 13 ماي 2022 على الساعة الثالثة مساء:

خرجة اللباس التقليدي بعنوان المحفل مع الكرنفال في شوارع مدينة الزهراء وعرض الفروسية ببطحاء السوق الأسبوعي لسامي الشعاوري

معرض للصناعات التقليدية طيلة أيام التظاهرة.

يوم السبت 14 ماي 2022: بداية من الساعة الثالثة مساء

مسابقة في أكلة الكسكسي

عرض حكواتي لرابعة قلايد

مداخلة حول اللباس التقليدي

الأحد 15 ماي 2002 على الساعة منتصف النهار:

عرض حكواتي للحكواتي هشام درويش

تكريم المشاركين

ملتقى فنون الحرف والمعارف التقليدية بباجة

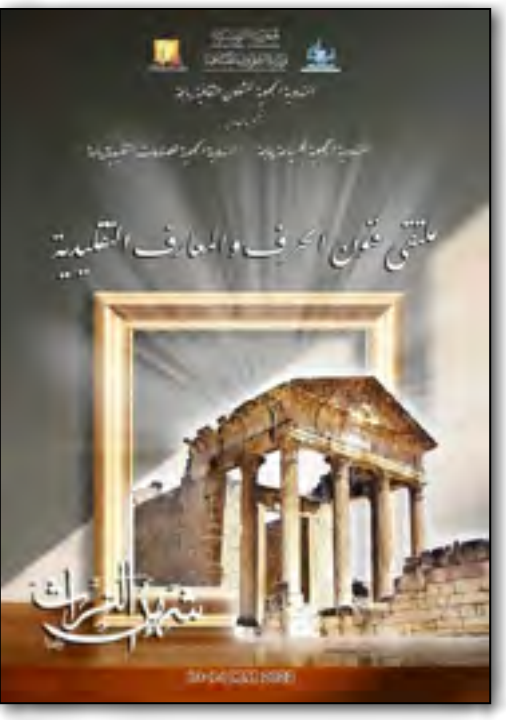

في إطار الإحتفال بالدورة 31 لشهر التراث تحت شعار : « اللباس التقليدي هوية وطنية وخصوصية جهوية» وبالتعاون مع كل من وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية والمندوبية الجهوية للصناعات التقليدية بباجة والمندوبية الجهوية للسياحة بباجة ، نظمت المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بباجة يومي 13 و 14 ماي الجاري فعاليات الدورة الأولى لملتقى فنون الحرف والمعارف التقليدية بباجة في محاولة جادة للتعريف بالخصوصية الجهوية التراثية والتقليدية في ميادين مختلفة وخاصة منها اللباس التقليدي الثري والمتنوع الذي تتميز به الجهة وإنطلقت فعاليات الملتقى الذي تواصل على مدى يومين بداية من يوم 13 ماي حيث إحتضنت دار الثقافة «إبراهيم الرياحي بتستور» معرضا للحرف والملابس التقليدية وخرجة للعرس التقليدي الأندلسي وعرض للباس التقليدي المحلي وحصة للتذوق في الأكلات التراثية أختتمت بعرض موسيقي للفرقة الشيخة للمالوف بتستور . وفضاء معلم دقة الأثري إحتصن فعاليات اليوم الثاني من الملتقى أي يوم 14 ماي والبداية كانت بإفتتاح سوق للمنتوجات الحرفية والصناعات التقليدية وعرض تذوق للأكلات التقليدية... ومن الفقرات الأخرى التنشيطية ، معرض لوحات وورشات حية في الفنون التشكيلية تحت عنوان : «اللباس التقليدي تجذر وخصوصية» وجولة تعريفية لمختلف المعالم التاريخية بموقع دقة الأثري وعرض فني لـ«ثلاثي النهاوند» وعرض حكواتي للطفل والعائلة ومقهى ثقافي وتقديم كتاب الألعاب الشعبية: طفولة في البال للكاتب والباحث حاتم الرياحي ومن الفقرات التنشيطية الأخرى عرض أزياء لباس تقليدي وعرض موسيقي تراثي «ننده الأسياد»...

وفي اليوم نفسه احتضن فضاء دار الثقافة «عمر بن عبد العزيز» بنفزة معرضا في الصناعات التقليدية» ومعرض لخيرات المليكة وورشات حية في الحرف التقليدية وعرض أزياء للباس التقليدي المحلي ومعرض للأكلات الشعبية وأختتمت التظاهرة بعرض موسيقي تراثي بعنوان « ورا البلايك « لجمعية محمد الحيدري للمسرح بباجة.

عبق الذاكرة بالمركز الثقافي بمقرين إحتفالا بشهر التراث

من 13 إلى 17 ماي بالشراكة مع المركز المندمج للشباب والطفولة بمقرين تنتظم تظاهرة ثقافية بعنوان "عبق الذاكرة" إحتفالا بشهر التراث بالمركز الثقافي بمقرين.

الافتتاح تم يوم الجمعة 13 ماي على الساعة الثانية والنصف مساء بعرض فرجوي متنوع تنشيط خارجي وداخل القاعة بعنوان حلقة وترهويجة لشركة الاسكا للانتاج الفني يتضمن عرض اللباس التقليدي والايقاعات التراثية والرقص الشعبي والألعاب...

في البرنامج كذلك عرض تنشيطي للأطفال باللباس التقليدي تنشيط السيدة إيمان الفقيه وورشة في صناعة الشاشية والحلي تأطير السيدة نورة بن فرج والسيدة زينة بن رمضان.

مدينة بوسالم تحتضن مهرجان «عبد الرحمان الكافي» للشعر الشعبي

في إطار الدورة 31 لشهر التراث وتحت شعار «اللباس التقليدي هويّة وطنيّة وخصوصيّة جهويّة»، تنظّم دار الثقافة بوسالم فعاليات مهرجان «عبد الرحمان الكافي» للشعر الشعبي وذلك من 13 الى 18 ماي الجاري.

الإفتتاح بمعرض وثائقي بعنوان» اللباس التقليدي التونسي : صور ومعان» من انتاج الأستاذ منصف كريمي والذي قدّم في اليوم ذاته محاضرة بعنوان» خصوصيات ومميزات اللباس التقليدي التونسي حسب الجهات» تلاه حفل موسيقي في الفنون الشعبية من تقديم مجموعة « ديما موزيكا» بقيادة الفنان الشعبي مهدي حناشي.

ويوم 14 ماي الجاري إنتظم بشوارع المدينة كرنفال للفروسية والفنون الشعبية من تقديم مجموعة الخليفات بقيادة الفارس نعيم خليفي ثم تقديم قراءات شعرية شعبية من قبل الشعراء صديق القادري ومنصف عمدوني وعبد الحق بركاني لتعرض إثر ذلك مسرحية « ظروف» من إنتاج مركز الفنون الدرامية والركحية بنابل.

ويوم 15 ماي الجاري كان الموعد مع عرض مجموعة من العروض المسرحية التراثية من قبل تلامذة المدارس الإبتدائية ورياض الأطفال ببوسالم ثم تقديم عرض الحكواتي من قبل الحكواتيّة بسمة جويني ويختتم المهرجان يوم 18 ماي الجاري من خلال حفل موسيقي في الفنون الشعبيّة من تقديم الفنان منذر سعيداني.

دروس عن بعد يقدمها المعهد العمومي للموسيقى والرقص بحمام الأنف

في إطار الشراكة مع معهد «تشايكوفسكي» الإيطالي والدورة الثانية لمهرجان «فورتيسمو كلاسيكا» الايطالي، ينظم المعهد العمومي للموسيقى والرقص بحمام الأنف دروسا عن بعد لفائدة التلاميذ يؤمنها أساتذة موسيقى من إيطاليا و بلغاريا في اختصاصات مختلفة،وذلك من 19 إلى 21 ماي 2022.

محمد علي بن جمعة وياسر جرادي في الدورة الأولى لمهرجان الربيع بجندوبة

إنطلقت يوم 12 ماي بفضاء البازيليك في طبرقة الدورة الاولى لمهرجان ربيع جندوبة وتواصلت أيام 13، 14 و15 ماي الحالي بطبرقة وعين دراهم تحت شعار"جندوبة عاصمة السياحة الجبلية" ونظمتها جمعية "تونس للكل" بالإشتراك مع المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بجندوبة والديوان الوطني للسياحة والمندوبية الجهوية للشباب والرياضة بجندوبة وبالتعاون مع برنامج "دعم السياحة المستدامة " الممول من الإتحاد الأوروبي و برنامج "تونس وجهتنا " بدعم من "GIZ TUNISIE" و BMZ وعدد من المؤسسات الجهوية والمحلية.

البداية كانت مع عرض صوفي" المخازنية حضروا" للمخرج محمد علي بن جمعة مع عرض أزياء تقليدية للمصممة إيمان خليفة في إطار إحتفال الجهة بشهر التراث والتعريف باللباس التقليدي الذي تتميز به ولاية جندوبة.

وتنوعت الأنشطة على إمتداد أيام المهرجان في مخيم المريج بعين دراهم وتتمثلت في أنشطة رياضية، ترفيهية، بيئية، سياحية وثقافية مثل إرساء مكتبة مفتوحة لكل الوافدين على المهرجان والمشاركين فيه إلى جانب ورشات في صنع الفخار ومعارض للمنتوجات التقليدية في إطار تشجيع الحرفيات و إتاحة الفرصة لهن للتعريف بإبداعاتهن.

كما إلتأمت مائدة مستديرة حول حماية البيئة أشرفت عليها الناشطة في السياحة البيئية رانيا المشرقي مع عروض للحكواتي وعروض فنية كبرى للفنانين ياسر الجرادي و DJ BLACKJACK و DJ BENJEMY سيشارك بعرض "حلم" والفنان.. البلجيكي DJ HAMZA

فكرة المهرجان هي بالأساس تشجيع السياحة البديلة والسياحة التفاعلية وتثمين مكتسبات جندوبة الطبيعية والبيئية والسياحية بالإضافة إلى الدعم البشري وتظافر مجهودات عديد الأطراف مع السلط المحلية والجهوية في إنجاح هذه الدورة التأسيسية من مهرجان ربيع جندوبة.

ومن أهدافه تقديم صورة مشعة وجديدة للجهة وإبراز المكسب الطبيعي والبيئي الهام والتشجيع على مزيد التعريف به والمحافظة عليه و أكدت على دور الجمعية في السعي إلى تعريف التونسي في كل مكان من الجمهورية أولا بمكتسبات بلاده.

سلاف وآية دغنوج ولطفي بوشناق ضيوف مهرجان الأصيل للموسيقات المغاربية بصفاقس

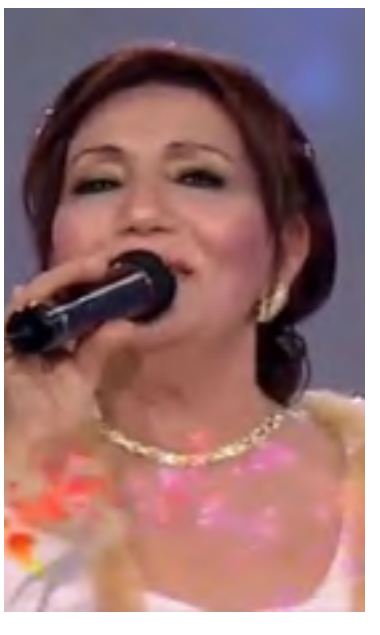

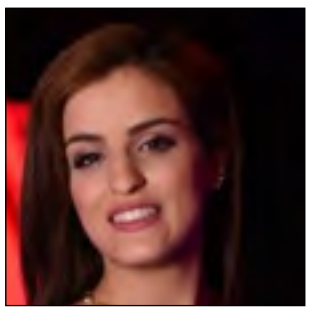

أكدت وفاء الزحاف رئيسة مهرجان الأصيل خلال كلمتها في الندوة الصحفية أن هذا المهرجان يهدف الى خلق فرص التلاقي وتبادل الخبرات والتجارب الموسيقية المغاربية الى جانب تقديم باقة من العروض المميزة تختلف عن السائد بمشاركة فرق موسيقية من داخل وخارج البلاد والمختصة في نمط المالوف والفن الغرناطي.

وسيكون لعشاق المالوف والفن الأصيل خلال السهرة الأولى يوم 18 ماي الجاري عرضا لفرقة نادي الأصيل للموسيقى العربية بصفاقس بمشاركة الفنانة التونسية آية دغنوج وعرض خاص من فرقة الراشدية شرشال من الجزائر .

وفي السهرة الثانية، سيكون عشاق الفن الأصيل على موعد مع عرض موسيقي تؤمنه فرقة رواد الموسيقى من بنغازي الليبية الى جانب عرض مجموعة نوى للمالوف من القيروان، بمشاركة الفنانة القديرة سلاف. أما السهرة الختامية، فسوف تؤمنها الجمعية الموصلية للطرب الغرناطي بوجدة من المغرب الى جانب عرض لفرقة الرشيدية من تونس يؤثثه الفنان القدير لطفي بوشناق.

وقد حرصت هيئة المهرجان على تكريم ثلة من الفنانين التونسيين والذين أسهموا في اثراء الساحة الفنية وطنيا وعربيا على غرار تكريم الفنانة سلاف والفنان محمد العش. وللتذكير، تعتبر جمعية الأصيل للموسيقى المغاربية من الجمعيات الناشئة حديثا والتي تأسست سنة 2020، وأستطاعت أن تتميز في مدة وجيزة من خلال اهتمامها بالمالوف والفن التونسي الأصيل ومن خلال انفتاحها على طاقات شبابية متنوعة ومساهمتها في تقديم مادة ثقافية ترتقي بالذائقة التونسية.

فضاء الإبداع

قصة

awatefbeldi@gmail.com

عرض هزليّ

هدى الهرمي

كان يعوزني ما يشيع في مكاتب الصحف الشهيرة من بريق الكاتب الحصيف و الاعلامي المتحصن بالجرأة و المهارة في اختراق الحواجز من اجل اهداف عدة، و لم اكن من النوع المتحذلق بالخصوص، لكن ادواتي التحريرية تفوق المألوف بما تختزله مقالاتي من نقد ساخر و تهكّم ذهني و اطروحات ذات مغزى فلسفي و اتجاهات متنوعة.

منذ اشهر صرت متابعا وفيّا لكاتب بارز في جريدة ذات رواج وانتشار محلي و دولي. و قد لا ابالغ في الامر شيئا اذا ما اعتبرت ان السيد شكيب عبد اللاوي احد الاسماء الاكثر سطوعا و تداولا في مجال التحرير.

بحنكتي المعتادة حصلت على عنوانه الالكتروني. انه يمثل احد اعمدة الجريدة و اعتقد انه متحيز الى الاقلام الجادة، بما يدفع للتوقع ان يهتم لشأني.

دوّنت سيرتي الذاتية مع مقال و صورة مرفقة. هذا كلّه في رسالة تتخضل برغبتي العارمة في كسب ثقته. من ثم اغلقت حاسوبي المحمول و طلبت قهوة كابتشينو، مستمتعا بالهدوء في ركني المعتاد و بمعزل عن تمظهرات الانتماء للوسط الثقافي.

يا الهول؟! صرخت بذهول.

وصلني الردّ. في غضون نصف ساعة. انها رسالة مباغتة في رقم قياسي للردّ على كاتب مغمور. وحسبي في هذه العجالة انني ذو شأن. و لعل المقال ارتقى الى تطلعات الجريدة و ساير منهجها الفكري بما انه استأثر بالاهتمام فنلت حصّة الأسد في هذا التحديث التحرري.

واجهت حملة افكار طوباوية من قبل، لكن اعتقد ان الاصلاح قائم بذاته ضمن تحولات تتبنى الانفتاح على الاخر.

فجأة فيما كنت افرغ اخر ركوة من القهوة في معدتي. انخفض توتّري و انا أقرا الرسالة على شاشة هاتفي الذكيّ عبر الواتساب.

« مرحبا، تلقيت رسالتك بكل سرور المقال جيد و ساهتم به شخصيا للنشر »

جملة مجفّفة من عبارات الاطراء و الترحيب، لكنها كانت كفيلة بان انسحب بسرعة البرق من المقهى، و اتجه صوب البيت لاكمل ما تبقى من الفصول الاخيرة لدراسة استثمرت فيها جلّ وقتي في الآونة الأخيرة. يجب ان اتخذ خطوات جريئة واعية بذاتها. افكر بالاشارة الى مقاييس الابداع و مفاهيمه في مقاربة مع الادب الرقميّ.

صرت اصفِّرُ بصوت مرتفع و اصفق على نحو صبياني.

لقد تحولت تصوراتي من النفي و الاقصاء الى سطوة الكلمة وصنوف تحصين الذات. انه انتصاري المعترض على النكسة والخذلان و لا مصادرة لاداء مقنع و منفصل عن السائد.

هكذا كان لرسالة الاستاذ عبد اللاوي وقع اشراقيّ، و نالت مني حماسا بارزا، اندلعت من خلاله مؤشرات الانصاف.

لم اخطّط للاتصال به حينها و لم اطلق براعتي في كسب ودّه برسالة شكر و تقدير، مع أن هذه الحركة قد تبدو مثالية بنحو كافٍ للفت انتباهه. ربما سيقلص عينيه و هو يمعن النظر في الرسالة ببلاهة، كي يسترضي كبريائه.

التقطت بعض المراجع المركونة على جنب في مكتبة قديمة ورثتها عن ابي. سأزود أنظمتي المتخبطة في القراءة بمسائل فلسفية قد تؤتي اكلها و تفرقع المواقد المشتعلة في افكاري المنحازة لنتشيه و قوة الارادة. رغم انها في هذه الايام غير مستقرة البتة مع شطحات الحداثة و مساربها المتعددة.

خلال شهرين او اكثر واكبت موقع الجريدة بحماس شديد، فضلا عن ذلك، صارت الافكار تتحرك برأسي بنحو خارج عن السيطرة. لكنني كنت أدعوها الى التريث في ذهني.

الوقت كان ليلا. خطر ببالي ان اتصل بالسيد شكيب لعله يرد على رسالتي الالكترونية في رقم قياسي كاول مرة انتفخ فيها صدري بالنشوة و الذهول.

من الممكن ان انقل له دراستي الاخيرة مع مراعاة شروط النشر. بإستثناء ان الموقع لا ينشر هذا الصنف من المواد. وددت ان اتخلص من ترددي و هواجسي و اخبره بهذا الامر. طرقت ايميله برسالة مختصرة مستخدما لباقتي المعهودة.

كان ذلك أشبه بعرض هزليّ حين وصلني الردّ سريعا.

«مرحبا

ساكون على ذمتك في اي مقال تريد نشره لديّ. لقد كسبت نسبة عالية من المتابعة في صفحتي وايضا بمواقع متعددة. لكن عليك ان تزودني بالمزيد. وانت تستخدم اسمي سيغدو الامر مهم وحيوي بالنسبة لك واتوقع لك مستقبل باهر.

تحياتي»

من وحي عرس غسالة النوادر

نجوى العريبي

درة في صدفتها، تربّعت ياقوتة،على «كرسي عرسي» كما تقول تلك الأغنية، جذبت ذيل ثوبها الفاخر المطرز، الموشى باقات ورد وأكاليل ياسمين، حديقة أزهار بيضاء ارتدتها، وضبطتها على مقاسها.. جذبت ذيل الثوب بخفة ورشاقة لتفسح المكان لحبيبها، يقتسمان «كرسي عرسي» يتناجيان كفرخي كنالو.. الضوء يغمرهما وكل ظلال أو عتمة، مؤجلة إلى قادم الأيام.. احتضن كفها كأن سيخفيها عن كل العيون، وطارا بعيدا ليسبحا في بحر هيامهما.. غافلان عن الغيوم المتلبدة، والبرق الذي أبرق وزمجرة الرعد في السماء..

عيون المدعوين شاخصة إلى السماء، والآذان مرهفة.. وصدى زغاريد متعالية..

ليس أكثر من ثوان، ثقبت السّماء، الريح العاتية أسقطت الكؤوس وكل الزينة التي كانت على الطاولات، هرول الموسيقيون يجمعون آلاتهم ووجوههم مكشرة، إن أصيبت آلة بعطب،فهي الخسارة وكل الخسارةلهم..

«العروسة عرقوبها قطار مطّار» هكذا رددت عجوز وهي تنصرف خشيةالتعثر في عكازها..

الفضاء في لحظات انقلب إلى مسبح عائم. «من فاتته السباحة صيفا ففرصته متاحة الآن».. فرّالمدعوون يحتمون بسياراتهم، ولمحت العروسين كأنهما انفصلا عن المكان والزمان،متيّمان، استرسلا في الضحك صحبة الأصدقاء، وصيفات العروس في أثوابهن الوردية يرفلن.. كركرة ضحك العروسين تثير غيظ بعض حراس البروتوكولات والعادات، ليس للعروس أن تتصرف على سجيتها، رحم الله زمانا كان لوقارالعروس رهان..

لم يشغلهما ما فعلته «غسالة النوادر» بعرسهما والاستعدادات التي عبثت بها العاصفة والأمطار.. فقط كانا في غاية الانتباه إلى كاميرا المصوّر وهما يؤرخان اللحظة، لحظة اقترانهما وعهدهما بصيانة بعضهما في السراء والضراء، لا وقت لديهما الآن لإفساد سعادتهما، فالمطر ،غسلت الكثير من المساحيق والريح الباردة هدأت من الاختناق الحراري، وتأفف من خشي التعرّق..

البرق أبرق يضيء كونهما... عدوى تفاؤلهما ملأتني، سعدت لسعادتهما، وسرى دفء فرحتهما في عروقي. زال توتري من أن أنزلق، فحذائي لم يصمم لمثل هذا المسبح العائم ، والبنّاء الذي بلّط الأرضية، فاته أنّ الهطل سيكشف سوء صنعته..

كنت وأنا أقترب منهما حتى أهنئ وأنصرف، لمحت بريقا ألمسه ويغذيني، إنه بريق الحب والأمل، يلفهما بوشاحه، وذاك الوشاح الأبيض على رأس العروس شكل زائف من البهرج، بالضبط مثل هذا الفضاء..

فليرعد الرعد، ولتثقب السماء، ولتلُكْ بعض الألسنة «يا فرحة ما تمت...» كلامهم يسقط على عتبة الأبواب.. فاتهم أنّ قلب العروسين شفاف، تعاهدا على موعد مع الفرح الدائم..

لهاث

أسماء رمرام - الجزائر

العاشرة صباحاً وخمسٌ وعشرون دقيقة.. في هذا الـــــ آذار الجميلْ.

ها أنتِ قريبة مني الآن، في صدفةٍ قد لا تتكرر مرة أخرى .

تخرجين من العيادةِ بخفة فراشة، تتسللين وأنتِ تضعين يدك على فمكِ، وقطعة من القطن تملأ ما بين شفتيكِ، بعد خلعكِ ضرسا على ما يبدو.

أشفقُ علي، وأهرع رغم آلامِ ضرسي إلى حيث موطئ قدميك.

أتبعكِ ،

أضغط على شفتي من شدةِ الألم، وأسقط من فوقِ جسرِ الكرامةِ إلى نهر البكاءِ السحيق .

أتنفسكِ ،

عطرُ الرسالةِ الأخيرة التي كتبتها لي يخفقُ في خيلاءٍ وهو يلوّح لذاكرتي بكلتا يديه.

تغفو سنونواتُ الفرح قليلا ، وتستيقظ أعواد الثقابِ التي كانت عالقة في كهفِ السُكوتِ المظلم زمناً .

أتساءل:

هل الشوق عسلٌ مُصفى أم كابوسُ نومٍ حقير ؟

وأجري،

تسرعين فأركضُ وأنتِ تلتفتين وتنظرين إليّ بعينِ الحيرة، كمن عصرَ روحه سُمُّ القلق.

تتوقفين، وأصل إليكِ ، عارياً إلا من قلقي، مضطرباً بعدما تعثرت بحجر على الطريق.

تسألين:

«لماذا تلاحقني ؟ ألم أقل لك إن ما بيننا انتهى ؟».

وأجيب:

«لكنه لم ينتهِ، أرى هذا في عينيكِ يا مرمر».

«عيناي تبكيان لبكاء ضرسي ، هذا كل ما في الأمر».

تبتسمين، وتأوين كعادتكِ إلى مكائد لغتكِ، التي ما كنت لأستطيعَ مقاومتها وأنتِ تردفين:

«قل لذوقكَ الفذ أن يصطادَ لك فراشةً أخرى تواكب تطلعاتك أيها المغرور».

أردّ والسرور يملأ جوارحي لأنكِ أخيرا تكلمتِ، بعد صمتٍ دام سنوات:

«ألم تنسي بعد تلك المزحة ؟ كنت أمزح فقط، لستِ جامعية لكنك أفضل من عشراتِ الجامعيين الذين ينسون ما درسوا بعد التخرج، أنتِ على الأقل قارئة».

تتسعُ عيناكِ وتلمعان ببريقٍ خافت:

«انسَ ما قلته لك، وانشغل عني بكتابةِ نصّ جديدٍ».

«لكنكِ الوقود الذي يحرّك النص، لم أكتب شيئا منذ افترقنا».

«هذا يعني أنك لم تعد تتذكرني».

«بل يعني أنكِ أصبتِ رأسي بصاعقةٍ شلّته بالكامل».

تنحنين لتلتقطي خاتماً أكبر من إصبعكِ، سقط من يدكِ فجأة وأنتِ ترفعين عن ضرسكِ قطعة القطن التي أزعجتك.

ترتفعين كنخلة، وأسقط في إثر خاتمك كقتيلْ.

أسألك:

« هل هذا خاتم خطوبة ؟»

تصمتين، ثم تستقلين سيارتكِ و أركبُ أنا موجة الحزن العاتي، مسرعا إلى العيادةِ كي أقتلعَ ضرساً أرهق فمي ورأسي، وأتساءل:

«هل خسرتكِ حقا يا مرمر ؟»

من مجموعة بكاء القرنفل

أنتريتي نتار

المسرح البلدي و«ليلة والمزود موش خدّام»

اتخذ الفنان زهير الرايس المدير الحالي للمسرح البلدي مؤخرا قرارا بعدم تمكين الفنان الشعبي فوزي بن قمرة من اعتلاء خشبة المسرح لتقديم حفل «ربوخ»..وعلّل زهير الرايس موقفه وقراره بان المسرح البلدي لم ينظّم منذ تأسيسه قبل 120 سنة سهرة فن شعبي أو بالأصح سهرة باستعمال الة المزود «وربوخ وشطيح ورديح»...وأشار الرايس في تصريحاته الى أن فكرة تأسيس المسرح البلدي تتمثّل في احتضان العروض المسرحية والموسيقية والرقص والباليه والأوركسترا السيمفوني والفرق الوترية والطربية، لكن لا يسمح المسرح البلدي في تونس باحتضان عروض لفن المزود»(موسيقى شعبية) والراب.

فهل أصاب الرايس في قراره؟ وهل هو أول من أغلق أبواب المسرح أمام هذا الصنف من الفن؟ وكيف كان رد فعل فوزي بن قمرة ؟ وما هو رأي أهل الفن من ذلك؟

في البداية تجدر الإشارة الى أن المسرح البلدي الشهير بإسم «البونبونيار»يتوسط أكبر شوارع العاصمة شارع الحبيب بورقيبة الذي كان يحمل في عهد الحماية الفرنسية اسم شارع جول فيري. تم افتتاحه في 20 نوفمبر 1902 وكان يطلق عليه كازينو تونس البلدي. تم تصميمه من قبل المعماري جان-اميل رسبلندي، وبناؤه بواسطة مقاولات إيطالية رغم أن الأرضية طينية لا تتحمل إقامة منشآت كبيرة فوقها، وقد بني حسب الطراز المعماري المعروف بالفن الجديد. كان يتسع لـ 856 شخصا. قبل هدمه سنة 1909 للزيادة في طاقة استيعابه. وأعيد افتتاحه في 4 جانفي 1911 بطاقة استيعاب تصل إلى 1350 شخصا موزعة على 4 أقسام: المقاعد الأمامية والميزانين والمقصورة والأروقة. الواجهة الخارجية هي الوحيدة التي سلمت من عملية الهدم. وفي عام 2001 تم ترميمه من جديد في إطار الاحتفال بمائويته.

هذا المعلم الأثري العريق أصبح هذه الأيام محل جدل ولغط جراء موقف مديره الرافض لاحتضان عروض المزود على ركحه...وهاجت وماجت الأقلام للذود عن هذه الآلة الشعبية الإمتياز رغم أن المسألة لا تتعلق في الحقيقة بمنع آلة المزود المقدسة من دخول المسرح أو منع البندير او الغيطة أو الزكرة ... إذ أن الموضوع يتعلق بالأساس بالعروض التي تستدعي الرقص في فضاء المسرح البلدي...

يقول السينمائي المنصف ذويب: «الشطيح هو إلي يطرح مشكل موش الالة في حد ذاتها.

المسرح البلدي متاع تونس درة ثمينة عندنا منو نسخة وحدة تبنى عام 1902 يعني قريب يبلغ مائة وعشرين سنة فيه ركح جميل وواسع فيه ألف مقعد تقريبا بين اوركاستر وبلكون وميزانين والرواق الموجود الفوق... والمسرح هذا الي نعرفو شكلة شكلة موضوع على ذمة عروض مباشرة امام جمهور جالس كل واحد في بلاصته وكل بلاصة بنومروها. موسيقى... مسرح الي تحب عليه المهم الجمهور جالس. الي حاصل في بعض العروض سواء بالمزود بالبنادر بالزكرة بالغيطة بالقصبة موش هذا المشكل نوباتها نقْتها عزقة بنادرها تستدعي الشطيح وسي الجمهور يبقى قاعد هو يسمع النوبة متاعو يتهول ويقوم يشطح واذا لزم يتخمر وساعات يتنصب ما يشبه الربوخ و تقوم الساقين تركز وتردك... اتخيل الف بشر يهزوا في القدم في بركون المسرح عندو ازيد من مائة سنة وهو يفيبري يتهسهس ويمكن نهار يبرك يطيح ردم... المسرح البلدي معلم فني وأثري مزيان عندنا منو كعبة وحدة برجولية ما يتحملش الشطيح... حسب رايي»..

زهير الرايس يساير المنصف ذويب في رأيه حيث يقول: «لا يمكن فتح الباب لكل أنواع العروض الموسيقية»، وأرجع أسباب رفض العروض الصاخبة عمومًا إلى أنّ الذبذبات القوية تهدّد بانهيار أركان بناية المسرح، خاصة مع ما يرافق هذه العروض عادة من رقص وقفز من طرف الجماهير».

وأضاف: «بالرغم من عمليات الترميم والصيانة التي شهدها المسرح البلدي في السنوات الأخيرة، فإن الخطر يبقى قائمًا».

ويرد فوزي بن قُمرة متسائلا: «هل المسرح البلدي أكثر عراقة من مسرح قرطاج الذي غنّيت فيه 5 مرات بآلة المزود؟ وكان قد استنكر الفنان فوزي بن قمرة رفض آلة المزود ومنعها من الدخول إلى المسرح البلدي من دون الآلات الموسيقية الأخرى...

الفنان الساخر بيرم الكيلاني بندر مان أدلى بدلوه في هذا السجال وقال:» السيد مدير المسرح البلدي قال الي المسرح البلدي مجعول للموسيقى الراقية والمالوف، وإلي برشة «بلدية» في لجنة الثقافة في بلدية تونس معارضين لحضور آلة المزود في المسرح... معناها العالم يخدم على آلاتو القديمة، عنا ناس بحثت في التراث هذا، و الا في التراث الصوفي وخدمت عليه، ناس عملت عليه اطروحات دكتورا وخدمت عروض محترمة برشة، وانت مازالت في عقلية الابوية القديمة... إلي قالو مدير المسرح البلدي يعبّر بالضبط على نظرتهم للفن، افلامهم، مسلسلاتهم، موسيقتهم...ركّبوهالنا الي «التونسي» هو المالوف، والآخر متاع الرعاع اسمو البدوي،العروبي، المزود، «الشعبي» وكاينو الشعبي حاجة متاع سقط المتاع.

المزود كروح وكتيبة، هو روح البلاد، والشعراء الي كتبوا فيه خلاوه تاريخ لامادي بين الناس تحفظو لتو، وكان جينا نقارنو كتيبة جرمانة، وقولو الله يرحمهم ، مع الفن الرسمي الممصرن تو نشوفوا الفرق بين روح الناس بالحق وبين البلاستيك.»

أعتقد أن المسألة لا تتعلق بأحقية برمجة عروض المزود داخل هذا المعلم الأثري الفريد من نوعه في تونس بقدر ما تتعلق بخصوصية هذا الفضاء ومحافظته على برمجة نوعية خاصة من العروض..

فالمسرح البلدي منذ تدشينه يوم 20 نوفمبر 1902 كان قبلة مجالات الإبداع الفني: أوبرا ، بالي، موسيقى سمفونية ، فن الدراما... وعلى ركحه تم تقديم العديد من المسرحيات الشهيرة أداها عمالقة المشهد المسرحي في تونس والعالم العربي والعالم ، مما أتاح للتونسيين فرصة اكتشاف كبريات المدارس المسرحية وأهم إبداعات الأدب المسرحي.

ومع الفنان والمجدد الكبير علي بن عياد مدير فرقة مدينة تونس للمسرح في السنوات الخمسين والستين ، شهد الإنتاج المسرحي إثراء كبيرا بحكم ترجمة أشهر أعمال كبار المؤلفين مثل ألبار كامو وشكسبير ليقع تقديمها على ركح المسرح البلدي.

وزهير الرايس بموقفه لم يأت بالجديد بل هو كرس موقفا توارثه كل من أدار هذا المعلم... أذكر اننا اردنا سنة 1991 لما كنت الكاتب العام لأيام قرطاج المسرحية التي أدارها الراحل منصف السويسي أردنا افتتاح الدورة بعرض «النوبة» للفاضل الجزيري وطرحنا المسألة على مدير المسرح البلدي آنذاك الراحل محسن بن عبد الله فرفض اقتراحنا جملة وتفصيلا مستعملا نفس التبريرات التي يستعملها اليوم زهير الرايس وحولنا وجهتنا إلى قصر المؤتمرات.

وأذكر أيضا أنه في أواخر السبعينات من القرن الماضي تم رفض عرض الهادي حبوبة لفائدة اليانصيب القومي وتمت إقامته في فضاء دار الثقافة ابن رشيق .

ختاما فالموقف ليس رفضا لفن معين في حد ذاته بقدر ما هو دعوة لتخصص فضاءاتنا الثقافية إلى نوعيات مختلفة من الفنون.

طرائف الزّعيم (ج 205)

بورقيبة وإرساء لبنات الدولة الفتية

بطاقة اليوم ننقلها عن الصديقة الاساتذة فردوس كشيدة من دراستها المطولة حول طريقة الزعيم في إرساء لبنات الدولة الفتية حيث قالت: مما لا شك فيه أن شخصية الزعيم الحبيب بورقيبة لازالت والحقبة التي تولى خلالها الحكم، حتى وقتنا هذا ، تثيران عددا لا يحصى من النقاشات في الملتقيات السياسية والفكرية والثقافية ، باعتباره رجلا استثنائيا كرس حياته لخدمة تونس . منذ حداثته كان يقظا لحال بلاده الراسفة في أغلال القهر والرازحة تحت عبء قرون من التقهقر والانحطاط ، فكافح السنوات العديدة من أجل تحريرها بتعبئة قوى الشعب والسير به نحو حياة العزة والكرامة، موقظا الضمائر وجاعلا الاتصال المباشر بالجماهير سلاحه وعدته في كفاحه التحريري ضد الاستعمار الفرنسي . ومن أجل ذلك دفع ثمنا من حريته وصحته وشبابه بلغ قرابة عشر سنوات سجنا ونفيا بين تونس وفرنسا وأبعد الى أقاصي الصحراء حتى أوشك أن يقصيه ، لكنه ظل صامدا لا تزعزعه الأعاصير ولا يثنيه ارهاق أو تعذيب ، وبقي مخلصا لرسالته معلنا ارادة شعبه وتوقه الى الحرية والى الحياة الكريمة.

ولما بلغ غايته المنشودة وخلص تونس من الاحتلال وجاء الاستقلال وتولى السلطة ، فآلى على نفسه أن يبني هياكل دولة عصرية يطهرها من رواسب الاستعمار ويخلص شعبه من وصمة الجهل والتخلف . من ثم خاض معركة أخرى سماها " معركة التخلف " وعمل على تنمية البلاد والحاقها " بركب الدول المتقدمة "والتزم بالكرامة الوطنية والعدالة الاجتماعية ، حيث تجتمع فيها كل قيم الاستقلال والسيادة والوحدة الوطنية وكل المعاني التنمية المستقلة والعمل على تكافئ الفرص.

لذا عمل بورقيبة على ارساء لبنات الدولة الفتية ، فركز مؤسساتها الأمنية والقضائية والسياسية ، واستطاع أن يحارب الجهل والأمية بنشر التعليم وتعميمه وبناء المدارس في شتى أنحاء الجمهورية وخاصة بالقرى والأرياف ، وحتى بالأماكن النائية وبقمم الجبال التى يعسر الوصول اليها . فتكونت بفضل سياسته المتبصرة اطارات وطنية ذات كفاءات عالية تضاهي اطارات البلدان الراقية ، وكان لها دور أساسي في بناء أركان وأجهزة الدولة التونسية الحديثة.

فنّ وفنّانون

فيلم «نصف روح» يمثل تونس في مهرجان الفيلم القصير بالمغرب

يعد الفيلم القصير «نصف روح» من إخراج «مروان الطرابلسي الممثل الوحيد للسينما التونسية في مهرجان الفيلم القصير بالمغرب... ويتناول الفيلم قصة أب رمته الظروف في اتون عالم لاإنساني ودفعه القدر دفعا إلى سبر أغوار عالم تجارة الأرواح لينقذ ابنته التي تملّكها ورم سرطاني. وانطلاقا من هذه القصة التي لا تخلو من فلسفة وتراجيديا يعري المخرج واقعا آسنا تلاشت فيه القيم ونزفت الانسانية كثيرا.

فيلم «قدحة» لأنيس لسود يتوج في مهرجان مالمو السويدي

شامة بن شعبان وأنيس لسود يتحصلان على جائزة أحسن سيناريو عن فيلم « قدحة» بالدورة 12 لمهرجان مالمو السينمائي بالسويد..

ويحكي الفيلم قصة الطفل "قدحة" (12 عاما) الذي يتعرض لحادث سير يدخل على إثره للمستشفى، وتتلقى والدته «بركانة» مساعدة «مليكة» و«معز» فيغطيان مصاريف المستشفى ويوفران لعائلتها المحتاجة مسكنا.

مهدي الهميلي أحسن مخرج في مهرجان «مالمو» بالسويد

تحصل فيلم «أطياف» لمهدي الهميلي على جائزة أفضل مخرج بالدورة 12 لمهرجان مالمو السينمائي بالسويد... هذا التتويج ينضاف إلى عديد التتويجات التي حصل عليها هذا العمل في جل المهرجانات التي شارك فيها.

الشارع الرياضي 51

الصندوق الأسود (رياضة)

قرار نهائي

شكّلت مباراة النادي الافريقي الأخيرة أمام النادي الصفاقسي والهزيمة بثلاثية كاملة صدمة كبيرة لأحبّاء فريق باب الجديد. ذلك أنّ الجميع كان ينتظر ان يواصل الافريقي على نفس النسق والمردود اللذين ظهر بهما في مباراة الدربي أمام الترجي. مردود الافريقي كان محيرا على جميع المستويات وهو ما أعاد مدرّب الفريق منتصر الوحيشي الى واجهة الانتقادات حيث أنه يبقى منذ انطلاق الموسم او لنقل تجربته على رأس فريق باب الجديد محل انتقاد كبير بل محلّ شكّ نظرا لتواضع سجّله التدريبي في وقت يصرّ فيه البعض على التأكيد على أنه وصل إلى تدريب الفريق بفضل صداقاته وعلاقاته المتشابكة مع رئيس النادي يوسف العلمي وليس بسبب قيمته الفنية والتدريبية.

الخوض في مستقبل منتصر الوحيشي مع الإفريقي بات سؤالا مهما يطرح بقوّة داخل أوساط النادي ولكن الحقيقة تقال فإنّ مصير الوحيشي محسوم منذ فترة وحتى قبل مباراتي الدربي والكلاسيكو. فالوحيشي لن يغادر الفريق في هذا الظرف وفي هذا التوقيت بالذات مهما كانت نتائج الفريق ومهما كان الوجه الذي سيظهر به في كلاسيكو النجم الساحلي وهذا القرار تمّ اتخاذه من قبل رئيس النادي يوسف العلمي الذي قال إن الوحيشي سيواصل عمله الى نهاية الموسم مهما كانت نتائجه مع الفريق.

في المقابل كان للوحيشي قرار مماثل فيما يخصّ تقرير مصيره حيث أسرّ لبعض مقرّبيه بأنه سيغادر النادي الافريقي مع نهاية سباق البطولة سواء تحصّل على اللقب أو سواء حصد المركز الاخير. الوحيشي يعتبر انه أنجز المهمة التي جاء من أجلها وهي على ما يبدو إنقاذ الفريق من شبح النزول في الموسم الفارط رغم أن الجميع يدرك أنه لا الوحيشي ولا العلمي ولا غيرهما أنقذا الافريقي فالفضل فقط يعود للجماهير وللضغط الرهيب الذي مارسته على كل الهياكل الرياضية في تونس. ويبدو أن الوحيشي تيقّن أن بقاءه أكثر مع الفريق قد يكشف بعض مساوئه التدريبية لذلك فضّل «الهروب» مرفوع الرأس قبل ان تلاحقه كماشة الاقالة هذا ان لم تقع إقالته بعد مباراة النجم في صورة عدم توفقه في تحقيق الانتصار لأنّ جماهير الفريق في قمة الغضب وصبرها لم يعد يحتمل مزيدا من العثرات والسقطات.

شرط تعجيزي

مردود الترجي في المباريات الأخيرة بات يطرح أكثر من نقطة استفهام. فالفريق لا يؤدّي بشكل جيّد ومستواه لا يتحسن بل يمكن القول إنه يتراجع بشكل مستمر وتصدّر الترتيب لم يعف الجميع من الدخول في مربّع المساءلة والمحاسبة خاصة الإطار الفنّي للفريق بقيادة راضي الجعايدي الذي بات مطالبا بالإجابة عن عديد الأسئلة منها متى سيعود الترجي الذي نعرفه الى مستواه المعهود.

الترجي يتصدّر الترتيب وهذا أمر عادي ومفهوم جدّا لعدة اعتبارات منها تواضع المنافسين وعدم قدرتهم على مجاراة نسق بطولة مصغّرة تحتوي على دربيات وقمم بالجملة. الاعتبار الثاني أن الترجي يعرف جيّدا كيف يتفادى الهزيمة عندما يكون سيئا ولكن الاشكال الحقيقي هذه المرّة هو أنّ الترجي سيّء جدّا بل يمكن القول إنها أسوأ نسخة للفريق منذ سنوات طويلة وهذه القناعة يدركها القاصي والداني في الترجي وعلى رأسهم رئيس النادي حمدي المدّب الذي بات على يقين راسخ بأنّ قرار التعويل على المدرّب راضي الجعايدي كان خاطئا.

السؤال المطروح الآن هو لماذا لم يفتح الترجيون صفحة التغيير ولماذا لم يخض مسؤولو الأحمر والاصفر في هذه الفرضية رغم ضرورتها حاليا؟ الإجابة واضحة وجلية وهي تنقسم إلى جزئين الاوّل هو أنّ رئيس الترجي حمدي المدّب يعتبر ان إقالة الجعايدي في هذا الوقت المبكّر اعتراف ضمني منه بالخطأ كما انه لا يعقل ان يغيّر المدرّب في مرحلة حساسة من سباق البطولة. الجزء الثاني والأهم هو أنّ عقد الجعايدي مع الترجي يتضمن بندا تعجيزيا لفكّ الارتباط بين الطرفين حيث سيكون الترجي مجبرا على دفع مبلغ 900 ألف دينار في حساب الجعايدي في انقلترا لفكّ الارتباط معه وهو مبلغ كبير جدّا قياسا بالفترة التي قضاها راضي مع الترجي الى حد الآن. لهذا يتأجّل الحسم في تقرير م صير المدرّب الى وقت لاحق على أمل ان يتحسن المردود وينجح الجعايدي في كسب ثقة الانصار التي خسرها بشكل واضح.

حملة جديدة

رغم أنّ المبلغ لم يكن كبيرا جدّا أو قياسيا قياسا بالأرقام التي تحققت في حملات مشابهة يمكن القول إن حملة «رجعت الروح» لأحبّاء النادي الصفاقسي حققت أهدافها وأتت أكلها بما أنها ساهمت في تجنيب فريق عاصمة الجنوب مشاكل اضافية كما انها ساهمت في تحسين وضعية اللاعبين بدليل تحسن مردودهم في الآونة الأخيرة وهو ما يحسب للهيئة التسييرية على الاقل التي عرفت كيف تتعامل مع كافة مكونات للفريق للخروج من الضائقة الحالية. اللجنة المشرفة على الحملة كشفت أنه تمّ الى حدود يوم الأحد الماضي تجميع مبلغ قدره 1.819 مليون دينار توزعت بين مليون دينار جاءت من طرف رجال الاعمال و804 الف دينار تبرعات بقية الجماهير من تذاكر دعم وصكوك بنكية لاقتناء تذاكر دعم وتحويلات بنكية مباشرة اضافة الى مساهمة احباء الفريق للخارج وكذلك مساهمة من هيكل سوسيوس .

مصادر موثوقة كشفت لـ«الشارع المغاربي» أنّ اللجنة المشرفة على الحملة المذكورة ستواصل في الترويج للحملة المذكورة الى غاية نهاية الموسم الرياضي الحالي قبل الشروع في الترويج لحملة جديدة يكون عنوانها الموسم الرياضي القادم وستكون من بين أهدافها سداد كل الديون والمرور الى مشروع بناء فريق جديد يعود للعب على الالقاب محليا وقاريا.

الشارع المغاربي

أنس جابر

نور ساطع وسط العتمة

PEUGEOT LANDTREK الجديدة

من جديد في كل ثنية

JUSQU'À 1 TONNE EN CHARGE UTILE - 4 ROUES MOTRICES - SIÈGES MODULABLES

PEUGEOT RECOMMANDE TOTAL

STAFIM et son réseau :

Rue du Lac Léman - Les Berges du Lac - 1053 Tunis
Tél. : 71860444 – 70019800